

الفصل الأول

اللغة (الجانب التركيبي)

الفصل الثاني : الصورة حدها وعناصرها ووسائلها

- 1- حد الصورة وعناصرها .
- 2- وسائل التصوير في خطاب نهج البلاغة .
 - التشبيه .
 - الاستعارة .
 - الكناية .

الفصل الثالث : الصوت

- 1- الجنس .
- 2- التكرار .
- 3- السجع .

المحتويات

أ - ب	المحتويات
ث - ح	المقدمة
2 - 8	التمهيد : مفهوم الخطاب
9 - 67	الباب الأول : الدراسة الموضوعية للخطاب في نهج البلاغة
10 - 31	الفصل الأول : أركان الخطاب
15	المخاطب
17	الخطاب ووسائل نقله
17	الخطابة
25	الرسالة
32 - 42	الفصل الثاني : أنواع الخطابة بحسب جهة التلقي
33	المخاطب
33	خطاب الخالق
37	خطاب الذات
38	خطاب الآخر
40	خطاب ما لا يعقل
40	خطاب الدنيا
41	خطاب المكان
43 - 58	الفصل الثالث : موضوعات الخطاب في نهج البلاغة
45	الثنائيات المتضادة
46	التوحيد والشرك
49	الأيمان والكفر
52	الحق والباطل
56	الثنائيات المتناغمة
56	الدنيا والآخرة
59 - 67	الفصل الرابع : الأصوات الناطقة في خطاب نهج البلاغة
61	صوت الحكيم
65	صوت الفيلسوف
67	صوت النبوة
68 - 155	الباب الثاني : الدراسة الفنية للخطاب في نهج البلاغة
69 - 111	الفصل الأول : اللغة
73	التقديم والتأخير
80	الخبر والإنشاء
80	الخبر
85	الإنشاء
86	الأمر
93	النهي
97	الاستفهام
105	النداء

131 - 112	الفصل الثاني : الصورة حدها وعناصرها ووسائلها
113	حد الصورة عناصرها
118	وسائل التصوير في نهج البلاغة
118	التشبيه
124	الاستعارة
129	الكناية
156 - 132	الفصل الثالث : الصوت
136	الجناس
139	التكرار
148	السجع
158 - 156	الخاتمة
183 - 159	روافد البحث
A - D	ملخص الرسالة باللغة الإنكليزية

مفهوم الخطّاب لغةً :

الخطّاب لغةً : الخطّابُ بكسر الخاء وتخفيف الطاء هو ((مراجعة الكلام ((⁽¹⁾ ، والخطّابُ ((الأمرُ يقع ؛ وإنما سُمّي بذلك لما يقع فيه من التخطّاب والمراجعة ((⁽²⁾ ، وَ خَطَبَ هُ أَحْسَنَ الْخِطَابِ : وَاجَهَ هُ بِالْكَلامِ ⁽³⁾ ، وَقَدْ خَطَبَ هُ بِالْكَلامِ مُخَاطَبَةً وَخِطَاباً وَهُمَا يَتَخَاطَبَانِ أَي وَجَهَ أَحُثُمَا كَلَاماً لِلْآخِر ⁽⁴⁾ .
وأظْهر ما يبدو لنا من خلال تفحصنا للمعاجم اللغوية أَنَّ لفظة الخطّاب – حيثما وَرَدَتْ – لا تخلو من أَنْ تَحْمِلَ معنى الكلام أو الرسالة الموجهة الدائرة بين الذات ⁽⁵⁾ .

الخطّاب اصطلاحاً :

ليست المدلولات الاصطلاحية للخطّاب ببعيدة عمّا تقمّ من أركان عملية التخطّاب ومفهومه اللغوي فقد قيلَ أَنَّهُ ((توجيهُ الكلام نحو الغير للإفهام ، ثم نُقِلَ إلى الكلام المُوجّه نحو الغير للإفهام وقد يُعَبَّر عنه بما يقع به التخطّاب)) ⁽⁶⁾ وبهذا المعنى وَرَدَ قولُه تعالى ﴿ وَ شَهِدْنَا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ⁽⁷⁾ ، إذ وَرَدَ عن الجاحظ (ت255هـ) رأيه الذي نقله عن عمرو بن عبيد في بيان المقصود من (فصل الخطّاب) أَنَّهُ قال : ((إِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَ تَقْدِيرَ حُجَّةِ اللَّهِ فِي عَقُولِ الْمُكَلَّفِينَ

(1)- العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، مؤسسة دار الهجرة ، إيران ، الطبعة الثانية ، 3952 هـ : مادة (خَطَبَ) .

(2)- معجم مقاييس اللغة : أبو الحسن أحمد بن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الدر الإسلامية ، 1990 م : مادة (خَطَبَ) .

(3)- ينظر : أساس البلاغة : محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ) ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، دار الكتب المصرية ، 1953م : مادة (خَطَبَ) .

(4)- ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (ت711هـ) تحقيق : أمين محمد عبد الوهّاب ومحمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1999 م : مادة (خَطَبَ) ، والمعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، تركيا الطبعة الثانية ، 1989م : مادة (خَطَبَ) .

(5)- ينظر : إشكالية تأصيل الحداثة في الخطّاب النقدي العربي المعاصر : عبد الغني بارة ، مطابع الهيئة المصرية ، 2005م : 32 ، ومدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع : فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، 1987م : 213 .

(6)- كشاف اصطلاحات الفنون : محمد علي التهانوي (ت1158هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1998م : 5/2 .

(7)- ص / 20 .

المريدين ، بالألفاظ المستحسنة في الأذان المقبولة عند الأذهان رغبةً في سرعة استجابتهم نفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كُنْتُ قد أُوثِيتُ فَصْلَ الْخِطَابِ ((⁽¹⁾)، ولا يخفى أن الجاحظ هنا إنما يُفسَّرُ (فصل الخطّاب) بنوع من ((القولُ تُجمَعُ فيه الصنعة اللفظية والحجة المقنعة مع عدم الإقبال على السامع))⁽²⁾ ، وقد أوضح الزمخشري المقصودَ بـ (فصل الخطّاب) حين وصفه بأنه ((البَيِّن من الكلام الملخص الذي يستبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه))⁽³⁾، فالخطّاب على وفق هذا المفهوم كل كلام واضح يتجنب الغموض والإبهام⁽⁴⁾.

وقد خصص ابنُ فارسُ باباً للخطّاب الذي يقع به الفهم من السامع والإفهام من القائل⁽⁵⁾ مُعْبِراً في ذلك عن معنى الخطّاب الذي هو ((حالات الكلام))⁽⁶⁾. أما الناقد عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) فإنه يربط معنى الخطّاب بالنظم⁽⁷⁾ الذي هو ((تعليقُ الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض))⁽⁸⁾ والذي يتضح لنا من خلال كلام الجرجاني أن الخطّاب عنده يخضع إلى نظام الاتساق والترابط والانسجام بين أجزائه ، وبذلك لا يتعدى الخطّاب كونه مستوىً تعبيرياً قادراً على شلّ انتباه المتلقي والتأثير فيه ، فضلاً عن توظيف معطيات جمالية تُضفي عليه سمات تتمثل بالإمتاع⁽⁹⁾، فهو عملية أداء وإيصال رسالَةٍ من متكلم إلى مخاطب لتحقيق أغراض معينة.

وقد أولى المختصون بعلوم القرآن الخطّاب عنايةً كبيرةً فتفحصوا وجوهه بحسب مقاصده ومقاماته فتوسّعوا في ذلك ليخرجوا بوجوه متنوعة للخِطاب القرآني

(1)- البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الخامسة ، 1985م : 141/1 .

(2)- بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية : محمد عابد الجابري ، بيروت ، الطبعة السادسة ، 2000م : 30 .

(3)- الكشف من حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : محمود بن عمر الزمخشري ، تصحيح : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2003م : 1030/2 .

(4)- ينظر : إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر : 129 .

(5)- ينظر : صاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : أحمد بن فارس ، تعليق أحمد حسن بسج ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1997م : 143 .

(6)- معجم علوم العربية : محمد التونجي ، دار الجليل ، بيروت ، الطبعة الأولى 2003م : 213 .

(7)- ينظر : بنية العقل العربي : 84 .

(8)- دلائل الإعجاز في علم المعاني : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، 1978م : المدخل / ص .

(9)- ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطّاب : محمد خطّابي ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى ، 1991م : 95 .

لعل من أهمها ما فرّعه بدر الدين الزركشي (ت794هـ) في كتابه (البرهان في علوم القرآن)⁽¹⁾ وهو ما يمكن إجماله بالآتي :

- 1- خطاب العام والمراد به العموم كقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾⁽²⁾.
- 2- خطاب الخاص والمراد به الخصوص كقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾⁽³⁾.
- 3- خطاب الخاص والمراد به العموم كقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾⁽⁴⁾.
- 4- خطاب العام والمراد به الخصوص كقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ النَّاسُ إِنَّا
- النَّاسُ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾⁽⁵⁾.
- 5- خطاب الجنس كقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾⁽⁶⁾.
- 6- خطاب النوع كقوله تعالى ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾⁽⁷⁾.
- 7- خطاب العين كقوله تعالى ﴿ يَا أَلَمُ اسْكُنِي أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾⁽⁸⁾.
- 8- خطاب المدح كقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾⁽⁹⁾.
- 9- خطاب الذم كقوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾⁽¹⁰⁾.
- 10- خطاب التهكم كقوله تعالى ﴿ فَبِئْسَ لَّهُمْ بَعْدَآبٍ أَلِيمٌ ﴾⁽¹¹⁾.
- 11- خطاب الإهانة كقوله تعالى ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَذَابَكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ
- الْإِنِّ ﴾⁽¹²⁾.
- 12- خطاب الجمع بلفظ الواحد كقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَلْبَجٌ ﴾⁽¹³⁾.
- 13- خطاب الواحد بلفظ الجمع كقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُفُوا مِنْ
- الطَّبَائِبِ ﴾⁽¹⁴⁾.
- 14- خطاب الاثنين بلفظ الواحد كقوله تعالى ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّهَا يَامُوسَى ﴾⁽¹⁾.

(1)- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الفكر ، بيروت ، 2004م : الجزء الثاني (إجمالاً) .

(2)- المجادلة / 7 .
 (3)- المائدة من الآية / 67 .
 (4)- الطلاق من الآية / 1 .
 (5)- آل عمران من الآية / 173 .
 (6)- البقرة من الآية / 21 .
 (7)- البقرة من الآية / 40 .
 (8)- البقرة من الآية / 35 .
 (9)- المجادلة من الآية / 12 .
 (10)- الكافرون / 1 .
 (11)- التوبة من الآية / 34 .
 (12)- الحجر من الآية / 34-35 .
 (13)- الانشقاق من الآية / 6 .
 (14)- المؤمنون من الآية / 51 .

- 15- خطاب الجمع بعد الواحد كقوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأَ لِقَوْمِهِمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبِشِرِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (2).
- 16- خطاب العين والمراد به غيره كقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ (3).
- 17- خطاب الجمادات خطاب من يعقل كقوله تعالى ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ لِنِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (4).
- 18- خطاب التنفير كقوله تعالى ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (5).
- 19- خطاب التحنن والاستعطاف كقوله تعالى ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (6).
- 20- خطاب التحبيب كقوله تعالى ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ (7).
- 21- خطاب التحسير والتلهف كقوله تعالى ﴿ قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِهِمْ ﴾ (8).
- 22- خطاب التكذيب كقوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْمْ شُهَدَاءُ الَّذِينَ يَشْهَرُونَ ﴾ (9).
- 23- خطاب التشجيع والتحريض كقوله تعالى ﴿ وَأَعِثُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ (10).
- 24- خطاب التهيج كقوله تعالى ﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَذْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (11).
- 25- خطاب الإغصاب كقوله تعالى ﴿ افْتَحِذُوا ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ نُفْسِي وَهُمْ لَكُمْ عَوْنٌ لِلظَّالِمِينَ بَلَاً ﴾ (12).
- 26- خطاب التشريف كقوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (13).
- 27- خطاب التعجيز كقوله تعالى ﴿ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ (1).

(1)- طه / 49 .

(2)- يونس / 87 .

(3)- الأحزاب من الآية / 1 .

(4)- فصلت من الآية / 11 .

(5)- الحجرات من الآية / 12 .

(6)- الزمر / 53 .

(7)- مريم من الآية / 42 .

(8)- آل عمران من الآية / 119 .

(9)- الأنعام من الآية / 150 .

(10)- الأنفال من الآية / 60 .

(11)- التوبة من الآية / 13 .

(12)- الكهف من الآية / 50 .

(13)- الإخلاص / 1 .

وقد اعتمد المختصون بعلوم القرآن وفنونه في استنباطهم لهذه الوجوه العديدة للخطاب القرآني على مقاييس أهمها البلاغي والموضوعي والنحوي⁽²⁾. ويتطور مفهوم الخطاب عند النقاد المحدثين ليكتسب دلالاً متنوعة لتأثيرهم بالدراسات الأدبية والنقدية الغربية الحديثة. إذ عَدَّ الناقد عبد السلام المسدي الخطاب الأدبي ((كياناً أفرزته علاقات معينة بموجبها التأمّت أجزاءه))⁽³⁾ مميزاً بذلك الخطاب الأدبي عن غيره من أنواع الخطاب الأخرى. وبذلك يغدو الخطاب هو السمة المشخصة لكل نص. وبذلك تتنوع وسائل نقل الخطاب.

إذن يمكننا أن نقف على أمور عدة في مفهوم الخطاب لعلّ من أهمها :

- 1- لا بدّ من وجود طرفين إذ ينشئ أحدهما الكلام ويتلقاه الآخر .
- 2- لا تنفك عملية الكلام عن وجود رغبة تواصلية تتمثل في قصد إيصال شيء إلى الآخر .
- 3- تأخذ الرغبة في إيصال الشيء طابعاً اجتماعياً يتمثل في القصد إلى التأثير في المستمع وإفهامه .
- 4- لذا تتسم عملية التخاطب لكونها عملية تواصلية مقصودة من الآنأ إلى الآخر .
- 5- وعليه يمكن أن نصِلَ إلى حقيقة ثابتة هي أن الخطاب نشأ منذ نشأة الخلق وقد فطّر الإنسان عليه لأنه إما أن يكون مخاطباً أو مستمعاً وأول تجربته مع ذلك بدأت من خلال الكلام الملفوظ⁽⁴⁾ .
- 6- أي أن بداية الخطاب كانت شفاهية ثم ما لبث أن تحوّل إلى أن يكون كتابياً ، وعلى وفق ذلك تتنوع وسائل نقله .

(1)- البقرة من الآية / 23 .

(2)- ينظر : الخطاب الإلهي للنبي (ص) في السور المدنيّة مضامينه وأساليبه البلاغية : عمر خليل الهاشمي (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، 2005م : 20-21 .

(3)- الأسلوبية والأسلوب : عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ط3 : 114 .

(4)- ينظر : الخطاب القرآني للأنبياء والرسول دراسة فنية (أطروحة دكتوراه) : نبيلة عبد المحسن حسن ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، 1422 - 2001م : 15 .

شكر و عرفان

قال الإمام عليّ (عليه السلام) ((إذا أُسديت إليك يدُ فكافئها بما يُربي عليها ،
والفضلُ مع ذلك للبادئ))

حقيقة كثيرة هي الأيادي التي مَهَّتْ لي يدَ العون والمساعدة ، وإذا كان من
تمام الفضل شكر ذويه فالذي أراه لِزَماناً عليّ أن أتقدم بأسمى آيات الشكر
والتقدير إلى :

- أسرتي لدعائها وصبرها واخصُ منهم بالذكر والديّ ... النبع الذي نهلتُ منه
الأملَ والصبرَ والتفاؤل .
- الأستاذ المساعد الدكتورة أمل عبد الجبار كريم الشرع لجهودها القيمة معي
في إكمال البحث منذ بدايته حتى استوى على صورته النهائية فلها مني جزيل
الشكر والتقدير .
- أساتذة قسم اللغة العربية في جامعة كربلاء واخصُ منهم بالذكر الأستاذ
المساعد الدكتور مكي محيي عيدان الكلابي الذي طالما أغدق عليّ بمعلوماته
القيمة وآرائه السديدة فله مني جزيل الشكر والتقدير والأستاذ الدكتور محمد
عبد الحسين محمد الخطيب والدكتور حربي نعيم والدكتور مهند طارق
والدكتور نجاح فاهم .
- أساتذة قسم اللغة العربية في جامعة بابل واخصُ منهم بالذكر الأستاذ الدكتور
صباح السالم والأستاذ الدكتور علي ناصر والأستاذ الدكتور عدنان العوادي .
والأستاذ الدكتور عباس محمد رضا والأستاذ المساعد الدكتور عامر عمران
الخفاجي والأستاذ المساعد الدكتور قيس حمزة الخفاجي والأستاذ المساعد
الدكتور اسعد علي النجار والأستاذ المساعد الدكتور محسن حسين علي
والأستاذ المساعد الدكتور عبد العظيم رهيف والأستاذ المساعد الدكتور علي
إبراهيم لرعايتهم الأبوية ، كما اشكر الأستاذ الدكتورة هناء جواد والدكتورة
أوراد محمد .
- الأستاذ المساعد الدكتور محمد زوين مدير مركز دراسات الكوفة والدكتور
حسن حميد فياض الذي أسهم الحوار معهما في أغناء البحث بالمادة العلمية
فجزاهما الله خيرَ الجزاء .
- ولا يفوتني أن أتقدم بعظيم شكري وجزيل امتناني إلى الإخوة الزملاء مسلم
مالك وإدريس حمد ومجيد عبد الرحمن والأخوات عهد ثعبان وسهاد محمد
باقر ونبراس هاشم ورشا غضبان لما قَمَّوه لي من مصادر ومراجع أغنت
البحث .
- جميع العاملين في مكاتب الروضة الحسينية والعباسية المطهرتين والمكتبة
المركزية في محافظة كربلاء واخصُ منهم بالذكر مديرة المكتبة أم فرح و
أبا زيد (رحمه الله) وأستاذ محمود وكذلك العاملين في مكتبة الحكيم في
النجف الأشرف ، وفقهم الله جميعاً لخدمة المسيرة العلمية في بلدنا العزيز .

University of baqbylon



Elocution in the main Road to eloquence Objective and artistic Study

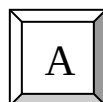
Athesis

**submitted to the council of the college of education,
university of Babylon in partial fulfillment of bthe
degree of master of artsin Arabic language EMAN**

**ABDUL by HASSAN ALI ABOOD supervised by :
asst Prof Amel Abdul Jabar Kareem**

2008 AD

1429 AH



ABSTRACT

The main road to eloquence is considered as a wealth source and unlimited product that everybody needs this product in everytime and everyplace due to its general and human treatment in all kinds of the classification of knowledge . in addition , it is considered to be an opened literal text that could be read in various and different ways it has special characteristics in all its levels .the speeches of ameer al moumineen(god blessed him) can be described as " under the speeches of god and above the speeches of creatures."

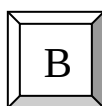
I found myself has explosive forces and motives to indulge in that immortal source and to get benefit from the speeches of ameer al moumineen (god blessed him)

Therefore ,we can face different speeches with different and various characteristics and forms with various and different aims, depending upon the holy quraan and the speeches of the prophet mohammad (god prays upon him). However, I have a great desire to analyse these immortal speeches .

We have various faces to the treatment and this is fulfilled during the elocution and its aspects. Therefore, we make a survey during "elocution in the main road to eloquence " and we treated this subject objectively and artistically .

These two aspects have a great affect in understanding the elocution operation and communicating in a good way on these two levels thoughtfully and aesthetically .

The research is divided into preparatory section with two chapters after introduction, followed by a conclusion .



In the preparatory section I shade the light on the " elocution term " linguistically and terminologically . in addition , I mentioned the factors which are prepared the emam ali (god blossed him) to be a great speaker who helped me to perform this research and to continue this study .

The first chapter is concerned with objective study of the " elocution in the main road to eloquence " distributed to four sections :

* The first setion is studied the aspects of " elocution " , they are :the addressee , the address and the speaker (the person who speaks the of " elocution " , they are : the addressee , the address and the speaker (the person who speaks the speech) .

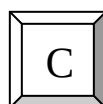
* The second section is explained the kinds of the " elocution " according to the from of the " elocution " , this means there are different forms to the " elocution " as god s elocution , selfs elocution .others , elocution and on unanimmates elocution .

*The third section carried the title " the subjects of elocution in the main read to eloquence" and the study of these subjects as a dual opposite picture in addition to similar ones

*The fourth section shades the light on the treatment of the sounds that uttered during " elocution " .

the second chapter is presented the artistical study to the" eloution in the main read to " eloquence " distributed to three sections :

The first section treated or examined the structural and linguistic sid . *



*The second section presented an idea about the picture, its border and its components in addition to its means .

* The third section examined the case of the sound and its features which are supplied the meaning of that sound . the conewsions of the research are :

1- Emam Ali (god blessed him)introduced his speeches to all human beings in general because he addresses the mind , the emotion in such away that could leave an effect in the self of the human beings inorder to perform their aims . everybody read the speeches of Emam Ali (god blessed him) can feel with enjoyment and thrill .

2- The speeches of emam ali (god blessed him) have various sounds with different levels and ranks ,that is because he is the successor , the emam , the leader , the wiseman and the father , all these features made all his speeches general .

3- Emam Ali (god blessed him) employed the language in a beautiful and accwrate way which is made the language to be considered as a good tool on structural level , the picture or the sound . all these features can affect on the a ddressee.

4- Finally , a great connection could be found between the sound and meaning . these two a spectrs cannot be separated . the sound could be considered as ameans to express . the meanings and the purposes of the speeches which can affect the souls of human being .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزلَ فصلَ الخطاب على خيرته من خلقه أولي النهى والألباب معدن البلاغة الثابتين القدم على مقاصد الرحمن وسلم تسليماً كثيراً وبعد .
 فيعد نهج البلاغة منهلاً ثراً ومنتجا إنسانياً لا يُحدّ بمكان ولا تنتهي الحاجة إليه في زمن من الأزمان ، لما فيه من الشمولية والمعالجة الإنسانية في شتى صنوف المعرفة ، فضلاً عن كونه نصاً أدبياً مفتوحاً يمكن قراءته بقراءات متعددة غير متناهية لما تتوفر فيه من سمات النص السامي في مستوياته كلها ، ومن ثم كان هذا النص نتاجاً إنسانياً غير محدد بأمّة دون أمة أو بعصر دون آخر .

ولما كان كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) يُوصفُ بأذنه ((دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق)) وجدتُ أنني مدفوعةٌ بدوافع شتى نحو سبر أغوار هذا الفن الخالد لما يلتمس المتأمل في نهج البلاغة من السعي الحثيث من الإمام (عليه السلام) نحو فتح قنوات التواصل مع الآخر بوحى من رسالته ومقامه ، ومن ثم كنّا أمام خطابات متعددة الأشكال متباينة الغايات تختلف فيما بينها اختلافاً كبيراً من حيث العمق متكنة في ذلك على مرجعية ثرة ممثلة بالمدرسة القرآنية والموروث المحمدي لتتشكل كل هذه العوامل في مدرسة خطاب علوية لها سماتها وميزاتها التي تجعل منها نصاً يستحق الدراسة ، وقد كنتُ مدفوعةً بالرغبة الكبيرة نحو تفحص هذه النصوص الخالدة .

ولما كانت جهات المعالجة متعددة ارتأينا اللجوء إليها من جهة الخطاب وأركانه فتعرضنا للخطاب في نهج البلاغة من جهتين هما الجهة الموضوعية والجهة الفنية ؛ لإحساسنا بتلازمهما وأثرهما في فهم الخطاب والتواصل بشكل أمثل على المستويين الفكري والجمالي .

أمّا القيمة العلمية لهذه الدراسة فتتمثل في جملة من المعطيات التي ستأتي بها سواءً على المستوى الفكري العام أم على المستوى اللغوي المتخصص ، أما المستوى الفكري العام فأذهنا ستشكل مدخلاً هاماً ومؤثراً لفهم البنى الفكرية التي اشتمل عليها هذا النص لما نعرفه من أن كتاب نهج البلاغة نص متعدد الأغراض والمقاصد التي أنشئ لأجلها وهي مقاصد اجتماعية وسياسية واقتصادية ودينية إلى غير ذلك من المقاصد .

وأما على المستوى اللغوي المتخصص فأذن من شأن هذه الدراسة أن تضع أمام القارئ الكريم مفاتيح هامة لما قد ينغلق من هذا النص على مستوى التركيب والصورة والصوت ، ولأجل هذا كله كان من الضروري لهذه الدراسة أن تتبع منهجاً يحقق لها ما تصبو إليه ، فاستقر بنا الحال إلى اعتماد الوصفية منهجاً نتعامل بموجبه مع النص بما هو كائن في توجيه دلالات النص ومقاصده ، ثم سعينا إلى دراسة النص من مداخل متعددة بوحى من العلاقات المتعددة التي تتحكم به فكان المنهج هنا منهجاً تحليلياً ، حاولنا أن نتعامل فيه مع النص من جهات مختلفة من أجل رسم تصوّر دقيق ومتكامل .

ومن مظاهر منهج الدراسة تعاملها مع المصادر من حيث الاختيار أولاً ثم التعامل مع الآراء والأحكام التي اشتملت عليها ، أما الاختيار فإننا حرصنا على أن يكون لكل فرع من الدراسات التي ترتبط بهذه الدراسة نصيبها من التطرق والمعالجة ، فكانت مصادرنا متنوعة إذ اشتملت على الكتب الأدبية البلاغية وكتب علوم القرآن والكتب اللغوية وكتب التراجم وغيرها من الكتب التي شعرنا بان لها حاجة لفهم مقاصد النص ، وإن كانت الكفة تُميل لصالح الدراسات النقدية والبلاغية لمساسها المباشر بأهداف الدراسة ، أما ما يمكن أن يذكر من صعوبات واجهت الباحثة في هذه الدراسة فهي تتمثل في الإطار الفكري الذي كانت تتحرك في ضوئه نصوص نهج البلاغة ، فضلاً عما يمكن أن يُسجل من انتماء هذا النص إلى مدرسة الإعجاز إذ يُعد امتداداً للقرآن الكريم والسنة النبوية

وقد اقتضت طبيعة الدراسة والبحث تقسيمه على تمهيدوبابين مسبوقةً بمقدمة وملحقةً بخاتمة.

اشتغل التمهيد على مفهوم الخطاب لغةً واصطلاحاً

اختص الباب الأول بالدراسة الموضوعية للخطاب في نهج البلاغة مؤزراً على أربعة فصول تناولت في الفصل الأول منه أركان الخطاب وفي الفصل الثاني تناولت أنواع الخطاب بحسب الجهة المؤجّه إليها الخطاب متمثلة في خطاب الخالق ، وخطاب الذات ، وخطاب الآخر ، وخطاب ما لا يعقل .

وإما الفصل الثالث فقد حمل عنوان موضوعات الخطاب في نهج البلاغة ودراسة هذه الموضوعات في صورة ثنائيات متضادة وأخرى متناغمة ، أما في المبحث الرابع فقد تطرقت إلى معالجة الأصوات الناطقة في الخطاب الذي يوحد الأنواع على وفق الموضوع الذي يعالجه .

أما الباب الثاني فقد كان حصّة الدراسة الفنية للخطاب في نهج البلاغة إذ جاء مقسماً على ثلاثة فصول ، عالج في الفصل الأول منه مسألة الجانب اللغوي التركيبي واقتصر فيه على ظواهر لغوية بارزة منها التقديم والتأخير ، والخبر والإنشاء وأغراضها ، وفي الفصل الثاني تناولت الصورة حثها وعناصرها ووسائلها ، أما الفصل الثالث فقد عالج مسألة الصوت وما اشتمل عليه الخطاب من ظواهر صوتية بارزة آزرت المعنى متمثلة في الجناس والتكرار والسجع ، ثم ختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة .

ولا بد لي قبل أن أختتم هذا البحث أن أتقدم بالشكر إلى المستحق الأول وهو الله تبارك وتعالى لتيسيره وتوفيقه لنا .

وما كان لهذا البحث أن يخرج بصورته النهائية لولا مساعدة المشرفة الأستاذ المساعد الدكتورة أمل عبد الجبار كريم الشرع ، فإنني اخصها بالشكر والامتنان لتفضلها بالإشراف على هذه الرسالة ، فقد حظيت الرسالة منها بوافر العناية ودقة المتابعة فأغنتها بتوجيهاتها وآرائها فلها مني كل الحب والاحترام وأخيراً لا يسعني إلا أن أقول بأنني قد بذلت ما بوسعي في أكمال هذا البحث وفاءً للغة العربية أولاً

ولصاحب الخطّاب ثانياً ، فإن أصبت فذلك أُملي ورجائي وإن أخطأتُ – فنحن بشرٌ
يقعُ منا الخطأ والسهو والنقصان – فالكمال لله وحده .



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
كلية التربية – قسم اللغة العربية

الخطاب في نهج البلاغة

دراسة موضوعية فنية

رسالة تقدمت بها الطالبة
إيمان عبد الحسن علي

إلى مجلس كلية التربية في جامعة بابل ، وهي جزء من
متطلبات نيل درجة ماجستير في اللغة العربية / أدب

بإشراف
أ.م.د. أمل عبد الجبار كريم الشرع

2008م

1429هـ

التمهيد

مفهوم الخطاب

الباب الأول

الدراسة الموضوعية للخطاب في نهج البلاغة

الفصل الأول : أركان الخطاب

الفصل الثاني : أنواع الخطاب

الفصل الثالث : موضوعات الخطاب

الفصل الرابع : الأصوات الناطقة في الخطاب

روافد البحث

المقدمة

الفصل الثالث : موضوعات الخطّاب في نهج البلاغة

- 1- الثنائيات المتضادة
 - التوحيد والشرك
 - الإيمان والكفر
 - الحق والباطل
- 2- الثنائيات المتناغمة
 - الدنيا والآخرة

الفصل الرابع : الأصوات الناطقة في الخطاب

- 1- صوت الحكيم .
- 2- صوت الفيلسوف .
- 3- صوت النبوءة .

الباب الثاني

الدراسة الفنية للخطاب في نهج البلاغة

الفصل الأول : اللغة (الجانب التركيبي)

الفصل الثاني : الصورة

الفصل الثالث : الصوت

المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
4 - 1	المقدمة
11 - 6	التمهيد :
12	الفصل الأول : الدراسات الموضوعية للخطاب في نهج البلاغة
14	المبحث الاول اولاً : اركان الخطاب
18	ثانياً : المُخاطَب
36 - 20	ثالثاً : الخطاب ووسائل نقله
20	رابعاً : الخطابة
28	الرسالة
47 - 36	المبحث الثاني : انواع الخطاب بحسب جهة التلقي
37	اولاً : المخاطب
37	ثانياً : خطاب الخالق
41	ثالثاً : خطاب الذات
42	رابعاً : خطاب الآخر
44	خامساً : خطاب مالا يعقل
44	خطاب الدنيا
45	خطاب المكان

رقم الصفحة	الموضوع
65 - 48	المبحث الثالث : موضوعات الخطاب في نهج البلاغة
49	اولاً : الثنائيات المتضادة
51	ثانياً : التوحيد والشرك

55	ثالثاً : الإيمان والكفر
58	رابعاً : الحق والباطل
62	خامساً : الدنيا والآخرة
74 – 66	المبحث الرابع : الاصوات الناطقة في خطابه نهج البلاغة
67	اولاً : صوت الحكيم
71	ثانياً : صوت الفيلسوف
73	ثالثاً : صوت النبوة
118 – 75	الفصل الثاني : الدراسة الفنية للخطاب في نهج البلاغة
- 76	المبحث الأول : اللغة الجانب التركيبي
79	اولاً : التقديم والتأخير
87	ثانياً : الخير والشر
87	ثالثاً : الخير
92	رابعاً : الانشاء
92	خامساً : الأمر
100	سادساً : النهي

رقم الصفحة	الموضوع
104	سابعاً : الاستفهام
112	ثامناً : النداء
139 – 120	المبحث الثاني : الصورة حدها وعناصرها ووسائلها
120	اولاً : حدّ الصورة وعناصرها
126	ثانياً : وسائل التصوير في خطابه نهج البلاغة
126	ثالثاً : التنبيه
132	رابعاً : الاستعارة
137	خامساً : الكناية
140	المبحث الثالث : الصوت

144	اولاً : الجناس
147	ثانياً : التكرار
147	- تكرار الحرف
150	- تكرار الكلمة
154	- تكرار الجملة
155	ثالثاً : السجع
156	- السجع المطرق
159	- السجع المتوازي
161	- السجع المُرَصَّع
163	الخاتمة
166	المصادر والمراجع
رقم الصفحة	الموضوع
A - D	ملخص باللغة الإنجليزية

الفصل الثاني : أنواع الخِطاب بحسب جهة التلقي

خطاب الخالق
خطاب الذات
خطاب الآخر
خطاب ما لا يعقل

الفصل الأول : أركان الخطاب

المخاطب
الخطاب ووسائل نقله

الفصل الأول : أركان الخطاب

- المُخاطب
- الخطاب ووسائل نقله

- الخطابة
- الرسالة

الفصل الثاني : أنواع الخِطَاب بحسب جهة التلقي

خطاب الخالق
خطاب الذات
خطاب الآخر
خطاب ما لا يعقل

الفصل الثالث : موضوعات الخُطاب في نهج البلاغة

- الثنائيات المتضادة
- التوحيد والشرك
- الإيمان والكفر
- الحق والباطل
- الثنائيات المتناغمة
- الدنيا والآخرة

الفصل الأول : أركان الخطاب

يتفق الباحثون على أنَّ أَّية محاولة لدراسة الخطاب بشكل عام تقتضي معرفةً بمكوناته الرئيسية ، وإذا تمعنَّا في النتاج العربي القديم فأدَّنا نجد حضوراً بارزاً وملموساً لمكونات الخطاب ، يتجلَّى لنا ذلك في حقلين من النتاج العربي القديم هما : حقل اللغة وحقل البلاغة والنقد .

ففي حقل اللغة نلحظ المبدأ الأساس لعملية التخاطب ، إذ إن النحو العربي قائمٌ على جهاز التخاطب المتكون من المخاطب والكلام والمخاطب . فقد كان سيبويه يعتني عناية كبيرة بوصف المقام وحال المخاطب والمتكلم وموضوع الخطاب⁽¹⁾ .

أما الحقل الثاني فهو حقل البلاغة والنقد القديم ، نجد فيه إدراك البلاغيين والنقاد للمبدأ الأساس لعملية التخاطب إذ ((لا يستطيع المتكلم أن يجعل كلامه في منأى عن إدراك المخاطب وفهمه فهو لا يستطيع الاستمرار في الكلام من غير معرفة بالظروف الاجتماعية والنفسية للمخاطب))⁽²⁾ .

فاستوعبوا العناصر الرئيسية المكونة للخطاب المتمثلة بالمرسل والمرسل إليه والرسالة ، ولعلَّ أول البلاغيين الذين اهتموا اهتماماً واضحاً بهذه العناصر هو بشر بن المعتمر (ت 210 هـ) في صحيفته المشتملة على نصائح للأديب .

يقول بشر : ((ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل حالة من ذلك مقاماً ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات))⁽³⁾ ، وكذلك قوله ((وللمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضغ بأن يكون من معاني العامة . وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال))⁽⁴⁾ و المتأمل لهذين النصين يلحظ بوضوح اشتمالهما على العناصر الرئيسية المكونة للخطاب ، فضلاً عن مطالبته ((بمراعاة الكلام لمقتضى الحال ، ويعدُّ هذا أساساً مهماً من أسس المخاطبة كي لا يدخل المخطِّب في معمياتٍ تنتهي به إلى ضياع الهدف من مقولته))⁽⁵⁾ .

وتتضح هذه العناصر أكثر عند الجاحظ في حديثه عن البيان ((البيان اسم جامع لكل شيءٍ كشف لك قناع المعنى {....} ، لأنَّ مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع ، إنما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن

(1)- ينظر نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث (رسالة ماجستير) : سحر كاظم حمزة ، كلية التربية ، جامعة بابل ، 1424 هـ - 2003 م : 34 .

(2)- مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه : كريم حسين ناصح ، مجلة المورد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، المجلد الثلاثون ، ع 3 ، 1423 هـ - 2002 م : 28 .

(3)- البيان والتبيين : 138/1-139 .

(4)- م ، ن : 136/1 .

(5)- الخطاب القرآني للأنبياء والرسول دراسة فنية (أطروحة دكتوراه) : نبيلة عبد المحسن حسن ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، 1422 هـ - 2001 م : 13 .

المعنى فذلك هو البيان ((⁽¹⁾). من خلال هذا التعريف نجد عناصر الخطاب⁽²⁾ ممثلة بـ :

- 1- القائل = المخاطب
- 2- السامع = المخاطب
- 3- الغاية = التأثير

ويعد أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) من البلاغيين والنقاد الذين تناولوا العناصر المكونة للخطاب في كتابه الصناعتين⁽³⁾، ولو انتقلنا إلى الناقد عبد القاهر الجرجاني لرأيناه يفصل القول في عناصر الخطاب يقول : ((فلو أنك عممت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته علماً كيف جاء واتفق ، وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه يُبنى وفيه أفرغ المعنى وأجرى ، وغيّرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد كما أفاد ، وبنسقه المخصوص أبان المراد نحو أن نقول في ((قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)) . ((منزل قفا ذكرى من نبك حبيب)) أخرجه من مجال البيان إلى مجال الهذيان ، نعم وأسقطت نسبته من قائله ، وقطعت الرحم بيكوبين منشئه ، بل أحلت أن يكون له إضافة إلى قائل ، ونسب يختص بمتكلم))⁽⁴⁾ فالمتأمل في هذا النص يجد اشتماله على عناصر الخطاب وهي القائل ، والمخاطب والقول ، فضلاً عن تحقيق الترابط والاتساق والانسجام بين أجزاء الكلام .

وأما الناقد حازم القرطاجني (ت 684 هـ) فقد أشار إشارة واضحة إلى هذه العناصر من خلال ذكره للأقاويل الشعرية بأنها ((تختلف مذاهبا وإنحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي يعتني فيها بإيقاع الحيل التي هي عمدة في إنهاض النفوس لفعل شيء أو تركه أو التي هي أعوان للعمدة وتلك الجهات هي ما يرجع إلى القول نفسه وما يرجع إلى القائل ، أو ما يرجع إلى المقول فيه ، أو ما يرجع إلى المقول له))⁽⁵⁾ فلو تأملنا هذا النص لوجدنا أن القرطاجني قد حدد هذه العناصر وهي⁽⁶⁾ :

- 1- ما يرجع إلى القول نفسه = الخطاب
- 2- ما يرجع إلى القائل = المخاطب
- 3- ما يرجع إلى المقول فيه = الموضوع
- 4- ما يرجع إلى المقول له = المخاطب

(1)- البيان والتبيين : 76/1 .

(2)- ينظر : نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث : 36-37 .

(3)- ينظر : الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية : محمد العمري ، منشورات دراسات سال ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1991م : 64 .

(4)- أسرار البلاغة في علم البيان : 2 .

(5)- منهاج البلغاء وسراج الأدباء : أبو الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الكتب الشرقية : 346 .

(6)- ينظر : الخطيئة والتكفير من النبوية إلى التشريعية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية : عبد الله محمد الغدامي ، النادي الأدبي الثقافي ، المملكة العربية السعودية ، 1405 هـ - 1985م : 15-16 .

نستنتج من ذلك أن من الباحثين من يؤكد على وجوب معرفة سياق التخاطب الذي يتألف من أركان عديدة هي المرسل : وهو المتكلم الذي ينتج القول ، والمتلقي : وهو المستمع الذي يتلقى القول ، والموضوع : وهو مدار الحديث الكلامي ، والمقام : وهو زمان ومكان الحدث وكذلك العلاقات بين المتفاعلين بالنظر إلى تعبيرات الوجه والإيماءات والإشارات ، والقناة : أي الوسيلة التي يتم بها التواصل كأن تكون كلام ، كتابة ، إشارة وشكل الرسالة : أي الشكل المقصود موعظة ، خطبة ، رسالة⁽¹⁾.
في حين يرى البعض أنه ليس من الضروري الاحتفاظ بكل هذه العناصر ، وإنما يمكن الاختصار على المتكلم والمخاطب والرسالة ، وهذا هو الأساس الذي يُسهم في فهم خطاب معين⁽²⁾.

وعلى الرغم من تعريف الخطاب بأنه مجموعة النتائج ((الفكرية التي يُراد إيصالها إلى متلقي عبر نصوص مكتوبة أو مسموعة أو مرئية تقدم موقفاً شمولياً أو جزئياً – في قضية – أو مشكلة قائمة أو مفترضة أي ما يُقدم من الفكر وجهة نظر في موضوع ما))⁽³⁾. إذ إن علاقة الفكر بالخطاب علاقة وطيدة فمن خلال الخطاب يتجلى لنا الفكر . إلا أن هذا النتاج الفكري لا يمكن أن يعد خطاباً إلا إذا تواجَدَ المتلقي لهذا النتاج ، إذ يُعبر الخطاب عن علاقة بين المنشئ الذي لديه الرغبة في إيصال الفكرة والمتلقي الذي يتلقى هذه الفكرة سواء أكان هذا التلقي إيجاباً أم سلباً⁽⁴⁾.
من هنا يتضح لنا أن عملية التخاطب تتألف من ثلاثة عناصر رئيسة تتمثل في المخاطب وهو منتج القول ، والخطاب ، والمخاطب وهو متلقي القول .
وسنحاول أن نسلط الضوء عليها لإعطاء صورة واضحة عن كل عنصر من أجل المساعدة في فهم خطاب الإمام علي (عليه السلام) .

المُخاطَب :

هو الشخص الذي يتبوأ المكانة الأولى في عملية التخاطب بوصفه المنتج للنص ، وقد تعددت التسميات التي تُطلق على المخاطب منها : الباث ، المتكلم ، المُوجه ، المتحدث ، المصدر ، المرسل⁽⁵⁾.

وعلى الرغم من تعدد هذه التسميات إلا أننا آثرنا مصطلح (المخاطب) في دراستنا هذه لما فيه من سمة الشمول من حيث أننا نرى اشتغالها على التسميات الأخرى وانضواء تلك التسميات تحت لوائها .

(1)- ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى ، 1991م : 52-53 .

(2)- ينظر : م ، ن : 297 .

(3)- الخطاب العلماني العربي المعاصر تاريخه وبنيته الموضوعية : عبد الأمير زاهد ، مجلة المناهج ، ع 27 ، س 7 ، 2002م : 12 .

(4)- ينظر : م ، ن : 12 .

(5)- ينظر : نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث : 65 .

إذن يرتبط الخطاب بالمخاطب بعلاقة جدلية إذ لا يمكن أن نتخيل نصاً مجرداً عن قائله⁽¹⁾، فوظيفة المنتج في الخطابات الأدبية أخذت تتأكد ((من أين أنت ؟ ومن كتبها))⁽²⁾ لذلك وجب أن نتعرف على المُخاطب في نهج البلاغة .
إن الرؤية الكلية للسياق الخطابي في نهج البلاغة تؤكد حقيقة لا شك فيها هي أن صاحب الخطاب فيه هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) على الرغم من تعدد الأدوار التي يأتي بها .

إن ثمة علاقة مترابطة بين (الخطاب) وبين (المخاطب) قوة وضعفاً إذ يقوى الخطاب بقوة المخاطب ويضعف بضعفه لاسيما إذا علمنا أن الخطاب يمثل سعيًا في التكامل ومحاولة في سد النقص الإنساني . فتبعاً لذلك يكتسب الخطاب القوة من شخصية المخاطب ، وفي موضع حديثنا فإن الإمام علياً (عليه السلام) ((مظهر فذ من مظاهر التكامل الإنساني ونموذج بارع من نماذج التفوق البشري ، ومثال لبلوغ الاستعداد الكامل في النسم ، وقد اجتمعت إليه أسباب عديدة من الطبيعة أو الفطرة ، والوراثة والبيئة والتربية ، حتى قهت فيه تلك الشخصية الكبيرة والوراثة العربية بالبيئة السامية))⁽³⁾، هذه الشخصية التي توافرت فيها كل هذه المميزات لا يمكن أن تكون شخصية أديب نمطي ، ولكنها ((شخصية الأديب المجرب الذي يختزن الأحداث والذكريات ويغوص في أعماق النفسيات ويدير لبذكائه الفروق بين الشخصيات ، وعنده من قوة الخلق ما يستطيع أن يكون نموذجاً بشرياً يفكر على مثال النموذج الذهني الذي تكون عنده وينطق بالأفكار والكلمات التي تؤكد هذه الشخصية ويحاور حوار الحاذق البارع ليصل إلى الرأي والفكرة ويعبر عن اللمحة والعاطفة))⁽⁴⁾ لهذا فإن الإمام علياً (عليه السلام) الذي اشتملت شخصيته على كل هذه الخصائص مما أهله لأن ينتج نصاً بهذا المستوى الذي بدا فيه الإمام مضطلعاً بالقول وفنونه .

إن تفحص نصوص نهج البلاغة زواها موزعة بين أن تكون نصوصاً شفاهية تتمثل في خطبه التي ألقاها وكتايبية تتمثل في رسائله التي بعث بها إلى ولاته وكل من له موقف إيجابي أو بعث بها إلى أعدائه ومن هم ليسوا في صفه ، وقد تكون نصوصه حكماً ووصايا نفت بها لسانه ، ومن ثم يمكننا دراسة هذه النصوص على وفق الشكل الذي ترد فيه لنقل الخطاب .

الخطاب :

- (1) - ينظر : الكتاب والتناسخ مفهوم المؤلف في الثقافة العربية : 137 .
(2) نظام الخطاب وإرادة المعرفة : ميشيل فوكو ، ترجمة : احمد السلطاني وعبد السلام عبد العالي : 19 .
(3) - الإمام الحسين سمو المعنى في سمو الذات : عبد الله العلايلي ، مطبعة عيسى البابي ، مصر ، 1358هـ - 1939م : 42 .
(4) - دفاع عن فن القول : عبد الكريم غلاب ، الدار العربية للكتاب ، مطابع دار القلم ، تونس ، 1984م : 164 .

يستعمل الباحثون تسميات مـ مختلفة للدلالة على النص المنتج منها رسالة ، خطاب ، بلاغ⁽¹⁾، وقد رجحنا استعمال مصطلح (الخطاب) لأدنه مصطلح عام يشمل كل نوع أدبي يمثل الخطاب ((نقطة الارتكاز))⁽²⁾ التي تنتصب من فوقها عملية التخطيب ، إذ يأتي الخطاب على أشكال عـة فقد يكون رسالة ، خطبة ، موعظة ، حكمة ، وصية ، وغير ذلك ، وأشكال الخطاب في نهج البلاغة التي سجلت حضوراً بارزاً . إما أن تكون شفاهية كالخطبة أو أن تكون كتابية كالرسالة .

1- الخطابة :

تعرف الخطابة بأنها ((القدرة على النظر في كل ما يوصل إلى الإقناع في أي موضوع من الموضوعات))⁽³⁾، إذ تنتمي إلى جنس الكلام المنثور الذي يكون أساسها ((الطبع وعمودها الدربة وجناحها رواية الكلام ، وحليها الإعراب ، وبهاؤها تحو الألفاظ))⁽⁴⁾ إذ يسعى الخطيب إلى إقناع المخاطبين بالكلمة والإيقاع والإشارة أثناء الإلقاء وهذا مما يميزه عن الكاتب أثناء كتابة رسالته ، لأنّ المخاطب في الخطب يستخدم حاسة السمع والبصر بينما في الرسائل ينتهي دور السمع⁽⁵⁾ .

تعد الخطابة ركناً أساسياً من أركان الحياة الاجتماعية في أي عصر لكل أمّة من الأمم تتجلى وظائفها في ((الدفاع عن الرأي وتنوير الرأي العام في أي أمر من الأمور والحض على الاقتناع بمبدأ من المبادئ ، والتحريض على اكتساب الفضائل والكمالات واجتناب الرذائل والسيئات ، وإثارة شعور العامة وإيقاظ الوجدان والضمير فيهم))⁽⁶⁾ .

وعليه يصبح هذا الفن من الفنون الأدبية المتكاملة على مستوى البناء الفني ((تجمعها وحدة بنيوية متألّفة متآزرة متناسقة ، تتميز بمراعاة المساواة ما بين أجزاء الكلام ، وحسن الترتيب والتنظيم والتدرج من المقدمة ((النظرية)) إلى العرض فالخاتمة ((البرهان))⁽⁷⁾، فهي تتجه إلى مخاطبة عقل الإنسان بالإقناع وعاطفته بالتأثير⁽⁸⁾ .

وأما بالنسبة لأهميتها فأنها تأتي لكونها ((تتوجه توجهها مباشراً إلى جمهور المتلقين وتقيم معهم حواراً قائماً على الإقناع ، مستعينة بمعطيات الشفوية الخطابية القائمة على دراسة أحوال السامعين ومراعاة ميولهم وعواطفهم واتجاهاتهم))⁽⁹⁾ .

- (1)- ينظر : نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث : 13 .
- (2)- في قراءة النص : قاسم المومني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1999م : 5 .
- (3)- كتاب الخطابة : أرسطو طاليس ، ترجمة وتحقيق : إبراهيم سلامة ، منشورات مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، الطبعة الثانية ، 1372هـ - 1953م : 82 .
- (4)- البيان والتبيين : 92/1 .
- (5)- ينظر : ومدخل إلى علوم نهج البلاغة : 13 .
- (6)- المنطق : محمد رضا المظفر ، منشورات دار العلم ، قم ، إيران : 3 / 368 .
- (7)- التعبير الوظيفي : مجد محمد ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 1989م : 124 - 125 .
- (8)- ينظر : الخطابة في صدر الإسلام : محمد طاهر درويش ، دار المعارف ، مصر : 1/1 .
- (9)- الخطاب القرآني للأنبياء والرسول دراسة فنية : 14 .

وعليه فإن الخطابة ((شفاهية لا كتابية وشعرية الشفاهية أندر بضاعة وأدل على تمكن صاحبها من فنه))⁽¹⁾.

وقد اقترنت الخطابة في الأدب العربي باسم ((علي بن أبي طالب وسارت بلاغته فيها مسير الأمثال))⁽²⁾ فهو - بلا شك - أمير الخطابة والبيان وله أسلوب بارع أسهمت الكثير من العوامل في صقله ، لعل من أبرزها تتلمذه للقرآن الكريم وتربيته في بيت الوحي⁽³⁾ ، فضلاً عما أسهم في بناء نصه من أزمات سياسية لازمت مدته حياته إلى جانب غايته العظمى التي نهض لها المتمثلة في إحداث ثورة اجتماعية شاملة على ما كان سائداً من ثقافات اجتماعية غير مقبولة .

وقد أعترف الأدباء له بالزعامة في هذا الفن ، إذ أرتقت الخطابة في أليمه مقارنة بالخطباء الآخرين⁽⁴⁾ حتى عُدَّ ((فحل الخطباء وسد الفصحاء))⁽⁵⁾.

وعليه تمثل الخطابة عند الإمام علي (عليه السلام) في نهجه أداة الدعوة إلى الرأي والعقيدة في مختلف شؤون الحياة السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية لهذا بدأ بإطلاق كلمته ((قبل أن يسأل حسامه وأن يعذر بحجته قبل أن يشن هجومه وربما كانت الكلمة البليغة أمضى من السيف وافعل من الرمح))⁽⁶⁾ . إذ كونت الخطابة المساحة الأوسع في خطابه ، فضلاً عن تنوعها على وفق الموضوعات التي تعالجها ، فنجد الخطب الدينية والسياسية .

أ - الخطابة الدينية : تدور موضوعات الخطابة الدينية في نهج البلاغة حول ((الدين وكل ما يتعلق به من وعظ وإرشاد وحث على فعل الخير ، واجتناب الشر وتقرب إلى الله))⁽⁷⁾ ، لعل من أبرز هذه الموضوعات الدينية عرض المسائل التوحيدية من ذلك قوله (عليه السلام) ((الحمد لله الذي لا يبلغ مدحنا القائلون ، ولا يحصي نعماء العاذون ، ولا يؤذي حق المجتهدين ، الذي لا يترككم بعد الهمم ، ولا يتألم غرض الفطن ، الذي ليس لصفه حد محدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت معدود ولا

(1)- شعرية النشر في صدر الإسلام - خطبة الإمام علي (عليه السلام) مثلاً : عباس محمد رضا حسن ، جامعة القادسية ، كلية الآداب ، مجلة اللغة العربية وآدابها ، ع2 ، شباط 2002م : 97 .

(2)- الثقافة الأدبية للطالب : علي جواد الطاهر ، دار الرائد العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1987م : 88 .

(3)- ينظر : الإمام علي ومدرسة القرآن : 2 / 121 .

(4)- ينظر : مقدمة في النقد الأدبي : علي جواد الطاهر ، منشورات المكتبة العالمية ، بغداد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1983م : 144 .

(5)- تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام : محمد حسن درويش ، مؤسسة نبع الفكر العربي للطباعة ، مصر ، 1391هـ - 1971م : 313 .

(6)- الخطابة في صدر الإسلام : 1 / 4 .

(7)- الخطابة في صدر الإسلام : 1 / 20 .

أَجَلٌ مَمْدُودٌ . فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِتُدْرِكِهِ ، وَنَشَرَ الرِّيحَ بِرَحْمَتِهِ ، وَوَدَّ بِالضُّخُورِ مَيْدَانَ أَرْضِهِ⁽¹⁾)) إذ تعرّض الإمام لصفات توحيدية في خطبته بأسلوب تفصيلي .

ومن ذلك أيضاً قوله (عليه السلام) في خطبة له ينبه فيها على إحاطة علم الله بالجزئيات ، ثم يحث على التقوى ويبين فضل الإسلام والقرآن ((يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ ، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ ، وَأَخِلَافَ النِّينَانِ فِي الْبَحَارِ الْغَامِرَاتِ ، وَكَلَامِ طَرْمِ الْمَاءِ بِالرِّيحِ الْعَاصِفَاتِ ، وَاشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُ اللَّهِ ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ)) ثم ينتقل الإمام إلى عرض الموضوع الأساس وهو التقوى ((فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَبَدًا خَلَقَكُمْ ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى مَرْغَبَتِكُمْ ، وَفَحْوَلُ قَصْدِ سَيَالِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مِرَامِي مَفْرَعَتِكُمْ ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ ذَوَاءُ دَاءٍ قُلُوبِكُمْ)) فالإمام (عليه السلام) يوصي بالتقوى لأنها ((أقوى موجه للإنسان بسيطرته على ذاته ومراقبتها واجتناب الذنوب والمعاصي))⁽²⁾، ثم يختتم الإمام خطبته بمذكر فضل القرآن بقوله : ((ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ نُورًا لَا تَطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَسِرَاجًا لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ ، وَبَحْرًا لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ))⁽³⁾، فالإمام في خطبه الدينية يعرض لـ ((تأملات عميقة ونظرات ما وراءية واسعة الآفاق))⁽⁴⁾ إذ أنّ مهمة الإمام علي (عليه السلام) قد ((تحدّثت منذ الساعات الأولى تجاه دين هذا الإله دفاعاً عنه بيده ولسانه))⁽⁵⁾، لأنّ الدين يُشكّل ((الأساس المنظم للمجتمع العربي وهو الدستور الشامل للحياة))⁽⁶⁾.

وقد ترد الخطبة للتحذير من الدنيا من خلال وصفها بقوله : ((مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أُولَاهَا عَنَاءٌ ! وَآخِرُهَا فَنَاءٌ ! فِي حَالِهَا حِسَابٌ ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ . مَنْ أَسْغَى فِيهَا فَنِينَ

(1)- نهج البلاغة : 17 .

(2)- خطب نهج البلاغة دراسة توصيلية (رسالة ماجستير) : فاتن فاضل العبيدي ، كلية التربية ، جامعة بابل ، 1426 هـ - 2005 م : 163 .

(3)- نهج البلاغة : 393 - 397 .

(4)- الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم : حنا الفاخوري ، منشورات ذوي القربى ، مطبعة سليمان زادة ، الطبعة الثالثة ، 1427 هـ : 344 .

(5)- رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة فنية (رسالة ماجستير) : كامل حسن البصير ، جامعة بغداد ، 1385 هـ - 1965 م : 360 .

(6)- خطب نهج البلاغة دراسة توصيلية : 149 .

، ومن أفتش فيها حزن، ومن ساعاها فائتة،
ومن أبصر إليها أعظم⁽¹⁾.

ب- الخطابة السياسية : تدور موضوعات هذا النوع من الخطب إذ تتعرضُ الخطب السياسية في نهج البلاغة لشؤون الخلافة والحكم وولاية أمور الناس . وقد ازدادَ هذا النوع من الخطب بسبب ((تفاقم الأزمات في حياته السياسية ونهوضه بثورة اجتماعية جذرية))⁽²⁾، فضلاً عن ((كثرة الأعداء وفتح المواجهة الكلامية معهم بحاجة إلى خطاب يركز على المحاجبة والأدلة القاطعة))⁽³⁾. ففي قوله (عليه السلام) ((أيها الناس ! إن لي عليكم حقاً، ولكم علي حق : فأما حقكم علي : فالنصيحة لكم، وتوفيق فيكم عليكم، وتعليمكم كيلاً تجهلوا، وتأيديكم كيماً تعلموا . وأما حقّي عليكم : فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين أمركم))⁽⁴⁾، فالخطاب ((تعبيريّ شمولي في الخطاب العام الذي يشمل كل الأمة))⁽⁵⁾، لأنَّ الأمة هي الشعب كله ، فتراه (عليه السلام) يعمدُ إلى مخاطبتهم ببساطة على الرغم من أنه ((يقرُّ أمراً خطيراً وهو حق الحاكم على الأمة وحق الأمة عليه))⁽⁶⁾ مع ملاحظة أنَّ الإمام ينطقُ فيه بصوت حاكم الأمة . ومن ذلك قوله (عليه السلام) ((الحمد لله وإن أتى الداهي بالخطب الفادح، والحدّث الجليل، وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له، ليس معي إله غيري وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله . أما بعد، فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب، تورثُ الحسرة، وتُعقبُ الندامة وقد كنتُ أمرُ تكمر في هذه الحكومة أمري، ودفعتُ لكم مخزون رأيي، لو كان يطاع لقصير أمر ! فأينم علي إباء المخالفين الجفاة والمنابدن

(1)- نهج البلاغة : 119 .

(2)- رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة فنية : 83 .

(4)- نهج البلاغة : 77 .

(5)- مناهج الحدّثة لنهج البلاغة : عبد العزيز عبد الله الحبيب : 93 .

(6)- فن الخطابة والتبليغ الإسلامي : شمران العجلي ، مؤسسة البلاغ للطباعة ، سوريا ، الطبعة الأولى ، 1424 هـ - 2004 م : 208 .

تُأنا وإياكم كما

العصاة، حَتَّى أُرْقَابَ النَّاصِحِ بُتْصَحِهِ، وَضَنَ الزَّنْدِ بُتْدَحِهِ، فَكُنْ

هَوَازِنَ:

أَمْرَ تَكْمُرِ أُمْرِي بِمُنْعَجِ اللَّوِيِّ فَلَمْ تَسْنِينُوا النَّصْحَ إِلَهَ (عليه السلام) فَالْفَلَاحِظِ

على هذا الخطاب أنه (عليه السلام) قد بدأه بحمد الله مما أضفى سمة الهيبة والوقار على الخطاب ، ثم انتقل إلى عرض فكرة الخطبة بصورة متسلسلة بعدها ختم الخطبة ببيت شعر للشاعر دريد بن الصمة ، إذ إن الاستشهاد بالشعر في الخطب السياسية يأتي ((مكملاً للمعنى ومكتفياً له ومجسداً للفكرة)) (2)،

وقد يأتي الخطاب السياسي موجهاً إلى شخصين محددين وذلك تبعاً لما يتطلبه الموقف الكلامي من ذلك قوله (عليه السلام) لطلحة والزبير، بعد بيعته بالخلافة ، وقد عتبا عليه من ترك مشورتها والاستعانة في الأمور بهما ((لَقَدْ

تَقَمَّنَا يَسِيراً وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً . أَلَا تُخْبِرَانِي ، أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْنَا عَنْهُ ؟

أَمْ أَرَأَيْ قَسْرَ اسْتَأْذِنْتَ عَلَيْكُمَا بِهِ ؟ أَمْ أَرَأَيْ حَقَّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعَفْتُ عَنْهُ ،

أَمْ جَهَلْتُهُ ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ ؟ !)) (3) فالإمام علي (عليه السلام) في خطابه هذا

يسعى إلى تفنيد آرائهم وإبطال حججهم ، وقد يأتي الخطاب موجهاً إلى شخص واحد

من ذلك قوله (عليه السلام) للمغيرة بن الأحنس : ((يَا بَنَ اللَّعِينِ الْأَبْنَى ، وَالشَّجَرَةَ النَّيِّ

لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ أَنْ لَأَتَّ كَفِينِي ؟ ! فَوَاللَّهِ مَا اعْزَلَ اللَّهُ مِنْ أَنْتَ نَاصِرَةً ، وَلَا قَامَرَ مَنْ أَنْتَ

مَنْهَضُهُ)) (4)، ومن ذلك أيضاً ما ورد في قوله (عليه السلام) للبرج بن مسهر

الطائي (5) عندما سمعه يقول لا حكم ألا لله ((اسْكُتْ قَبْحَكَ اللَّهُ يَا اثْرَمُ ، فَوَاللَّهِ

لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتُ فِيهِ ضَمِيلاً شَخْصُكَ ، خَفِيّاً صَوْتُكَ ، حَتَّى إِذَا نَعَى الْبَاطِلُ نَجَمَتْ نَجُومَ

قَرْنِ الْمَاعِزِ)) (6) فالخطاب هنا إسكاتي .

(1)- نهج البلاغة : 77 - 78 . والبيت الشعري لدريد ابن الصمة : ديوان دريد بن الصمة : 61 .

(2)- الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي : غانم جواد رضا ، منشورات جامعة بغداد ، العراق ، 1976م : 168 .

(3)- نهج البلاغة : 405 .

(4)- نهج البلاغة : 243 .

(5)- البرج بن مسهر بن جلاس بن الأرت الطائي : شاعر من شعراء الخوارج ، كانت إقامته في

ديار طيء بنجد : ينظر : الأعلام : 2 / 47 .

(6)- نهج البلاغة : 337 .

نستنتج مما سبق تنوع الخطابة في النهج على وفق الموضوعات التي تطرقها ، فضلاً عن تنوع المخاطبين ، فقد يأتي الخطابُ خاصاً أو عاماً حسب ما يقتضيه المقام ويتطلبه الحال ، فضلاً عن أنَّ الجهة المتلقية للخطاب قد تكون منسجمة مع خطاب الإمام أو مختلفة معه .

ومما ينبغي الإشارة إليه شدة ارتباط الدين مع السياسة ولم ينفصل عنها أبداً . وأما الخطيبُ فهو الركن الأساس في الفن الخطابي ، وقد اشترط الجاحظ شروطاً في الخطيب يوضحها بقوله ((أن يكون الخطيبُ رابطاً الجأش ، ساكناً الجوارح ، قليلَ اللحظ ، متخيراً اللفظ ، لا يكلمُ سيِّد الأُمّة بكلام الأُمّة ، ولا الملوك بكلام السوقة ، ويكونُ في قُواه فضلُ التصرف في كلِّ طبقة))⁽¹⁾ ، فلا بد من توافر هذه الشروط في الخطيب حتى يؤثر في المخاطبين بقوة شخصيته ، فضلاً عن قوة آرائه⁽²⁾ ، أي إن ((الخطيب الماهر من مُنحِ فراسة مبلغ اهتمامهم ونواحي تأثرهم فيستغل ذلك أحسن استغلال في استمالتهم))⁽³⁾ ، فالذي يحمل المستمعين على التصميم والعمل ويملك قدرة على تسلسل الأفكار منطقياً وبراعة في التعبير عن الهدف المنشود الذي يرمي إليه⁽⁴⁾ . يُعدُّ خطيباً ناجحاً والذي يتفحصُ خطب الإمام علي (عليه السلام) يجد أنها قد قيلت في مناسبات مختلفة مراعيًا فيها أحوال المخاطبين . لأنَّ ((الخطاب الذي ينبثق وينبعث ضمن الإطار الإسلامي ينبغي أن يخاطب الناس على قدر عقولهم))⁽⁵⁾ .

2- الرسالة :

الوسيلة الكتابية الثانية التي شكَّلت حضوراً بارزاً في نهج البلاغة ، تُعرَّف الرسالة بأدائها ((ما يكتبه امرؤ إلى آخر مُعبّراً فيه عن شؤون خاصة أو عامة))⁽⁶⁾ ، فهي ((النص المدوّن الذي يبعثه المرسل إلى المرسل إليه))⁽⁷⁾ . إذ تُعدُّ من الفنون الأدبية التي عرفها الأدب منذ أقدم عصوره تقوم على أساس أن هناك خطاباً يوجّهه شخص إلى شخص محدد معروف من الكاتب ، أما أن

(1)- البيان والتبيين : 1 / 92 .

(2)- ينظر : فن الخطابة وتطوره عند العرب : إيليا الحاوي ، دار الثقافة ، بيروت : 17 .

(3)- التوجيه الأدبي : 44 .

(4)- ينظر : الأدب - تعريفه ، أنواعه ، مذاهبه : انطونيوس بطرس ، المؤسسة الحديثة ، طرابلس ، لبنان - 2005م : 18 .

(5)- الخطاب الثقافي بين المثالية والواقعية : مصطفى السادة ، المستقبل للثقافة والأعلام ، مجلة النبأ ، ع 51 ، س 6 ، 1421هـ - 2000م : 36 .

(6)- المعجم الأدبي : جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1979م : 122 .

(7)- الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي : 16 .

يكون والياً⁽¹⁾، قائداً ، قاضياً ، أو إلى جماعة معينة ، يطلب منهم العمل بموجب مراكزهم الإدارية ؛ لأن طبيعة المسؤولية الرسمية التي كان يتسلمها تفرض عليه مثل هذه الكتب وتوجيهها إلى أتباعه أو أعدائه ضمن المؤسسة الإسلامية أو خارج هذه المؤسسة⁽²⁾.

وقد ذكر الناقد أبو هلال العسكري أوجه الشبه والاختلاف بين الرسائل والخطب بقوله : ((إن الرسائل والخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية ، وقد يتشاكلان أيضاً من جهة الألفاظ والفواصل ، فألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتاب في السهولة والعذوبة وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل ، ولا فرق بينهما إلا أن الخطبة يُشَافه بها ، والرسائل يُكْتَبُ بها))⁽³⁾.

أما من حيث طول الرسالة فإن الإمام علياً (عليه السلام) قد ((يميل إلى الإيجاز تارة وإلى الإطناب تارة أخرى بحسب ما يقتضيه المقام))⁽⁴⁾. ومما ينبغي الإشارة إليه أن الإمام علياً (عليه السلام) ((لا يغفل عقلية المرسل إليه ولا اتجاهه الديني أو واقعه السياسي))⁽⁵⁾ لهذا جاءت رسائله متنوعة الأغراض وانقسمت على قسمين رسائل سلطانية وأخرى إخوانية .

أ- الرسائل السلطانية : وهي ((الرسائل العامة أو الرسائل الرسمية))⁽⁶⁾ وقد تسمى الرسائل الديوانية إذ يتمثل هذا النوع من الرسائل في الرسائل السياسية والعسكرية ورسائل العهود والأحلاف والتهديد إذ ترمي إلى غرض سياسي أو ديني⁽⁷⁾، من ذلك

قوله (عليه السلام) إلى شريح بن هانئ⁽⁸⁾ (يَا شَرِيحُ أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ كَيْتِكَ ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً ، وَيُسَلِّمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً ، فَانْظُرْ

(1)- الولاية : هم ((رجال الإدارة وأيدي الحاكم التي تمتد في أطراف بلاده ، والأداة التي يستعين بها على تنفيذ أمره)) دراسات في نهج البلاغة : محمد مهدي شمس الدين ، المؤسسة الدولية ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، 1422 هـ - 2001 م : 199 .

(3)- كتاب الصناعتين - الكتابة والشعر : تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1998 م : 136 .

(4)- روائع البيان في خطاب الإمام الجوانب البلاغية واللغوية في بيان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : رمضان عبد الهادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1423 هـ - 2002 م : 133 .

(5)- رسائل الإمام علي دراسة فنية :

(6)- التوجيه الأدبي : 15 .

(7)- روائع البيان في خطاب الإمام الجوانب البلاغية واللغوية في بيان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : 134 .

(8)- شريح بن هانئ بن يزيد الحارثي : راجز ، شجاع ، من مقدمي أصحاب الإمام علي (عليه السلام) ، كان أميراً من أمراء جيشه في معركة الجمل ، قتل بسجستان سنة (78 هـ) : ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1415 هـ : 3 / 308 ، والأعلام : 3 / 162 .

يَا شَرِيحُ لَا تَكُونُ ابْنَعْتَ هَذِهِ الدَّامِرَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ تَقْدَتِ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالٍ⁽¹⁾!
فالإمام في هذه الرسالة يُؤَنِّبُ المخاطَبَ على فعله .

ومن ذلك ما ورد في قوله (ع) إلى أشعث بن قيس ((وَإِنْ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ
بِطُعْمَةٍ، وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْرِعِي لِمَنْ فَوْقَكَ، لَيْسَ لَكَ أَنْ تُفَاتَ فِي مَرَعِيَّةٍ
، وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَيْقَتِهِ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْتَ مِنْ خَزَائِنِهِ حَتَّى
تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرَّ وَلَاتِكَ لَكَ، وَالسَّلَامُ))⁽²⁾. ومن رسائله الرسمية ما
بعث بها إلى عثمان بن حنيف الأنصاري⁽³⁾ يؤنبه على فعل صدر منه ((أَمَّا بَعْدُ، يَا
بْنَ حَنِيفٍ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِئَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَادُبَةٍ، فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا،
تُسَطَّابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجَفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَادِلُهُمْ مَجْفُورُ
، وَغَنِيهِمْ مَدْعُورُ))⁽⁴⁾. فالملحظ على هذه الرسالة شدة اللهجة التي يُخاطَبُ الإمام بها
أحد عماله .

ومن رسائله الدينية تلك التي وجهها إلى سلمان الفارسي⁽³⁾ يحذره فيها من
الدنيا ((أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا مِثْلُ الدُّنْيَا مِثْلُ الْحَيَةِ: لَيْسَ مَسْهَاً، قَاتِلُ سُمِّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ
فِيهَا، لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعِ عَنْكَ هُمُومَهَا، لِمَا أُيْقِنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَضَرُّفِ حَالَاتِهَا،
وَكَنْ آتِسَ مَا تَكُونُ فِيهَا، احْذَرِ مَا تَكُنُ مِنْهَا، فَإِنْ صَاحِبَهَا كَلَّمَا اطمأن فيها))⁽⁴⁾.

وحين يصدر من القائد العسكري ما يوجب اللوم عليه ، فلا بد أن يُلام على
فعله وسوء إدارته من ذلك ما ورد في رسالة له إلى كميل بن زياد

(1)- نهج البلاغة : 461 .

(2)- نهج البلاغة : 529 .

(3)- سلمان الفارسي : ((أبو عبد الله ، ويقال له سلمان الخير ، أصله من اصبهان)) تقريب
التهذيب : ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت
، 1415 هـ : 1 / 268 ، وهو الذي دلَّ المسلمين على حفر الخندق في غزوة الأحزاب حتى
اختلف عليه المهاجرون والأنصار ، كلاهما يقول : سلمان مِنَّا فقال رسول الله : سلمان مِنَّا أهل
البيت)) الأعلام : 1 / 111 .

(4)- نهج البلاغة : 587 .

النخعي⁽¹⁾ ((أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ تَصَيَّحَ الْمَرْءُ مَا وَلِيَ، وَتَكَلَّفَهُ مَا كَفَى، لَعَجَزُ حَاضِرٌ، وَرَأْيُ مُنْبَرٍ، وَإِنْ تَعَاطَيْكَ الْغَارَةُ عَلَى أَهْلِ قَرْقِيسِيَا، وَتَعَطَّيَكَ مَسَالِحُكَ النَّبِيِّ وَلَيْتَاكَ. لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا، وَلَا يَنْذُرُ الْجَيْشَ عَنْهَا، لَرَأْيُ شُعَاعٍ، فَقَدْ صِرْتَ جَسْرَ الْبَلَدِ أَرَادَ الْغَارَةُ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ، غَيْرَ شَدِيدِ الْمَنْكِبِ، وَلَا مَهِيبِ الْجَانِبِ، وَلَا سَادِ ثَغْرِ، وَلَا كَاسٍ لَعْدُو شَوْكَةٍ، وَلَا مَغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرٍ، وَلَا مُجْزٍ عَنْ أَمِيرٍ))⁽²⁾، فالإرسال موجّه إلى أحد أخلص أصحاب الإمام علي (عليه السلام) وأشتهم صلابة في ولائه، وكان عاملاً على مدينة هيت، إذ شَبَتْ معركة مع أهل قرقيسيا أدت إلى ضعف الحاميات العسكرية، ومن ثم تمكنت عصابات معاوية من الإغارة من دون أن يتمكن من التصدي لها، فأنكر الإمام فعله ووبخه على سوء إدارته⁽³⁾؛ لأنَّ الإمام لا تأخذه في الحق لومة لائم.

وقد تأخذ الرسالة عند الإمام علي (عليه السلام) شكل العهد من ذلك عهده إلى مالك الاشتهر⁽⁴⁾ لما ولّاه على مصر ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ اللَّاسِثِيُّ، فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ: جَبَايَةَ خَرَاجِهَا وَجِهَادَ عَدُوِّهَا وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا. أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَإِثَارِ طَاعَتِهِ، وَإِقْبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ))⁽⁵⁾، وتُعَدُّ من أطول رسائله إذ بلغت ((حداً كبيراً في الإفاضة وطول النفس))⁽⁶⁾. ونتيجة لتأزم الوضع السياسي فقد شكّلت الرسالة أداة مهمة للتفاوض وشرح وجهات النظر وتفنيد الآراء بإيراد

(1)- كميل بن زياد النخعي: أحد أصحاب الإمام علي (عليه السلام) كان شريفاً، ثقةً، مطاعاً في قومه، شهد صفين مع الإمام علي، وسكن الكوفة، قتله الحجاج سنة (82 هـ) ينظر: الطبقات الكبرى: ابن سعد (ت 230 هـ) دار صادر، بيروت: 6 / 179، وميزان الاعتدال في نقد الرجال: محمد بن أحمد الذهبي (ت 748 هـ): تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت: 3 / 415.

(2)- نهج البلاغة: 576.

(3)- ينظر: دراسات في نهج البلاغة: 93 – 94.

(4)- مالك الاشتهر: مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي، أمير، من كبار الشجعان، أحد أصحاب الإمام علي (عليه السلام)، شهد معه يوم الجمل، وصفين، ولّاه الإمام علي على مصر. قال الإمام في حقّه: رَحِمَ اللَّهُ مَالِكاً فَلَقَدْ كَانَ لِي كَمَا كُنْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ، ينظر: الأعلام: 5 / 259.

(5)- نهج البلاغة: 544.

(6)- الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 148.

الحجج ، من ذلك ما ورد في رسالة له إلى أعدائه ما وجهه إلى معاوية بن أبي سفيان ((فسيطلبك من تطلب ويترب فيك ما تسبعد ، وأنا من قل نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان شديد زحامهم ، ساطع قنামهم ، منسرين سرايل الموت ، أحب إليهم لقاء منهم وقد صحبهم ذرية بدريته وسيوف هاشمية قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك * وما هي من الظالمين بعيد))⁽¹⁾ ((⁽²⁾ فالملاحظ على هذه الرسالة أنها امتازت ((بتعابير شديدة الوقع قوية اللهجة))⁽³⁾ جاءت مناسبة لمعنى الوعيد والتهديد ، فضلاً عن جعل خاتمة رسالته آية قرآنية مما أكد المعنى من خلال التعريض .

ومن ذلك أيضاً رسالته إلى معاوية يقول (عليه السلام) ((وكيف أنت صانع إذا تكشفت عنك جلايب ما أنت فيه من دنيا قد تبهجت بزيتها ، وخدعت بلبذتها ، دعئك فأجبها ، وقادتك فاتبعها وأمرتك فاطعها))⁽⁴⁾ فلهجة الرسالة هنا لهجة تحذيرية ؛ لأن الإمام علياً (عليه السلام) بتحذيره معاوية كان ((يرى أنه لا بد من أداء اللواجب الشرعي ، والدعوة إلى الله ، وترك ما يتعارض وأصل الدين))⁽⁵⁾ . وعليه فإن الرسائل السياسية الموجهة من قبل الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية قد صوّرت لنا طبيعة الصراع وحقيقتَهُ بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية إذ كان ((صراعاً بين المبادئ المثالية والنفعية المادية ، وكان صراعاً بين الخلافة الدينية والدولة الدنيوية وكان عليّ يمثل الجانب الأول وخالق الهاشميين ، ومعاوية يمثل الجانب الآخر وخالق الأمويين))⁽⁶⁾ وقد يوجه الإمام رسائله السياسية إلى مجموعة معينة من ذلك ما ورد في قوله (عليه السلام) في رسالة له إلى أهل البصرة ((ولئن ألبأتموني إلى المسين إليكم ، لأوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل إليها إلا كلقت لاعتق مع أني عامر لذي الطاعة منكم فضله ، ولذي النصيحة حقته ، غير منجأ منهما إلى بري ، ولا ناكحاً إلى وفي))⁽¹⁾ .

(1) هود / 83 .

(2) نهج البلاغة : 493 .

(3) - الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي : 151 .

(4) - نهج البلاغة : 467 - 468 .

(5) - الرسالة السياسية بين الإمام علي (ع) ومعاوية - دراسة تحليلية : عبد الرضا الزبيدي ، مطبعة أمير ، ط 1 ، 1379 هـ ، ق - 2000 م : 120 .

(6) - الخطابة في صدر الإسلام : 2 / 14 .

فالرسالة تحمل في طيبتها معاني الوعيد والتهديد ، فضلاً عن إبرازاً حد الأمثال للتدليل على فكرته .
نستنتج مما سبق أن هذه الرسائل توصف بأنها ((رسول العقل إلى العقل أنها ترمي إلى غرض ديني أو سياسي وهي طريق إلى الإصلاح))⁽¹⁾.

ب- الرسائل الشخصية :

تتمثل في تصوير حالة كاتبها ونقل مشاعره وأحاسيسه إلى من يكتب إليهم وتسمى أيضاً بالرسائل الإخوانية أو الخاصة⁽²⁾ ، إذ تتناول موضوعات اجتماعية مختلفة بحسب الظروف الخاصة ، وأبرز تلك الأغراض هي : ((التوجيه والنصح والإرشاد الديني ، والتعازي وتأبين الموتى))⁽⁴⁾.

من ذلك رسالته إلى ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) ((مِنْ أَوَّلِ الْفَآنِ الْمُتَّحِزِّ لِلزَّمَانِ ، الْمُدْبِي الْعُمُ ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ ، الذَّامِرِ لِلدُّنْيَا ، السَّائِكِ مَسَاكِنِ الْمَوْتِ ، وَالظَّاعِنِ عَنْهَا غَدَاً ، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمَّلِ مَا لَا يُدْرِكُ ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ))⁽³⁾ ، فقد أخذت هذه الرسالة شكل الوصية إذ عُدَّت من ((الرسائل الإخوانية الوعظية التي تطفح بالروح الدينية والتقوى من الله والزهد في الدنيا ونعيمها ، والعزوف عن شهوتها))⁽⁴⁾ فقد كتبت هذه الرسالة بأسلوب فيه إسهاب مما جعلها ذات طول متميز .

(1)- روائع البيان في خطاب الإمام : 134 .

(2)- ينظر : التوجيه الأدبي : 16 ، وروائع البيان في خطاب الإمام : 134 .

(3)- نهج البلاغة : 496 .

(4)- ينظر : رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة بنيوية تكوينية (رسالة ماجستير) : عهود ثعبان يوسف ، كلية التربية ، جامعة بابل ، 1439 هـ - 2008 م : 126 .

الفصل الأول : اللغة (الجانب التركيبي)

تُعَدُّ اللغة وسيلة الاتصال ، إذ ينقل المتكلم – عن طريقها – أفكاره إلى الآخرين ، فتؤثر في نفوسهم ، ومن ثم تعمل على تحقيق أغراض المتكلم وأهدافه ، فهي الوعاء الذي يحفظ الفكر⁽¹⁾. لهذا فهي ليست ((مجرد أداة للتنفيذ وإنما هي أداة تجسدتوحداً فنياً يتجاوز مجردَ الواجهة الخارجيّة أو الوحدة التركيبية))⁽²⁾ أنها عملٌ فنيٌّ هو بمنزلة الرسالة الموجهة من المنتج إلى المتلقي⁽³⁾.

إذن تُعَدُّ اللغة ((لبّ التجربة الأدبية ، وهي حقيقتها وعلى أنّ الإبداع يكمن في توظيف اللغة توظيفاً جمالياً يقوم على مهارة الاختيار وإجادة التأليف))⁽⁴⁾، إذ تعمل على نقل الكلام من كونه مجرد وسيلة إبلاغ إلى كونه أداءً فنياً .

وعليه يمثل الخطاب ((تجسيداً لقدرات المتكلم على الاستغلال الأمثل للطاقات اللغوية))⁽⁵⁾ إذ يتوقف كل ذلك على أسلوب الأديب الذي يستمد قوته من ((طريقة استخدام المفردات ومن السر في ربط الكلمة الحية القويّة بأختها بحيث يتهيا من هذا المُرْكَب طريقاً في التفكير))⁽⁶⁾، فالأسلوب هو طريقة اختيار الأديب لمفرداته وتراكيبه لتأدية المعاني ويصفه أدونيس بأنه التفرد لكن شريطة أن يتضمن هذا التفرد الكثرة⁽⁷⁾ أي يشترط في الأسلوب المنفرد أن يكون متنوعاً .

وقد تعددت الأساليب التركيبية في خطاب نهج البلاغة بما يعكس قدرة الإمام علي (عليه السلام) اللغوية وتمكنه من استخدام أنماط تركيبية تتماشى مع أغراض خطابه لتأدية المعنى بدقة وعناية ، فهو ((أول من وضع النحو))⁽⁸⁾.

(1)- ينظر : علم اللغة : حاتم الضامن ، منشورات وزارة التعليم العالي ، جامعة بغداد ، مطبعة الموصل ، 1989 م : 139 ،

(2)- تذوق النص الأدبي – جماليات الأداء الفني : رجاء عيد ، دار قطري بن الفجاءة ، الدوحة ، قطر ، الطبعة الأولى ، 1414 هـ - 1994 م .

(3)- ينظر : الأسلوب دراسة لغوية إحصائية : سعد مصلوح ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1412 هـ - 1992 م : 37 .

(4)- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج انساني معاصر مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية : 16 .

(5)- أوجه البلاغة الثلاثة - مبدأ المطابقة في الفكر البلاغي والنقدي عند العرب : د. ناصر حلاوي ، مجلة أقلام ، ع 11 و ع 12 ، س 27 ، 1992 م : 80 .

(6)- لغة الشعر بين جيلين : إبراهيم السامرائي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1980 : 37 .

(7)- الحوارات الكاملة : أدونيس ، دار الطليعة الجديد ، دمشق ، سورية ، الطبعة الأولى ، 2005 م : 71 .

(8)- نزهة الألباء في طبقات الأدباء : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري (ت 577 هـ) ، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار ، الزرقاء الأردن ، الطبعة الثالثة ، 1405 هـ - 1985 م : 21-22 .

إذ أن تنوع التراكيب اللغوية يمكن أن يُثير ((انفعالات متعددة ومتميزة تبعاً للسياق الذي ترد فيه))⁽¹⁾، إذ استطاع الإمام علي (عليه السلام) من خلال استعماله لهذه الأساليب ((أن يوصل تجاربه الخالصة بمنتهى القوة النافذة وبغاية الدقة والوضوح))⁽²⁾، فيغدو خطابه بنيئاً متماسكةً يتلاحم فيها الشكل والمضمون⁽³⁾ على وفق مراعاة مقتضى الحال . فضلاً عن أن ((الكشف عن طرائق التعبير والتفكير والتنوع في توصيل الدلالة لدى المبدع يتجسد في تراكيب الجمل بمساحة أكبر منها في الألفاظ المفردة))⁽⁴⁾.

والمتمعن للخطاب في نهج البلاغة في وسائله كافة يجد أنَّ الأنماط التركيبية تتنوع كثيراً ، ويخضع هذا التنوع لخصائص دلالية ، إذ إن هذه الأساليب تشكل ظواهر أسلوبية ملفتة للنظر ، وسنحاول أن نقف على أبرز هذه الظواهر ومآلها من تأثير في الخطاب .

(1)- البلاغة والأسلوبية : محمد عبد المطلب ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984 م : 157 .

(2)- قواعد النقد الأدبي : لاسل ابر كرمبي ، ترجمة : محمد عوض محمد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثالثة ، 1954 م : 45 .

(3)- ينظر : اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي تلازم التراث والمعاصرة : محمد رضا مبارك ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، 1993 م : 87 .

(4)- أدب الإمام الحسين (عليه السلام) قضاياها الفنية والمعنوية (رسالة ماجستير) : موسى خابط عبود ، كلية التربية ، جامعة بابل ، 1439 هـ - 2008 م : 165 .

1. التقديم والتأخير

تخضع الجملة في العربية إلى نظام خاص مألوف ، ومن ثم فإن تغيير هذا النظام يعد انزياحاً عن القاعدة المألوفة بتقديم كلمة وتأخير أخرى⁽¹⁾؛ لأن العرب كانوا (يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى)⁽²⁾. وقد عوّ عنه الناقد عبد القاهر الجرجاني بأنه (بابٌ كثير الفوائد ، جمُّ المحاسن ، واسعُ التصرف ، بعيد الغاية)⁽³⁾ إذ يعطي للأديب حقَّ التصرف في العبارة بالنقل بين مكوناتها⁽⁴⁾، فتأتي اللغة لمستخدمها (طيعة مرنة بين يديه بتقديم لفظة من حقّه التأخير أو العكس ، فيخرجُ عن النظام المعتاد لتأدية المعنى المراد ، وبذلك تدفع السأم وجمود الشكل بقدرته الفنية في التصرف)⁽⁵⁾ ، فتقديم كلمة وتأخير أخرى في سياق الكلام (يكون خاضعاً للمعنى و الأهمية والاهتمام)⁽⁶⁾.

وفي خطاب نهج البلاغة نجد هذه الظاهرة الأسلوبية واضحة لدواع دلالية . ففي قوله (عليه السلام) : (اللهم لك الحمد على ما تأخذ وتعطي ، وعلى ما تعافي وتبلي)⁽⁷⁾ ، نجد أن الإمام علياً (عليه السلام) قد قَمَّ الجار والمجرور في قوله (لك) على قوله (الحمد) ؛ لأنَّ التركيز منصب على مرجعية الحمد وجهة سوقها وهو مسعى توحيد أي لك الحمد لا لغيرك بخلاف لو قال (الحمد لك) فان التركيز يكون مُنصباً على الفعل وهو مسعى تشريعي أي الحمد لك لا الجحد . فموقف المخاطب هنا موقف المتذكر للعطاء والنعم ، فكانت جهة الخطاب مرتكزة أساساً على مصدر العطاء ؛ لذلك فُرِمَ لغرض الاهتمام أولاً والاختصاص ثانياً .

(1)- ينظر : الدراسة الأدبية النظرية والتطبيق نصوص قرآنية : عبد السلام أحمد الراغب ، دار

الرفاعي ، دار القلم العربي ، حلب ، سورية ، الطبعة الأولى ، 1425 هـ - 2005 م : 48 .

(2)- الكتاب : سيبويه (ت 180 هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، منشورات مكتبة

الخارجي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1408 هـ - 1988 م : 34/1 .

(3)- دلائل الأعجاز : 83 .

(4)- ينظر : بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم .

(5)- شعر السجون في الشعر العربي — دراسة موضوعية وفنية (أطروحة دكتوراه) : أمل عبد

الجبار كريم الشرع ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، 1427 هـ - 2006 م : 90 .

(6)- الكتاب : 34 / 1 .

(7)- نهج البلاغة : 280 .

وفي قوله (عليه السلام): ((بِكَثْرَةِ الصَّامِتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ ، وَبِالْزَّهْفَةِ يَكْثُرُ الْمَوَاصِلُونَ ، وَبِالْإِفْضَالِ تَعَظُمُ الْأَقْدَامُ وَبِالْزَّاهِفَةِ تَضَعُ تَذِمَةُ الزَّهْفَةِ ، وَبِاحْتِمَالِ الْمُؤْنِ يَكْثُرُ السُّقُودُ ، وَبِالسَّيْرِ الْعَادِلَةِ يَتَذَكَّرُ الْمُنَاوِي وَبِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِ))⁽¹⁾ لغرض التقديم في هذا الخطاب الحصر ، وكأنه يجعل المظهر الأجل للهيئة عماده كثرة الصمت ، فتقديم أشباه الجمل الأخرى (بالنصفة ، بالأفضال ، بالتواضع ، باحتمال المؤن ، بالسيرة العادلة ، بالحلم عن السفه) جاعلاً منها طرقاً حصرية لبلوغ ما يليها من المعاني في التراكيب وهي أجلي مظاهر الأخلاق وأرفعها .

وقوله (عليه السلام): ((أَمَّا بَعْدُ ، فَإِذَا أُوصِيَكُمْ بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي ابْدَأَ
خَلْقَكُمْ وَإِلَيْهِكُمْ تُرْجَعُونَ مُعَادُكُمْ وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مُنْزَلُ رَغْبَتِكُمْ وَذَخْرُ قَصْدِكُمْ))
سَمِعْنَا مِنْكُمْ وَإِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ)) (2) فقد جاءتْ التقديمات لأشباه الجمل في هذا
الخطاب مؤديةً معنى الاختصاص ؛ لأنَّ المقامَ هنا مقامُ تذكيرٍ للناس . إذ إن (أي
تغيير في النظام التركيبي للجملة يترتب عليه بالضرورة تغيير الدلالة وانتقالها من
مستوى إلى مستوى آخر) (3).

ومن التقديم والتأخير ما وَرَدَ في قوله (عليه السلام) : ((الحمدُ للهِ الَّذي لا يَبْلُغُ مَدْحَهُ الْقَائِلُونَ ، وَلا يُحْصِي دَعْمَاهُ الْعَاذُونَ ، وَلا يُؤْذِي (4) مَجْهَدُونَ))
فَالْخَطَابُ هُنا يَقْصِدُ إلى بيان عدم إمكانية بلوغ مِ نَحْه الله سبحانه وتعالى ، وليس عدم إمكانية القائِلين للمُحَاة وإمكانية البلوغ من غير القائِلين ، فَالشَّيْء الذي يسعى النَصُّ إليه هو نفي (بلوغ مِرْحَةِ الله ، إحصاء نِعَمِ الله ، تأدية حق الله) بشكلٍ عام وليس بالنظر إلى فاعل مخصوص ، فمن هُنا قَدِمَ الإمام علي (عليه السلام) في خطابهِ هَذا المفعول به (مِ نَحْتَهُ (5) ، نَعْمَاءَهُ ، حَقُّهُ) على الفاعل (القائِلُونَ ، العَاذُونَ ، المجتَهِدُونَ) لتقوية الأحكام السابقة الذكر وتثبيتها في ذهن المخاطب ، إذ أن تقديمها

(¹)- نهج البلاغة : 642 – 643 .

(2) - م ، ن : 393 .

(3) - البلاغة والأسلوبية : 250 .

(⁴)- نهج البلاغة : 17 .

(5)- الفرقُ بين الحمد والمدح ، الحمد غير المدح فالحمد يكون بالقلب والجوارح والمدح بالجوارح فقط : فروق دلالية في شرح نهج البلاغة لأبي الحديد : هادي عبد علي هويدي ، مؤسسة النبراس ، النجف الأشرف ، مجلة المبين ، ع 2 ، تموز ، 2005 م : 214 .

(يرتبط بالموقف وما يراد منه ، ودلالات الكلام عليه)⁽¹⁾ ، ومنه أيضاً ما ورد في قوله (عليه السلام) : ((إلى الله أشكو من معشٍ يعيشون جهالاً ، ويموتون ضلالاً ليس فيهم سلةٌ أبور من الكتاب))⁽²⁾ ففي هذا الخطاب يوجه الإمام علي (عليه السلام) العناية والاهتمام إلى مصدر الوجود والرحمة الذي يجب التوجه إليه لا لغيره ، ولكونه قَائم الجار والمجرور (إلى) ولفظ الجلالة (الله) احتراساً من أن تفهم الشكوى بأنها تظلم للناس مما يظهر في موقف سلبي تجاههم .

ونجد في قوله (عليه السلام) : ((فإن الغاية أمانة كروان سراجكم

الساعة))⁽³⁾ فالمقام هنا مقام وعظ وتذكير للناس ، فقدم الخبر قوله (ورأىكم) على اسم أن (الساعة) وذلك ليكون أبلغ في التأكيد ، وأشد ترهيباً . وفي قوله (عليه السلام) : ((على وجوههم غبرة الخاشعين أولئك أخواني الذاهبون ، فحق لنا أن نظماً إليهم ونعص الأيدي على فراخهم))⁽⁴⁾ فجاء الاعتناء بالمُقَم من دون سواه ؛ لأن في ذكر غبرة الخشوع على الوجوه بعداً فنياً أبلغ في التأثير مما لو ذكر غبرة الوجوه ، فالشيء المُعْتَنَى به هو الوجوه من دون سواها من الأعضاء فتكون الغبرة شيئاً غير منكور فيهم ، ولو قال غبرة الخاشعين على وجوههم ، فالشيء المُعْتَنَى به هو غبرة الخاشعين ، ومن ثم فالغبرة فيهم شيء غير أكيد ولا محقق ، ولهذا جاء التقديم للأهتمام بالوجوه من دون سواها من الأعضاء .

ومن قوله (عليه السلام) : ((وبقي مرجع ال غرض أبصارهم ذكر المراجع ،

وأراق دموعهم وخوفهم))⁽⁵⁾ فذكر المراجع (عليه السلام) المفعول (أبصارهم) و (دموعهم) على الفاعل (ذكر المراجع) و (خوفهم) ، وذلك لأن

(1) - بلاغة التراكيب - دراسة في علم المعاني : 133 .

(2) - نهج البلاغة : 48 .

(3) - نهج البلاغة : 51 .

(4) - م ، ن : 224 .

(5) - م . ن : 71 .

الغض ملازمٌ للأبصار وإن الإراقة ملازمةٌ للدموع ، ومن ثم نلاحظُ الإمامَ يحاول أن يكسبَ خطابه بُعداً جماليّاً بذكره ما يسمى بالمتلازمات الدلالية .

وفي قوله (عليه السلام) : ((وَآمَرْتَجَ فِ لَطَوْلِ الْمُنَاجَاةِ أَسَمَاتُ أَسْنِدِهِمْ ، وَ لَا مَلَاكِيَهُمْ الْأَشْخَالُ فَذَلِكَ قَطَعَ بِهِمْ سِ الْجَوْ اسِرَ لِيَدَا وَادُّهُمْ وَلَمْ تَخْلُفْ فِي مَقَامِ الطَّاعَةِ وَ لَا مَرَدِّ شِ)) وَ إِلَى رَاحَةِ الْقَصِيرِ أَمْرُهُ رِقَابُهُمْ ، وَ لَا تَعْدُو أَعْلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ مَرَدُّ مَا الْغَفَلَاتُ ، وَ لَا تَنْضَلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدِ الْعِ السَّ إِهْ وَ أَمَّا الْإِمَامُ (عليه السلام) قوله (لَطَوْلُ الْمُنَاجَاةِ) على الفاعل (أَسَمَاتُ أَسْنِدِهِمْ) ، فقوله (لَطَوْلُ الْمُنَاجَاةِ) يعني هنا (مع طُولِ الْمُنَاجَاةِ) وهو احتراسٌ من أن يفهم أن لما لم تجف أسلالت أسنتهم فان مناجاتهم كانت قصيرة فقتم ما يخشى منه لذلك احتراساً ، فضلاً عن تقديمه (لَطَوْلُ الْمُنَاجَاةِ) يُظْهِرُ لَنَا عِلَّةَ عَدَمِ الْجَفَافِ وَكَأَنَّهُ يَحْمِلُ مَفَارِقَةً ، لِأَنَّ طَوْلَ الْكَلَامِ عَادَةً يَسَبِّبُ جَفَافَ اسَلَاتِ السَّنْتِمْ إِلَّا أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ - أَيِ الْمُنَاجَاةِ - فَانْهَيْرَ طَبُّ اللِّسَانِ ، وَكَأَنَّ التَّقْدِيمَ هُنَا جَاءَ لِلْعَنَايَةِ وَالْاهْتِمَامِ لِمَا فِيهَا مِنْ بَعْدِ جَمَالِي . وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ لِلتَّقْدِيمَاتِ الْآخَرَى الْوَارِدَةِ فِي هَذَا الْخَطَابِ وَهِيَ (هَمْسُ الْجَوَّارِ ، مَقَاوِمُ الطَّاعَةِ ، إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ ، عَلَى عَزِيمَةِ جِهْمِ ، فِي هَمَمِهِمْ ، فَكَأَنَّهُ (عليه السلام) قَمَّهَا لِأَنَّهَا مَوْضِعُ الْعَنَايَةِ وَالْاهْتِمَامِ .

وفي قوله (عليه السلام) : ((فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنَ اللَّهِ)) فالملاحظ على هذا الخطاب أن الإمام قتم (إلى) وهو حرفٌ يفيد انتهاء الغاية على قوله (من) وهو حرفٌ يفيد ابتداء الغاية لتأدية المعنى المطلوب من الخطاب ، وذلك بتقديم الرحمة على العذاب ؛ تشويقاً للمُخْطَبِ وَتَحْقِيقاً لِلتَّفَاوُلِ ، لِأَنَّ الرَّحْمَةَ سَبَقَتْ عَذَابَهُ وَكَأَنَّمَا أَرَادَ الْإِمَامُ أَنْ يَقُولَ فِرُّوا إِلَى الرَّحْمَةِ مِنَ الْعَذَابِ لِمَا لَهُ مِنْ تَحْقِيقِ أَثَرِ نَفْسِي فِي الْمُخَاطَبِ وَذَلِكَ يَجْعَلُهُ دَائِمَ الْإِقْبَالِ عَلَى مَا يَرْضِي اللَّهَ وَالْإِبْتِعَادَ عَمَّا يُسْخِطُهُ ، فَضْلاً عَمَّا لِهَذَا التَّقْدِيمِ مِنْ بَعْدِ دَلَالِي يَتَضَحُّ مِنْ أَنَّ طَبِيعَةَ الْفَارِّ يَجِبُ أَنْ يَفْكَرَ فِي جِهَةِ الْفِرَارِ لَضِيقِ جِهَتِهِ فَتَفْكِيرُهُ فِي جِهَةِ الْفِرَارِ أَكْبَرُ مِنْ تَفْكِيرِهِ فِي سَبَبِ الْفِرَارِ .

وفي قوله (عليه السلام) : ((وَعِنْدِي السِّيفُ الَّذِي أَعْضَضُهُ بِجَدِّكَ وَخَالِكَ))

وَأَخِيكَ⁽³⁾ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ⁽⁴⁾ ، إِذْ قَمَّ الْإِمَامُ (عليه السلام) فِي هَذَا الْخَطَابِ الْخَبَرَ

(1) - م ، ن : 158 - 159 .

(2) - نهج البلاغة : 56 .

(3) - جده من ألام عتبة وخاله الوليد بن عتبة وأخوه حنظلة ينظر : أعلام نهج البلاغة : 284 .

(4) - نهج البلاغة : 582 .

وهو شبه الجملة (عندي) على المبتدأ قوله (السيف) دلالة على القصر ، فلما كان الموقف هنا موقف مفاضلة بين جمعين يترأسهما شخصان كانت العناية بالشخصين أولى من العناية بغيرهما بمعنى أن بؤرة النص كانت في المفاضلة بين قطبين هما (عندي ، عندك) وليس بين (سيفين) بل هو من جهة أخرى – إذا تمعنا – سيف واحد، دلالة على القصر ، وكانت بؤرة النص ومنطقة الاشتغال في مكان وجوده لا في تعدده ، فأراد الإمام أن يسمو بجانبه على جانب المخاطب في هذا الخطاب وهو معاوية .

ونجد في قوله (عليه السلام) ((مِنْ ذَا النَّبِيِّ وَمِنْكُمْ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ ذَا أَسَدِ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ وَمِنْ ذَا سِيَةِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِيَةُ النَّارِ وَمِنْ ذَا خَيْسُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَمِنْكُمْ حِمَةُ الْحَطَّايِ))⁽¹⁾، فالموقف الخطابي في هذا النص يشير إلى

المفاضلة بين جهتين ، فبؤرة النص تبنى أساساً على نسبة الذوات وليس على الذوات نفسها ، ومن ثم اعتنى بها وَقَّهَهَا ، ولو قال الإمام (عليه السلام) (النَّبِيُّ مِنَّا) فقد يكون منهم ومن غيرهم أيضاً ، إلا أن قوله (مِنْ ذَا النَّبِيِّ) ليس فيه مجال للشك في أن انتماءه ينحصر لجهتهم من دون غيرها من الجهات الأخرى ، وكذلك القول بالنسبة للتقديمات الواردة في هذا النص فأدَّها تؤدي معنى الاختصاص والذي يحمل في طَلَّيْتِهِ الْفَخْرَ .

وفي قوله (عليه السلام) : ((بِذَا أَهْلِي فِي الظُّلُمَاءِ ، وَتَسْمُنُ ذُرُوءُ الْعِلْيَاءِ وَبِذَا أَفْجَرِ تَمْرٍ عَنِ السَّرَامِ))⁽²⁾، فالتقديمان الواردان في هذا النص أفادا معنى الحصر

والاختصاص إذ إن تقديم متعلقات الفعل أمرٌ يستدعيه المعنى⁽³⁾، ونظير ذلك قوله (عليه السلام) : ((وَإِنَّا لِلْأَمْرَاءِ الْكَلَامِ وَفِينَا تَشَبُّتٌ عَنْ وَقْتِ وَعِلِينَا تَهْدَلُتُ غُصُونُهُ))⁽⁴⁾ فالتقديمان الواردان في هذا النص أفادا معنى الاختصاص وبيان الفضل والمنزلة للمتقدم على المتأخر .

ونلاحظ في قوله (عليه السلام) : ((كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبِذَا كَرِئَةُ نَبِيِّكُمْ وَهَرَمُ

أَزْمَةِ الْحَقِّ ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ))⁽⁵⁾ أن الخطاب هنا مُوجَّهٌ إلى الناس وجاء بصيغة

(1)- نهج البلاغة : 490 .

(2)- م ، ن : 34 .

(3)- ينظر : بلاغة التراكيب . دراسة في علم المعاني : توفيق الفيل ، مكتبة الآداب ، القاهرة .

(4)- نهج البلاغة : 449 .

(5)- م ، ن : 143 .

الاستفهام التعجبي التهكمي ، ومن ثم فإن العنصر الضاغط والملائم لهذا الخطاب هو قوله (بينكم) وليس عترة النبي، فوجود العترة بينهم يجب أن يشكل هدى وبصيرة وثبات ، فجاء التقديم لكسر العلاقة المتلازمة بإيراد متخالفين لا ينسجمان ، لهذا قَمَّ الإمام (بينكم) وذلك لإفادة المعنى .

نستنتج مما سبق أن أسلوب التقديم والتأخير في خطاب نهج البلاغة لم يأت اعتباراً وإنما جاء عملاً مقصوداً لدواعٍ دلالية جمالية ، ف ((كل تقديم أو تأخير في العبارة الواحدة يولد معنى جديداً)) (1) ، فأهميته تكمن فيما يقوم به هذا الأسلوب من علاقات في الكلام الأدبي هي صلب ما في الأدب من جمالية لكونه انزياحاً عن النسق المألوف (2).

إذ استطاع الإمام من خلاله أن (يُظهر أحاسيسه ويبيث خواطره من خلال نقله لما هو مناط اهتمامه من موقع لآخر ففي تحريك العنصر الكلامي تحريك للأثر النفسي) (3) لهذا فقد حققت هذه الظاهرة الأسلوبية الإفهام وهو الغاية الأساسية للغة فضلاً عن ترك الأثر الجمالي في نفوس المخاطبين .

2. الخبر والإنشاء

لابد في دراسة الخطاب من الوقوف على أنواع الجمل ، وهي لما أن تخبر عن المعنى و تصفه وهذا ما يعرف بـ (الخبر) ، أو أن تنشئ المعنى ابتداءً وتطلب حدوثه وهذا ما يدعى بـ (الإنشاء) ، ولا شك أن في اختلاف التعبير بالخبر والإنشاء يتبعه اختلاف في الدلالة المعنوية للخطاب (4).

إذن تضع اللغة أمام مستخدمها نوعين رئيسيين من الجمل هما الجملة الخبرية والجملة الإنشائية ، فالجملة الخبرية هي ((المحتملة للتصديق والتكذيب في ذاتها بغض النظر عن قائلها ، فكل كلام يصح أن يوصف بالصدق وبالكذب فهو خبر)) (5) . وبذلك تكون الجملة الإنشائية على عكس الخبرية هي غير المحتملة للصدق والكذب (6).

ونلاحظ في خطاب نهج البلاغة استخدام الإمام النوعين كليهما وذلك تبعاً لما يتطلبه الموقف في الخطاب وتحقيق الأغراض التي يسعى إليها الإمام (عليه السلام) مستفيداً من اختلاف الدلالة بينهما .

(1)- الجملة العربية والمعنى : فاضل صالح السامرائي ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1421 هـ - 2000 م : 230 .

(2)- ينظر : الانزياح في التراث النقدي والبلاغي : أحمد محمد وسب ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2002 م : 163 .

(3)- بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم : 50/1 .

(4)- ينظر : الدراسة الأدبية النظرية والتطبيق : 57 .

(5)- الجملة العربية تأليفها وأقسامها : فاضل صالح السامرائي ، منشورات المجمع العلمي ، بغداد : 194 .

(6)- ينظر : م ، ن : 194 .

ويعد الكلام الخبري ((الأكثر دوراً في اللغة العربية من الكلام الإنشائي))⁽¹⁾ ويشير إلى هذا المعنى الناقد عبد القاهر الجرجاني بقوله: (الخبر وجميع الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه ، ويصرفها في فكره ، ويناجي بها قلبه ، ويراجع فيها قلبه ، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض ، وأعظمها شأناً الخبر فهو الذي يتصور بالصورة الكثيرة ، وتقع فيه الصناعات العجيبة ، وفيه يكون في الأمر الأعم المزاياء التي بها يقع التفاضل في الفصاحة))⁽²⁾.

وعليه يشغل الخبر في خطاب نهج البلاغة حيزاً واسعاً يؤدي معانٍ دلالية ، من ذلك قوله (عليه السلام): ﴿ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سُدُودٍ ، وَذَخِيرَةُ مُعَادٍ وَعَقْدٌ مِنْ كُلِّ

مَلَكَةٍ ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ ، يَهْدِيهِ إِلَى تَقْوَى اللَّهِ ، وَيُنْجِيهِ مِنَ الْهَارِبِ ، وَتُكَلِّمُ الْغَائِبَ))⁽³⁾،

فالإمام في هذا الخطاب الخبري يخبر عن معنى التقوى ويصفها من خلال إظهار مزاياها راسماً لها صورة في مخيلة المُخْطَب هذه الصورة تترك أثراً نفسياً يشده نحوها، وفي قوله (عليه السلام): ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جَلالاً لِلْقُلُوبِ

تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْفَةِ ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ ، وَتَقْدَرُ بِهِ بَعْدَ الْمَعَانِدَةِ))⁽⁴⁾، وجه الإمام خطابه هذا عندما قرأ قوله تعالى ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾⁽⁵⁾ فساقه الإمام بصورة خبرية مرغوبة في ذكر الله تعالى وحثاً عليه . وقوله (عليه السلام): ﴿ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَخُذْهُ

اللَّهُ لِلْخَاصَةِ أَوْلِيَاءَهُ ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى ، وَدَرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةِ وَجَنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ))⁽⁶⁾.

يرغب الإمام بالجهاد من خلال وصفه وتجسيد صورته في ذهن المخاطب لأن في ذلك تشويقاً للمخاطب مقرباً مفهومه بصورة حسية عن طريق الأسلوب الخبري . ونظير ذلك قوله (عليه السلام): ﴿ الْقُرْآنُ أَمْسٌ زَاجِرٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ ،

حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ، أَخَذَ مِيثَاقَهُ وَامْتَنَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ ، أَمَرَ نُورَهُ . وَاكْمَلَ بِهِ دِينَهُ))⁽⁷⁾ فجاء الخبر مؤدياً معنى الترغيب في القرآن والحث على قراءته من خلال وصفه .

(1)- الجملة الخبرية في نهج البلاغة - دراسة نحوية (رسالة ماجستير) : علي عبد الفتاح محي الشمري ، كلية التربية ، جامعة بابل ، 1421 هـ - 2001 م : 7 .

(2)- دلائل الإعجاز : 406 .

(3)- نهج البلاغة : 444 .

(4)- نهج البلاغة : 431 .

(5)- النص القرآني : النور / من الآية 36 ، و 37 .

(6)- نهج البلاغة : 60 .

(7)- م ، ن : 334 .

ونجد في قوله (عليه السلام): ((فلورميت يبص قلبك فحوما يوصف لك منها
لعزفت نفسك عن بدائع ما أخرج إلى الدنيا من شهواتها ولذاتها ، وزخارف مناظرها
ولذهلت بالمكر في اصطفاق أشجار غيبت عروقها في كتمان المسك على سواحل
أنهارها))⁽¹⁾.

أن الخطاب جاء بصيغة المفرد ليجعل كل نفس تتشوق إلى رؤية الجنة .
ومثلما جاء الخطاب في نهج البلاغة يرغب الإنسان في أمور ، نراه يوظف
الخطاب في الترهيب من أمور أخرى ففي قوله (عليه السلام): ((فان الموت
هادم لذاتكم ومكنر شهواتكم ومباعد طياتكم))⁽²⁾ ، نجد أن الإمام قد ساقه
بأسلوب وصفي يوضح فيه للإنسان صفات الموت وما يترتب عليه راسماً للموت (صورة مخيفة في مخيلة المتلقي لها اثر نفسي)⁽³⁾، تعمل على ردعه عن لذات الدنيا
وشهواتها .

وفي قوله (عليه السلام): ((وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله اومة لائم ،
سيرة اهرسيما الصديقين ، وكلامهم كلام البرار ، عمار الليل ، ومعار النهار ممتعة سكون
بجبل القرآن))⁽⁴⁾.

فقد جاء الخطاب مؤدياً غرض الفخر فضلاً عن الحث على إتباع سماتهم
وتوجيه الأنظار إليهم ، لأنهم النموذج الأمثل الذي يجب الاقتداء بهم . وقوله (عليه
السلام): ((أما بعد فإذا كنتم اخص وأذم على ما ذكرتم من الألف والجمة اعة ففرق بيننا
وبينكم أمس إذا آمننا وكفرتكم ، واليوم أذم المشرك))⁽⁵⁾ ، فالموقف في هذا
الخطاب ينبي عن مفاضلة بين جمعين ، مما دفع الإمام (عليه السلام) إلى الفخر من
خلال تعداد صفاتهم وبالمقابل ذكر صفات الجمع الآخر . ونظير ذلك قوله (عليه

(1)- نهج البلاغة: 300 .

(2)- نهج البلاغة : 445 .

(3)- الترغيب والترهيب في القرآن الكريم دراسة بلاغية : 4 .

(4)- م ، ن : 380 .

(5)- نهج البلاغة: 581 .

(السلام) (إذ ألقى الكلام، وفيه ما تشبث عروقه، وعليها تهدلت) (خطبة الإمام) يفخر بهذه المزايا التي لا يجار يهم فيها أحد والتي تكشف عن مدى تفردهم بها، لذا جاء خطابه خبرياً لبيان المكانة العلمية الرفيعة لهم.

ونجد أن الخبر في خطاب نهج البلاغة يُطلق ويُيرأد منه تأدية غرض المدح من ذلك قوله (عليه السلام): ((انصر الأنصار على الحق والأخوان في الدين، والجُن من يوم البأس والبطانة دون الناس بكم أضرب المدين وأرجو طاعة المقيمين⁽¹⁾، فالخطاب موجّه إلى الخُلص من أصحابه (عليه السلام) لأنهم ((كانوا في الطليعة من حيث السيرة والطيبة والفهم والعلم والأدب والإيمان بالحق))⁽³⁾.

وقد يأتي الخبر في خطاب النهج لتأدية غرض التهديد والوعيد كما في قوله (عليه السلام): ((ولعمري ليضعفن لكم النية من بعدي أضعافاً بما خلد من الحق وراء ظهوركم⁽⁴⁾))، فالخطاب موجّه إلى معاوية وأتباعه يهدّثهم ويتوعدّهم نتيجة لأفعالهم ومخالفتهم الحق.

وقد يأتي الخبر في خطاب النهج حاملاً معنى النفي من ذلك ما ورد في قوله (عليه السلام): ((ما أذن لي بثقة سجيس الليالي، وما أنصرت كنز يمال بكم ولا زواف عزيزتكم إلكم، ما أنصركم بل ضلّ رعاؤهم فكلما جرم معت من جانب انشرت من آخر⁽⁵⁾)). وفي قوله (عليه السلام): ((كنتم جند المرأة، وأتباع البهيمية، مرغاً فأجبنتم، وعقر فهرينهم، أخلاقكم دقاق وعهدكم شتاق ودينكم فئاق، وماؤكم زعاق⁽⁶⁾))، إذ وجه خطابه إلى أهل البصرة مفيداً معنى الذم والتوبيخ فجاء خطابه موجعاً وصل إلى مرتبة التأنيب اللاذع⁽⁷⁾، مُقبحاً فيه سلوكهم.

(1)- م، ن : 449 .

(2)- م . ن : 220 .

(3)- علي نبراس ومتراس : سليمان كتاني ، مطبعة الأزهر ، بغداد ، ط2 ، 1967 م : 14 .

(4)- نهج البلاغة : 303 .

(5)- م ، ن : 75 - 76 .

(6)- م ، ن : 41 .

(7)- ينظر : جمالية الخبر والإنشاء دراسة بلاغية جمالية نقدية : حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق - 2005 م : 74 .

الإنشاء :

يتفرعُ الإنشاء إلى فرعين هُمَا : الإنشاء الطلبي والمقصود به ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب (1) ، والإنشاء غيرُ الطلبي هو ((ما لا يستدعي مطلوباً وقت الطلب)) (2).

إِذ تَكَلَّتُ الجملةُ الإنشائيةُ في خطاب نهج البلاغة مساحةً واسعةً وبالأخص الجملة الإنشائية الطلبية ؛ لأنَّ () الطلب هو الوظيفة البلاغية الأولى التي تؤديها اللغة حيث أنه يعبر عن الرغبة في التعاون المشترك بين الناس ((3) ، والملاحظ على خطاب نهج البلاغة هو أن الإنشاء الطلبي هو المستخدم بكثرة فيه إذ يشكل أسلوباً خطابياً مباشراً ، محاولين تسليط الضوء على أهم أساليبه وأغراضه .

أ. الأمر

يعرف الأمرُ بأنه (قول ينبئُ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء) (4).

فهو صيغة إنشائية يطلبُ فيها المتكلمُ من المخاطب القيامَ بالفعل على وجه الاستعلاء والإلزام (5)، فالجملةُ الطلبيةُ الأمريةُ هي (إحدى الجمل الحافزة على إيقاع حدثٍ ما) (6) ، ويؤدي الأمرُ في العربية بصيغ أربع هي :

(1)- الإيضاح : في علوم البلاغة : جلال الدين القزويني (ت739هـ) تحقيق علي أبو ملحم منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت لبنان ، 2000م : 131

(2)- بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني : 195 .

(3)- النظرية اللغوية العربية الحديثة : 123 .

(4)- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليميني (ت 749 هـ) ، تحقيق : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1415 هـ - 1995 م : 530/3 ، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : 313/1 .

(5)- ينظر : بلاغة التركيب : 209 ، ونحو منهج جديد في البلاغة والنقد : 65 .

(6)- الخلاصة النحوية : تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1425 هـ - 2005 م : 138 .

- 1- فعل الأمر : نحو قوله (عليه السلام) : ﴿ فأتق الله فيما لديك وانظر في حقِّ عليك وارجع إلى معرفته ما لا تعذر بجهالته ﴾⁽¹⁾، وقوله (عليه السلام) : ﴿ فاعتظوا عباد الله بالعيبِ النوافعِ واعينوا بالآي السواطعِ وازدجروا بالنذر البوالغِ ، وانفَعُوا بالدُّكرِ والمواعظِ ﴾⁽¹⁾.
- 2- الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر : نحو قوله (عليه السلام) : ﴿ فليعمل العاملُ منكم في أيامٍ مهله قبل إرهابٍ أجله ، وفي فراغه قبل أوانٍ شغله ﴾⁽²⁾، وقوله (عليه السلام) : ﴿ فليقبل امرؤُكم بقبولها وليحذر قارعةً قبل حلولها ، ولينظر امرؤُ في قصير أيامه وقليل مقامه ﴾⁽³⁾، والواضح أن ((صيغة افعل في الأمر صيغة مستقلة بالمخاطب ، شائعة فيه لا يعدل عنها إلى لتفعل ، إلا إذا أُريدَ معنى التلطف وبذل النصيحة))⁽⁴⁾.
- 3- اسم فعل الأمر : نحو قوله (عليه السلام) : ﴿ عليكم بكتابِ الله فإنه الجبلُ المئين والنورُ المبين ﴾⁽⁵⁾، وقوله (عليه السلام) : ﴿ إليك عني يادنيا فحبلكِ على غارميكِ ، قد انسللتُ من مخالبكِ ، وأفلتُ من حبالك واجشبتُ الذهاب في مداحضك ﴾⁽⁶⁾، وقوله (عليه السلام) : ﴿ كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رُفِعَ أحدهما ، فدوكم الآخر فتمسكوا به : أما الأمان الذي رُفِعَ فهو رسولُ الله صلى الله عليه واله ، وأما الأمان الباقي فالاستغفارُ . قال الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم

(1)- نهج البلاغة : 137 .

(2)- م ، ن : 138 .

(3)- م ، ن : 417 .

(4)- نحو الفعل : أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1394 هـ .

، 1974 م : 59 .

(5)- نهج البلاغة : 274 .

(6)- م ، ن : 523 .

يسنغفرون» (1) ... ((2). وتعد أسماء الأفعال أكثر بلاغةً وتأكيذاً من معاني الأفعال لما فيها من السرعة والاختصار ؛ لأنها تدل على الحدث المجرد من الزمان (3).

4- المصدر النائب عن فعل الأمر : نحو قوله (عليه السلام) : ((العمل العمل ، ثم النهاية النهاية ، والاستقامة الاستقامة ، ثم الضب الضب ، والورع الورع)) إن لكم نهاية فأنهوا إلى نهايتكم وإن لكم علماً فاهتدوا بعلمكم ، وإن للسلام غاية فأنهوا إلى غايته واخسروا إلى الله بما افترض عليكم من حقه ، وبين لكم من وظائفه (4).

وقد وظف الإمام علي (عليه السلام) أسلوب الأمر بنوعيه الحقيقي والمجازي في خطابه ؛ إذ أن المسؤولية الملقاة على عاتقه والمنوطة به تتطلب إصدار أوامر مختلفة ، ففي قوله (عليه السلام) : ((عليكم بكتاب

الله فإنه العبد المنيّن والنور المبين ، والشفاء الدافع والري النافع ، والعصمة للممسك والنجاة للمعلق)) (5)، فالأمر هنا جاء حقيقياً لأنه صادر من الأعلى إلى الأدنى (الناس عامة) ، وقوله (عليه السلام) : ((احي قلبك بالموعظة وأمنه بالزهادة ، وقوة باليقين ، ونور بالحكمة ، وذللب بذكر الموت)) (6)، فالخطاب هنا موجه في وصية إلى الإمام الحسن (عليه السلام) وقوله (عليه السلام) : ((فأقم للناس الحج ، وذكرهم بأيام الله)) (7) فالخطاب موجه إلى احد عماله (قثم بن العباس) فالأمر حقيقي .

وقد لا يتضمن الأمر في خطاب نهج البلاغة الطلب من المخاطب على سبيل الإلزام ، فيخرج عندئذ إلى أغراض مجازية يدل عليها السياق من ذلك ما ورد في

(1) الأنفال / 83

(2) نهج البلاغة - 615 .

(3) ينظر : الجملة العربية والمعنى : 207 .

(4) نهج البلاغة : 317 .

(5) م ، ن : 274 .

(6) نهج البلاغة : 497 .

(7) م ، ن : 586 .

قوله (عليه السلام): ((اجعل شرائف صلواتك ونوامي بن كاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والفتاح لما انغلق ، المعلن الحق بالحق))⁽¹⁾، فالخطاب هنا تمثل بأسلوب طلبى على سبيل التضرع وكان من الأدنى (المخلوق) إلى الأعلى (الخالق) إذ ليس من المعقول أن يأمر الله ، لهذا كان أمراً مجازياً لا استعلاء فيه ولا إلزام فيخرج إلى الدعاء ، ونظير ذلك قوله (عليه السلام): ((اللهم أن فهيت من مسألني أو عميت عن طلبني فدلني على مصالحى ، وخذ بقلبي إلى مرشدى ، فليس ذلك بنكر من هداياتك ولا يدع من كهاياتك))⁽²⁾، فعندما وجه الإمام خطابه فإنه أراد أن يؤكد توجهه إلى الله تبارك وتعالى ليهديه سبيل الرشاد والصلاح .

وفي قوله (عليه السلام): ((فليقبل امرؤ كرامته بقبولها وليحذر قارعة قبل حلولها ولينظر امرؤ في قصص أئمة ، وقليل مقامه في منزل حنى يستبدل به منزلاً))⁽³⁾ فالإمام لم يلزم المخاطب بهذا الأمر وإنما جاء على سبيل النصيحة الخالصة وفي قوله (عليه السلام): ((أغض على القذى واللمتر ضاً أبداً))⁽⁴⁾، فالخطاب ليس لشخص محدد وإنما لسامع هذا الخطاب حيثما وجد وكان حاملاً دلالة النصح والإرشاد ؛ لأن (مشاعر الرضا ليست مسألة جمالية فحسب ، بل هي قيمة أخلاقية تكسب الضمير مبادئ سليمة))⁽⁵⁾ ، ومثل ذلك قوله (عليه السلام) ((فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح ، فأملك هواك ، وشح بنفسك عما لا يحل لك ، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت))⁽⁶⁾، فالأمر مجازي لا إلزام فيه وإنما هو على سبيل النصح والإرشاد . وقوله (عليه السلام): ((أفق أيها السامع من سكرتك ، واسيقظ من غفلتك واخص من عجلتك وانعم الفكر فيما جاءك على لسان النبي الأمي صلى الله عليه واله مما لا بد منه ولا محيص عنه ، وخالف من خالف ذلك إلى غير ، ودعه

(1)- م ، ن : 110 .

(2)- م ، ن : 442 .

(3)- م ، ن : 417 .

(4)- م ، ن : 642 .

(5)- جمالية الخطاب القرآني : 156 .

(6)- نهج البلاغة : : 545 .

وما مرضي لنفسه، وضع فخرك واحطط كبرك والذكر قبرك⁽¹⁾ فالإمام (عليه السلام) يعظُ الناسَ وينبهم من الغفلة ، جاء بصيغة المفرد على الرغم من أنه للجمع ؛ لأنه جرد منهم شخصاً يخاطبه ليكون أكثر نفعاً في الإرشاد والنصح ، فضلاً عن جعله بصورة المفرد ليشعر المقابل بأنه واحدتها في حالة من الإيحاء بأن من شأنهم جميعاً أن يأتوا بما حذرهم منه وأراد صرفهم عنه ، فكل فعل من هذه الأفعال يعطي معنى مغايراً لغيره إلا أنها تشترك في صيغة الأمر ، إذ أن ثمة حقول تنتمي إليها الأوامر في النص نوضحها في الشكل الآتي :

أفق - استيقظ	اختصر - أنعم	خالف - دُع	ضع - أحطط
بدء الانتباه الانتباه من الغفلة	من العجلة من الذكر	ترك ذوات	ترك صفات



(منطقة الاشتغال)

فالإمام أراد أن ينتقل في خطابه - بالإنسان تدريجياً - من الغفلة إلى الذكر ؛ لأن الإنسان وحده مسؤول عن ذلك ، أي أن التغيير يجب أن ينبع من داخل النفس الإنسانية ، لهذا جاء خطابه بأسلوب الأمر المجازي مؤدياً غرض النصح والإرشاد الذي لا إلزام فيه .

(¹) - م ، ن : 268 .

إذن يتحرك التركيب اللغوي في خطاب نهج البلاغة مخاطباً حواس الإنسان وعقله ؛ وذلك (لانتظام صلاح الآخر عن طريق إرساء رؤية فكرية دقيقة تأخذ طريقها إليه لتعمق وعيه بالحقائق والجمال في وقت واحد)⁽¹⁾.

وقد يخرج الأمر لغرض مجازي آخر هو التحذير كما في قوله (عليه السلام : ((اتق الله في نفسك ، ونازع الشيطان قيادك ، واصرف إلى الآخرة وجهك ، فهي طريقنا وطريقك))⁽²⁾، فقد وظف الإمام أسلوب الأمر مؤدياً غرض التحذير ، فضلاً عن تقديم لفظة (طريقنا) على لفظة (طريقك) ليشعر المخاطب أنه أكثر نظراً إليها ، وأما المخاطب فانه بما سبق الإشارة إليه من أفعاله فإنه يبدو أن الآخرة مؤخرة في اهتماماته فأخرها في خطابه .

ومن ذلك ما ورد في قوله (عليه السلام) : ((واعلموا أن مجازكم على الصراط ومن الق دحضه وأهاويل لله ، وقامرات أهواله))⁽³⁾، ففي هذا التحذير يلفت نظر المخاطبين إلى أعمالهم ، من ثم يجب عليهم الاحتراز . ومثل ذلك أيضاً : ((كن في الفتنة كإبن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب))⁽⁴⁾، فالإمام يوجه خطابه بصيغة المفرد وإرادة الجمع محذراً من الفتنة .

ومما ينبغي الإشارة إليه أن الإمام (عليه السلام) لم يكتف باستخدام أسلوب الأمر لمخاطبة العاقل حسب ، بل خاطب به غير العاقل أيضاً من ذلك قوله (عليه السلام) : ((اعزبي عني فوالله لا أذل لك ، فنسئليني ولا أسلس لك فتوديني))⁽⁵⁾، فجاء الأمر هنا للدنيا مجازاً ليؤدي معنى الزجر ، ونظير ذلك قوله (عليه السلام) : ((إليك عني يا دنيا فحبلك على غامرك ، قد انسللت من مخالبك وأفلت من حبالك ، واجشبت الذهاب في مداحضك))⁽⁶⁾، فجاء خطاب الإمام للدنيا أمراً لها بالابتعاد عنه مستخدماً في ذلك اسم فعل الأمر . وهذا ما سنحاول توضيحه على وفق الشكل الآتي :

(1)- جمالية الخبر والإنشاء : 47 .

(2)- نهج البلاغة : 571 .

(3)- م . ن : 13 .

(4)- م . ن : 599 .

(5)- م ، ن : 534 .

(6)- م ، ن : 533 .

إليك عني يا دنيا	
قد انسللت من مخالباك	فحبلك على غاربك
↓	↓
انفصال عن الدنيا	انفصال عن الدنيا
↓	↓
دفع الأذى عن النفس	أذاك ونفعك على غيري
↓	↓
الإمام (عليه السلام) هو المتحرك	الدنيا هي المتحركة
↓	↓
الإمام = الفاعل	الإمام = الفاعل
↓	↓
انفصال الإمام عن الدنيا لأنه هو المتحرك المنسل	انفصال الإمام عن الدنيا لأنه هو الذي كان يقودها
إنفصال إيجابي	

فخطاب الإمام علي (عليه السلام) فيه إشارة إلى أَنَّ الدنيا لا تبتعد عن الإنسان وإنما الإنسان هو الذي يجب أَنْ يتحرك ويبتعد عنها ويتجنبها .

* النهي :

يشكل النهي أسلوباً من أساليب الإنشاء الطلبية الذي يعني طلب الكف من الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام⁽¹⁾، فهو يتفق مع الأمر من جهة الاستعلاء

(1)- ينظر : الطراز : 3 / 284 ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1403 هـ - 1983 م : 3 / 344 .

والإلزام وارتباطه بالمخاطب ، ويختلف عنه بالصيغة ، فالنهي صيغة واحدة وهي الفعل المضارع المسبوق بـ (لا الناهية) ، بينما تتعدد صيغ الأمر .

وقد وظف الإمام علي (عليه السلام) أسلوب النهي في خطابه بما يخدم أغراض الخطاب إذ ورد النهي بنوعيه الحقيقي والمجازي ، فمما ورد من النهي الحقيقي قوله (عليه السلام) في خطبة له: ((فالله لا تشركوا به شيئاً ومحمداً صلى الله عليه وآله فلا

تضيعوا سنه))⁽¹⁾، فجاء النهي حقيقياً عن الشرك بالله وتضييع سنة رسوله الأكرم

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) . ومن ذلك قوله (عليه السلام) : ((لا تقاتلوا

الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأ كمن طلب الباطل فأدركه))⁽²⁾، فالنهي

حقيقي ، فالإمام يلاحظ أن محاربة الخوارج ستزيد من الفتنة بعد أن حققت انتصارها مما يؤدي ذلك إلى تمزيق الوحدة الإسلامية ، وبذلك تكون محاربتهم بعيدة عن الأهداف السياسية⁽³⁾؛ لذلك نهاهم عن قتال الخوارج ، ومن ذلك قوله

(عليه السلام) في وصية له إلى معقل بن قيس الرياحي، حينما وضعه على رأس جيش إلى الشام: ((لا تقاتلن الا من قاتلك))⁽⁴⁾ ، فالمتأمل لهذا الخطاب يتضح له أن القتال لا يكون إلا رداً على عدوان يكشف عن تصميم العصاة على الانحراف⁽⁵⁾ ، ومنه أيضاً قوله (عليه السلام) في وصيته إلى عبد الله بن العباس حيث بعثه للاحتجاج على الخوارج: ((لا تخصمهم بالقرآن فان القرآن حمال ذو وجه))⁽⁶⁾،

ومنه أيضاً ما ورد في قوله (عليه السلام) في النهي عن البدء بالقتال ((لا تقاتلوهم

(1)- نهج البلاغة : 259 .

(2)- م ، ن : 99 .

(3)- ينظر : دراسات في نهج البلاغة : 54 .

(4)- نهج البلاغة : 471-470 .

(5)- دراسات في نهج البلاغة : 35 .

(6)- نهج البلاغة : 595 . يريد الإمام بذلك أن (القرآن محتمل التأويل يمكن أن يفسره كل واحد

بوجه) أعلام نهج البلاغة : 290 .

حتى يدأوكم فإنكم - بحمد الله - على حجة وتذكركم إياهم حتى يدأوكم حجة أخرى لكم عليهم⁽¹⁾.

وقد يؤدي النهي أغراضاً مجازية من ذلك قوله (عليه السلام) : ((اللهم فاستقنا غيثك ولا تجعلنا من القانطين ولا تهلكنا بالسنين))⁽²⁾ فجاء النهي مؤدياً معنى الدعاء على سبيل التضرع .

وقد يأتي النهي مؤدياً غرض النصيح والإرشاد كما في قوله (عليه السلام) إلى سلمان الفارسي : ((لا يُقْنَسَكَ إِلَّا الْحَقُّ وَلَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ))⁽³⁾ أيضاً ما ورد في قوله (عليه السلام) في وصية له إلى ابنه الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) : ((لَا تَبْغِيَ الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَيْتُمَا وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زَوِيَ عَنْكُمَا))⁽⁴⁾، ومنه أيضاً قوله في حكمة له : ((لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ الْفِتْنَةِ))⁽⁵⁾ لأنه ليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن⁽⁶⁾.

وقد يأتي النهي في خطاب نهج البلاغة حاملاً معنى التحذير كما في قوله (عليه السلام) في خطبة له : ((لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ ، فَلَعَلَّكَ مَغْفُورٌ لَهُ وَلَا تَأْمَنَ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرٍ مَعْصِيَةٍ ، فَلَعَلَّكَ مَعْذُوبٌ عَلَيْهِ))⁽⁶⁾، ومنه أيضاً قوله (عليه السلام) في وصية له إلى الإمام الحسن (عليه السلام) : ((لَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرّاً))⁽⁷⁾، ونظير ذلك قوله (عليه السلام) في خطبة له : ((لَا تَضَعُوا مِنْ مَرْفَعَةِ الثَّوْبِ وَلَا تَرْفَعُوا مِنْ مَرْفَعَةِ الدُّنْيَا))⁽¹⁾.

(1) - نهج البلاغة : 472 .

(2) - م ، ن : 251 .

(3) - م ، ن : 237 .

(4) - نهج البلاغة : 537 .

(5) - م ، ن : 615 .

(6) - م ، ن : 248 .

(7) - م ، ن : 508 . يؤكد الإمام (ع) في خطابه التحذيري على أمر هو في غاية العلو والرفعة ألا وهو ضرورة الحرية الناطقة بحقائق الأشياء التي لم يطمسها ولاء ضبابي أو عبودية مرتزقة

ومن ذلك قوله (عليه السلام) في كلام له إلى ابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل: ((تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلُ))⁽²⁾، وقد يأتي النهي لغرض النصح والإرشاد من ذلك ما ورد في قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى مالك الأشتر : ((لَا تَنْصَبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ ، فَأَنْتَ لَا بَدَلَكَ بِتَقَمُّنِهِ وَلَا غَنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ . وَلَا تَدْمَنْ عَلَى عَفْوٍ ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَتِهِ ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ))⁽³⁾، من ذلك أيضاً ما ورد في قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى مالك الأشتر ((لَا يَكُونَنَّ الْمُحْسَنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيئاً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ ، وَتَدْرِيئاً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ))⁽⁴⁾، ومن ذلك أيضاً قوله (عليه السلام) : ((لَا تَدْعُ فَقْدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ أَتَكَالًا عَلَى جَسِيهِمَا ، فَإِنَّ لِّلَّيْسِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَعُونَ بِهِ))⁽⁵⁾، وقوله (عليه السلام) في خطبة له : ((لَا تَكْفُوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلِ))⁽⁶⁾، وقد يأتي النهي موضحاً ومبيناً عاقبة الشيء من ذلك ما ورد في قوله (عليه السلام) : ((لَا تَنْكُرُوا الْأُمُورَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُولَى عَلَيْكُمْ شَرُّكُمْ ، ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يَسْتَجَابُ لَكُمْ))⁽⁷⁾.

فالإمام علي (عليه السلام) في هذا الخطاب يوضح عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنه أيضاً ما ورد في قوله إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني: ((لَا تَصْلَحْ دُنْيَاكَ ، بِمَحَقِّ دِينِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً))⁽⁸⁾.

: ينظر : فلسفة الحياة بين النزعة المادية المنظومة الوجودية : جعفر حسن ، دار الهادي ، بيروت ، الطبعة الأولى 1427 هـ - 2006 م : 475 .

(1) - نهج البلاغة : 357 .

(2) - م ، ن : 39 .

(3) - نهج البلاغة : 545- 546 .

(4) - م ، ن : 549 .

(5) - م ، ن : 552 .

(6) - م ، ن : 421 .

(7) - م ، ن : 538 .

(8) - م ، ن : 527 .

* الاستفهام :

يعرف الاستفهام بأنه طلب ما ليس عندك أي طلب الفهم على وجه التحصيل⁽¹⁾، اذ يطلب المتكلم ((حصول صورة الشيء في ذهن))⁽²⁾ .

ومن ثم فإن الاستفهام حقيقة يقصد إلى طلب الفهم لأنك عندما تسأل المخاطب عما لا تعلمه فتقول : مَنْ رأيت ؟ فأنت تريد جواباً لسؤالك⁽³⁾.

ويعد الاستفهام واحداً من الأساليب التركيبية التي مأل إليها الإمام (عليه السلام) في خطابه إذ ورد الاستفهام بنوعيه الحقيقي والمجازي ، فما ورد من الاستفهام الحقيقي قوله (عليه السلام) في خطبة له إذ قام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الفتنة ، وهل سألت رسول الله؟ فقال (عليه السلام) : ((قلت

يا رسول الله ، فبأي المنازل أنزلهم عند ذلك ؟ بمنزلة مردة أمر بمنزلة فتنة ؟ فقال : (بمنزلة فتنة))⁽⁴⁾.

فالاستفهام هنا جاء حقيقياً لطلب الفهم ، والملاحظ على الاستفهام الحقيقي أنه قليل الوجود قياساً بالاستفهام المجازي ، فالإمام في الاستفهام المجازي لا يطلب الفهم لنفسه وإنما يريد به تفهيم المخاطب ، مما دفعه ذلك إلى استخدام الاستفهام في غير معناه الحقيقي وهذا يدل على أن الموقف الخطابي هو الذي يحدد سبل توظيف الاستفهام ، ومن ثم ترانا حريصين على تفحص هذا الأسلوب في خطاب النهج .

وفي قوله (عليه السلام) في خطبة له : ((ألسن في مساكن من كان قبلكم

أطول أعماراً ، وابتى آثاراً وأبعد آمالاً وأعد عديداً وأكش جنوداً تعبداً للدينا أي تعبداً

(1)- ينظر : الطراز : 3 / 286 .

(2)- مختصر المعاني : سعد الدين التفتازاني (ت 792 هـ) ، منشورات ، دار الفكر ، قم ، إيران ، الطبعة الأولى 1411 هـ ، ق : 131 . وينظر : علم المعاني : 74 .

(3)- ينظر : أساليب الطلب عند اللغويين والبلاغيين : 411 .

(4)- نهج البلاغة : 275 . في هذا الاستفهام يطلب الفهم حقيقة لأن الرسول أعلم منه .

وَأَثَرُهَا أَيُّ إِنْتَابٍ ثُمَّ طَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مَبْلَغٍ وَلَا ظَهَرَ قَاطِعٌ ((⁽¹⁾)، إذ خرج الاستفهام في خطابه (عليه السلام) إلى معنى التقرير الذي يحمل (المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإلجائه إليه)⁽²⁾ ، حيث استقر المعنى عنده وثبت⁽³⁾.

ومثل ذلك أيضاً قوله (عليه السلام) : (أُولَئِكَ أَوْلَسْنَا أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءَ وَإِخْوَانَهُمْ وَالْأَقْرَبَاءَ ؟ تَحْذَرُونَ أَمْثَلَهُمْ)⁽⁴⁾.

إذ أفاد الاستفهام تثبيت المعنى ، وقوله (عليه السلام) في خطبة له : ((أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ وَأَتْرَكَ فِيكُمْ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ))⁽⁵⁾.

ومثل ذلك قوله (عليه السلام) : ((أَلَمْ يَأْيَعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عَثْمَانَ ؟ لَا حَاجَةَ لِي فِي يَعْنِهِ))⁽⁶⁾.

فالاستفهام الوارد في هذه الخطابات لا يحتاج إلى جواب ، لأنه يقرر فكرةً و يحمل المخاطب على الاعتراف بها ، وبمعنى آخر أن جواب السؤال ثابت في المنظومة المعرفية للطرفين . فجواب هذه الأسئلة غير منكور (معروف) لكلا الطرفين ، ومن ثم فلا استجلاب للفهم فيه وليس فيه محاولة ملء الفراغ المعرفي الذي يسعى الاستفهام إليه في حقيقته ، وغالباً ما يستخدم في هذا الأسلوب صيغة الفعل المنفي المسبوق بالهمزة ، فضلاً عن جواز استخدام أدوات استفهامية أخرى⁽⁷⁾.

وقد يأتي الاستفهام حاملاً معنى الإنكار والنفي ، كما في قوله (عليه السلام) : ((كَيْفَ يَرَاعِي النَّبَأَ مَنْ أَصَمَّهُ الصِّحَّةُ))⁽⁸⁾، وقوله (عليه السلام) : ((هَلْ تَحْسَبُهُ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا ؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَدًا ؟))⁽⁹⁾ والمعنى (لا تحسب به ولا تراه

(1)- نهج البلاغة : 208 .

(2)- مختصر المعاني : 137 .

(3)- ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعراب : ابن هشام الأنصاري (ت 761 هـ) تحقيق :

محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني ، القاهرة 1405 هـ : 1 / 18 .

(4)- نهج البلاغة : 129 .

(5)- م ، ن : 143 .

(6)- م ، ن : 113 .

(7)- ينظر : جمالية الخبر والإنشاء : 144 .

(8)- نهج البلاغة : 34 .

(9)- م ، ن : 210 .

(وقوله (عليه السلام) : ((فماذا بعد الحق إلا الضلال المين ، وبعد البيان إلا اللبس ؟))⁽¹⁾ والمعنى (ليس بعد الحق إلا الضلال وليس بعد البيان إلا اللبس) وقوله (عليه السلام) في خطبة له : ((هل يكون بناءً من غير بان أو جنايةً من غير جان))⁽²⁾ ، فالاستفهام الإنكاري الوارد في هذه الخطابات يقصد إلى تحطيم مبنى فكري غير دقيق لدى المخاطب ، فهو أكثر زلزلة لمعارف المخاطب وأشد أثراً فيه مما لو أبلغه المعنى المقصود بالطريق الإخباري المعهود ، فالفرق واضح في المعنى بين (يأتي الضلال بعد الحق) وقوله (عليه السلام) : ((فماذا بعد الحق إلا الضلال)) . وفي قوله (عليه السلام) : ((هل أحد منهم أشد لها مراساً ، وأقدم فيها مقاماً مني ؟ !))⁽³⁾ .

وقد يأتي الاستفهام لغرض الوعيد والتهديد من ذلك قوله (عليه السلام) في رسالة له إلى معاوية : ((لنعلم أين المرين على قلبه والمغطى على بصره))⁽⁴⁾ ومثل ذلك قوله (عليه السلام) : ((افر أين جزع أحدكم من الشوكة تصيبه والعشة تدميه ، والرمضاء تحرقه ؟ فكيف إذا كان بين طابقين من نار ضجيج حجر وقرين شيطان ؟ أعلم أن مالكا إذا غضب على النار حطم بعضها بعضاً لغضبه))⁽⁵⁾ وقوله (عليه السلام) : ((أين تذهب بكر المذاهب ، وتنبه بكر الغياهب وتخذ عكر الكواذب ؟ ومن أين تؤتون وأنى تؤفكون ؟ فلكل أجل كتاب ولكل غيبة إياب))⁽⁶⁾ فالاستفهام الوارد في هذه الخطابات خرج إلى الوعيد والتهديد وهو ينبني على جملة من المقومات لعل من أهمها شد الخطاب وتقليص المسافة بين المخاطب والمخاطب ، فضلاً عن البعد التنغيمي الذي يثير المخاطب ويحمل على التفاعل مع المعنى الملقى ومع الالتفات إلى أن تحطيم المستقر من المعرفة أو تهيج الراكد منها مقصد مهم ، إذ حاول الإمام (عليه السلام) مثلاً إلى تحطيم ما استقر في رأي معاوية وبصيرته ، وكذلك تهيج استشعار ألم المخاطب من الشوكة و استحضاره حسياً

(1) - م ، ن : 584 .

(2) - م ، ن : 341 .

(3) - م ، ن : 63 .

(4) - نهج البلاغة : 468 . في هذا الخطاب إشارة إلى الآية (كلا بل ران على قلوبهم) المطفون : 14 .

(5) - م ، ن : 336 .

(6) - م ، ن : 197 .

ليذكره بما هو أشد منه ألماً ، فهذه الاستفهامات عملت على قلقلة الساكن من معرفة المخاطب أما لتحطيمها وإما لتحريك الساكن من مخزونها .

ويعد غرض الوعيد والتهديد (أعم من الإنذار لأنه إبلاغ مع التخويف)⁽¹⁾.

وقد يؤدي الاستفهام معنى التحقير والخط من شأن المخاطب ، كما في قوله (عليه السلام) : ((أيها اليفن الكيس الذي قد لهذه القيس كيف أنت صانع إذا النحمت أطواق النار بعظام الأعناق))⁽²⁾ مع ملاحظة أن جمال النص أتى من التوظيف الاستعاري الذي اكتشف الاستفهام ، ومثل ذلك أيضاً ما ورد في قوله (عليه السلام) في خطبة له : ((أعز دين الله أتيتي لنخدعني ؟ أمخبط أنت أمر ذوجنة أمر تهجر))⁽³⁾، وقوله (عليه السلام) : ((أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا ، أن مرفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرهم ، وأدخلنا وأخرجهم))⁽⁴⁾ إذ دلَّ الاستفهام على معنى التحقير الذي يعني (تصغير شأن المخاطب والاستخفاف به والخط من منزلته)⁽⁵⁾ ، مع ملاحظة أن استفهام التحقير يشترك مع ما سبق في أنه تحطيم لمعرفة أو اعتقاد سابق من مثل تحطيم ادعاء الرسوخ في العلم ولا شك أن التحطيم هذه المرة موجه إلى الشخص ذاته أكثر من كونه موجهاً إلى منظومة معرفية ، ومن ثم كان تحقيراً لشخصه بدرجة أكبر من كونها تحقيراً لشيء من خزينه المعرفي .

وقد يأتي الاستفهام مؤدياً غرض التعظيم كما في قوله (عليه السلام) عندما جاءه نعي مالك الأشتر : ((مالك وما مالك والله لو كان جبلاً لكان فنداً))⁽⁶⁾، وقد يأتي الاستفهام مؤدياً معنى التمني كما في قوله (عليه السلام) : ((أين المانع للذمار والغائر عند نزول الحقائق من أهل الحفاظ))⁽⁷⁾.

(1)- مختصر المعاني : 140 .

(2)- نهج البلاغة : 336 .

(3)- م ، ن : 438 .

(4)- م ، ن : 253 .

(5)- جمالية الخبر والإنشاء : 159 .

(6)- نهج البلاغة : 69 .

(7)- م ، ن : 309 .

وقد يحمل الاستفهام معنى التوبيخ كما في قوله (عليه السلام) : ((ومنى كُنُزِيَا معاوية ساسة الرعية وولاة أمر الأمة ؟ ! بغير قدمٍ سابق ولا شرفٍ باسق))⁽¹⁾ ومنه قوله (عليه السلام) في رسالة له إلى معاوية : ((ألا ترى أيها الإنسان على ظلمك وتعرف قصور ذرعتك وتناخر حيث أخرت القدر !))⁽²⁾، وقوله (عليه السلام) في توبيخ أصحابه : ((أشهد كغياب وعيد كآرباب ، أتلو عليكم الحكم فتشرون منها وأعظمكم بالموعظة البالغة فتشرون عنها))⁽³⁾، إذ أن الاستفهامات الواردة أفادت معنى التوبيخ الذي يعني الحط من قدر المخاطب لأنه إما يكون كاذباً أو مدعياً أو ذليلاً⁽⁴⁾ مما يظهر أثر الاستفهام واضحاً في بنية المخاطب شخصاً أو فكراً .

وقد يأتي الاستفهام حاملاً معنى التعجب كما في قوله (عليه السلام) : ((كيف تعمهون وينكم عشرة نبيكم ؟ وهم أئمة الحق وأعلام الدين والسنة الصديق))⁽⁵⁾.

وقوله (عليه السلام) ((كيف تسبخ شراباً وطعاماً ، وأنت تعلم أنك تأكل حراماً وتشرب حراماً))⁽⁶⁾، ومثله قوله (عليه السلام) : ((كيف ينوفى الجنين في بطن أمه ؟ ! أيلج عليه من بعض جوارحها ؟ أم الروح أجابته بأذن ربها ؟ أم هو ساكن معه في أحشائها))⁽⁷⁾، فالاستفهامات الواردة في هذه الخطابات أفادت معنى التعجب الذي يعني (تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله)⁽⁸⁾ ، ومن ثم نرى الإمام يستعظم أو ينبهر به أو يستغربه . وفي قوله (عليه السلام) ((أتراني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ والله لأنا

(1) - نهج البلاغة : 468 .

(2) - م ، ن : 488 - 489 .

(3) - م ، ن : 177 .

(4) - ينظر : جمالية الخبر والإنشاء : 130 .

(5) - نهج البلاغة : 142 .

(6) - م ، ن : 525 .

(7) - م ، ن : 210 .

(1) الكشاف : 97/4

أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه⁽¹⁾، فالخطاب هنا جاء استغراباً من اعتقاد المخاطب ، ومن ثم فهو تعجبي تهكمي أولاً حمل في طياته الإنكار . وفي قوله (عليه السلام) : ((أفلا تأب من خطيئته قبل منيته إلا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه))⁽²⁾، نجد أنه أمر بصيغة الاستفهام أي (توبوا وأعملوا) إلا أنه أمر بشدة فهو (تحضيض) . وفي قوله (عليه السلام) : ((أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه ؟ وقرأوا القرآن فاحكموه ؟))⁽³⁾ نجد أن الاستفهام أدى غرض الترغيب . وقد يأتي الاستفهام لغرض الوعظ والإرشاد ، كما في قوله (عليه السلام) : ((أين أخياركم وصلحائكم ! وأين أحراركم وسُحُوركم أين المنورعون في مكاسيهم ، والمشرهون في مذاهبهم !))⁽⁴⁾ ونظير ذلك قوله (عليه السلام) : ((أين العمالقة وأبناء العمالقة ! أين الفراعت وأبناء الفراعت ! أين أصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين وأطفالاً سنن المسكين))⁽⁵⁾.

وقد يأتي الاستفهام حاملاً معنى التحسر لفقد الأوبة من ذلك قوله (عليه السلام) : ((أين إخواني الذين ركبوا الطريق ، ومضوا على الحق ؟ أين عمار ؟ وأين ابن النيهان ؟ وأين ذو الشهادتين ؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدا على المنيّة))⁽⁶⁾ مع ملاحظة حمل هذا الخطاب دلالة الحث لغيرهم للاقتداء بهم .

وقد يأتي الاستفهام حاملاً معنى التأنيب والتنكيل ، من ذلك قوله (عليه السلام) لأصحابه : ((لله أنذر ! أما دين يجمعكم ! ولا حمية تشدكم ! أو ليس عَجَباً أن معاوية يدعو الجُفَاءَ الطغام فينبعونه على غيـر معونة ولا عطاء ، وأنا أدعوكم وأنذر تركة الإسلام ، وبقية الناس - إلى المعونة أو طائفة من العطاء ، فترقون عني وتختلفون

(1) - نهج البلاغة : 81 .

(2) - م ، ن : 64 .

(3) - م ، ن : 224 .

(4) - م ، ن : 236 .

(5) - م ، ن : 331 .

(6) - نهج البلاغة : 332 .

على ؟ !))⁽¹⁾ ونظير ذلك قوله (عليه السلام) في خطاب له إلى زياد بن أبيه: ((أترجو أن يعطيك الله أجر المناضعين وأنت عند من المنكبرين ! وتطمع - وأنت ممنوع في النعيم، تمنع الضعيف والأرملة - أن يوجب لك ثواب المصدقين ؟ !))⁽²⁾ فالإمام (عليه السلام) في هذا الخطاب الاستفهامي يعلن استقباح أفعال المخاطب والتذمر منه ، ونجد في قوله (عليه السلام) : ((اضمصرع أبائهم فخر ون ! أمر بعيد الهلكى ينكاثرون ! يرتجعون منهم أجساداً خوت ، وحر كات سكنت))⁽³⁾ فالإمام علي (عليه السلام) قال هذا الخطاب بعد تلاوته قوله تعالى: (أَلْهَأَكُمُ النَّكَاتُ. حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)⁽⁴⁾ حاملاً خطابه معنى الاستهزاء من المخاطبين الغافلين .

وقد لخصت أغراض الاستفهام (أما أن يكون على أصله فيكون طلباً للجواب وإما أن يكون للتقرير فيكون طلباً للإيجاب والموافقة وإما يكون للإنكار فيكون إظهاراً للاختلاف والخلاف)⁽⁵⁾ ، وهذا ما وجدناه واضحاً في خطاب نهج البلاغة .

* النداء :

أسلوب مباشر يعني (طلب الإقبال بحرف نائب مناب أَدْعُو)⁽⁶⁾ إذ يتضمن (رفع الصوت ومدّه بأدوات معينة لتنبية المنادى وحمله على الإصغاء إلى خبر أو طلب)⁽⁷⁾.

فهو (خطاب بلا شبهة ، وهو كثير الدوران في كلام العرب)⁽⁸⁾.

ويذكر سيبويه في هذا الصدد أن النداء (أول كل كلام لك به تعطف المكلّم عليك)⁽⁹⁾ وعلى الرغم من كثرته في الكلام العربي ، إلا أنه لم يقصد لذاته وإنما هو يستخدم لعطف المخاطب قاصداً بذلك أمره أو نهيه⁽¹⁰⁾ .

(1) - م ، ن : 325 .

(2) - م ، ن : 478 .

(3) - م ، ن : 425 .

(4) - التكاثر / 1 ، 2 .

(5) - الخلاصة النحوية : 142 .

(6) - مختصر المعاني : 142 .

(7) - نحو منهج جديد في البلاغة والنقد - دراسة وتطبيق : سناء حميد البياتي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي- ط 1 ، 1998 م : 67 .

(8) - أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : 218 .

(9) - الكتاب : 208 / 2 .

(10) - ينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : 218 .

والنداء من الأساليب الإنشائية التي وظفت في خطاب نهج البلاغة ، لأنه ينبه المخاطب على الإصغاء إلى ما يأتي بعده من كلام ، فالإمام حيث ينادي أحداً فإنما يريد من ذلك إقباله عليه ، وحينما يقبل عليه يستحوذ على سمعه ، ومن ثم يلقي عليه ما يريد من خبر أو أمر أو نهي أو استفهام .

إذن المقصد من النداء لفت نظر المنادى وتنبيهه على الأمر الذي يلي النداء .

بمعنى أن النداء فتحٌ لمجالات خطاب أي انه سعيٌ قبلي أو محاولةٌ لتهيئة المخاطب إلى المباشرة الخطابية بين طرفي الخطاب سواء أينتقل المخاطب إلى ساحتك أو بالتحرك نحو ساحة المخاطب .

أما نداء الباري عز وجل فإنه يصدر من الأدنى إلى الأعلى على سبيل الدعاء والتضرع من ذك قوله (عليه السلام : ((اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني ، فان عدت فعد علي بالمغفرة ، اللهم اغفر لي ما وأيت من نفسي ولم تجد له وفاء عندي . اللهم اغفر لي ما تقرت به إليك بلساني ، ثم خالفه قلبي ، اللهم اغفر لي رمزات الألفاظ وسقطات الألفاظ وشهوات الجنان ، وهفوات اللسان))⁽¹⁾ فالإمام علي (عليه السلام) ينادي الخالق بلفظ (اللهم) وهو الأكثر في ندائه ، فضلاً عن تكرار النداء الذي يوحي لنا بدلالة التضرع واللجوء إليه طالباً المغفرة .

ويوجه الإمام خطابه على سبيل بث الشكوى كما في قوله (عليه السلام) : ((اللهم إني قد مللتهم وملوني وسئمهم وسئمونني فأبدلني بهم خيراً منهم ، وأبدلهم بي شراً مني ، اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء))⁽²⁾.

ويأتي النداء لتأدية غرض النصيح والإرشاد كما في قوله (عليه السلام) ((أيها الناس شقوا أمواج الفن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة))⁽³⁾، ونظير ذلك قوله (عليه السلام) : ((أيها الناس انه لا يسغني الرجل - أن كان ذا مال - عن عثرته))⁽⁴⁾. ويأتي النداء ليؤدي غرض التأنيب على فعل ما .

(1) - نهج البلاغة : 16 - 17 .

(2) - نهج البلاغة : 58 .

(3) - نهج البلاغة : 35 .

(4) - م ، ن : 54 .

من ذلك قوله (عليه السلام) في خطاب موجه إلى عاملة عثمان بن حنيف:
 ((أما بعد يا بن حنيف ، فقد بلغني أن رجلاً من فئمة أهل البصرة دعاك إلى مادية ،
 فأسرعت إليها ، تسخطاب لك الألوان وتشتغل إليك الجفان ، وما ظننت أنك تجيب إلى طعمر
 قوم عائلهم مجنؤ وغنيهم مدعو))⁽¹⁾ مع ملاحظة شدة اللهجة التي يخاطب بها الإمام
 عامله .

ويأتي النداء مؤدياً غرض المدح كما في قوله في خطاب له إلى أبي ذر الغفاري:
 ((يا أبا ذر إني ذك غضبت للم فارح من غضبت له . إن القوم خافوك على ذنباهم وخذتهم
 على دينك))⁽²⁾ ونظير ذلك قوله (عليه السلام) مخاطباً نوف البكالي: ((يا نوف ،
 طوبى للزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة أولئك قوم أخذوا الأرض بساطاً وتراها
 فراشاً وماءها طيباً))⁽³⁾.

ومثلما يطلق الإمام (عليه السلام) نداءه لغرض المدح ، فكذلك يطلقه لغرض الذم
 بسبب الموقف الخطابي الذي يتطلبه من ذلك قوله (عليه السلام): ((يا أهل العراق ،
 فإنما أنتم كالمراة الحامل ، فلما أتمت أملت ، ومات قومه ها وطال تأيمها وورثها أبعدها
))⁽⁴⁾ ونظير ذلك قوله (عليه السلام): ((يا أهل الكوفة ، منيت منكم ثلاث واثنتين
 صرذو أسمع ، وبكم ذو كلام ، وعمي ذوو أبصار ، لا أحرار صدق عند اللقاء ولا
 إخوان ثقة عند البلاء))⁽⁵⁾.

(1) - نهج البلاغة : 529 .

(2) - م ، ن : 237 .

(3) - م ، ن : 618 .

(4) - م ، ن : 109 .

(5) - م ، ن : 177 .

وقد يوظف النداء للتحذير من ذلك ما ورد في قوله (عليه السلام) في خطابه إلى معاوية: ((فاتق الله يا معاوية ، في نفسك وجاذب الشيطان قيادك ، فإن الدنيا منتطعةٌ عنك والآخرة قريبةٌ منك))⁽¹⁾، وقوله (عليه السلام) أيضاً ((أيها الناس انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها الصادقين عنها ، فإنها والله عما قليل تزيل الناري الساكن وتقع المشرق الآمن))⁽²⁾.

وقد يأتي النداء مؤدياً غرض الترغيب من ذلك قوله (عليه السلام) : ((أيها الناس إن الوفاء ذوام الصدق ولا أعلم رجوتاً))⁽³⁾ وفي فضيلة عن تشجيع المخاطبين للقيام به ، وقد يأتي للتنبيه وبيان العاقبة كما في قوله: ((أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم أثنان إتياع الهوى ، وطول الأمل ؛ فأما إتياع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة))⁽⁴⁾ وفي قوله (عليه السلام) ((أيها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، كما مكرهم نومي الصر الصلاب ، وفعلكم طمع فيكم الأعداء !))⁽⁵⁾، فالإمام يبرز عاملين⁽⁶⁾ هما الاختلاف في الولاءات السياسية الذي يعمل على شل القدرة على اتخاذ المواقف الحاسمة ، وظاهرة النفاق التي تُعبر عن الانفصال بين القول والفعل ، فالإمام عندما رأى تخاذل أنصاره عن مساندة الحق ، بينما الآخرون يناصرون الباطل تألم وشكا ووبخهم على ذلك⁽⁷⁾ ومثل ذلك قوله

(عليه السلام) : ((يا أشبهاء الزجال ولا مرجال ! حلوم الاطفال وعقول رذات الجبال))⁽⁸⁾ إذ جاء النداء هنا مؤدياً غرض المبالغة في التوبيخ . ونظير ذلك قوله (عليه السلام) : ((أيها النفوس المختلفة ، والقلوب المشتتة ، الشاهدة أبدانهم والغائبة عنهم

(1)- نهج البلاغة : 514 .

(2)- م ، ن : 186 .

(3)- م ، ن : 83 .

(4)- م ، ن : 84 .

(5)- م ، ن : 66 .

(6)- ينظر : دراسات في نهج البلاغة : 74 .

(7)- ينظر : الإمام علي صوت العدالة الإنسانية : 291 .

(8)- نهج البلاغة : 63 .

عُقُولُهُمْ، اضْمُرْكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَأَذْنُكُمْ تَذَنُّهُ⁽¹⁾ فَقَصَصَهُ الْإِمَامُ الْنَفُوسَ بِالنِّدَاءِ ؛ لأنها مكنون سر الإنسان⁽²⁾، مع ملاحظة أن الإمام بدأ خطابه بالنفس وانتهاه بالعقل ؛ لأنَّ (النفس قابلةٌ للاستجابة والتأثر فهي التي ترهب وتخشع وعلى أثرها ينصاع العقل)⁽³⁾ ، فالتشتت والاختلاف للأهواء المرتبطة بالنفوس أكثر من ارتباطها بالعقول وما ذلك إلا لغياب سيطرة العقل على حَقِّقِ الْإِمَامِ (الْغَلْبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ) فجاء الخطاب مؤدياً غرض التوبيخ .

وقد يأتي النداء لتأدية غرض التحقير كما في قوله (عليه السلام) في خطابٍ له إلى البرج بن مسهر الطائي: ((اسكت قبحك الله يا اثرم . فوالله لقد ظلم الحقُّ فَكُنْتُ فِيهِ ضَيْلاً شَخْصَكَ ، خَفِياً صَوْتَكَ))⁽⁴⁾ جاء النداء هنا بصفة للمُخَاطَب وليس باسمه مما يدل على استصغاره والتقليل من شأنه، لهذا جاء الخطاب اسكاتياً ، فضلاً عن إن إيتاءه بصفة (الثرم) فيه إحياء وإشارة إلى نقص في أداة التواصل .

ولا يقتصر النداء على العاقل وإنما يرُدُّ لغير العاقل أيضاً من ذلك ما ورد في

قوله (عليه السلام) : ((فَيَا عَجَباً وَمَالِي لَا أُعْجَبُ مِنْ خَطَا هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِ

حُجَجِهَا فِي دِينِهَا لَا يَقْتَضُونَ أَثَرَ نَبِيٍّ وَلَا يَقْتَضُونَ بَعْمَلَ وَصِيٍّ))⁽⁵⁾ فدلَّ النداء على معنى التعجب لأن العرب إذا أرادت (أن تعظم أمراً من الأمور جعلته نداءً)⁽⁶⁾، ونظير ذلك قوله (عليه السلام) : ((فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ تُقَرَّنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي))⁽⁷⁾ ، فدلَّ النداء على معنى التعجب وإثارة الدهشة والاستغراب وكأنه (ينادي العجب لي عجب معه وبذلك يكون التعجبُ ابْلَغُ وَأَعْظَمُ)⁽⁸⁾ ، وقوله (عليه السلام) : ((

فَيَا عَجَباً ! عَجَباً - وَاللَّهِ - يُمِيتُ الْقُلُوبَ وَيَجْلِبُ الْهَرَمَ مِنْ أَجْمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ

وَنَفْسِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ !))⁽⁹⁾ . إذ جاء النداء مؤدياً غرض التعجب الذي يحمل في

(1) - م ، ن : 273 .

(2) - ينظر : أساليب الطلب في نهج البلاغة (رسالة ماجستير) : عدوية عبد الجبار كريم الشرع ، كلية التربية ، جامعة بابل ، 1421 هـ - 2000 م : 181 .

(3) - تحولات بنى الخطاب القرآني في مشاهد القيامة والقص دراسة أسلوبية (أطروحة دكتوراه) : بليس كولي محمد الخفاجي ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، 1426 هـ - 2005 م : 149 .

(4) - نهج البلاغة : 337 .

(5) - نهج البلاغة : 144 .

(6) - أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : 298 .

(7) - نهج البلاغة : 466 .

(8) - أساليب الطلب في نهج البلاغة : 78 .

(9) - نهج البلاغة : 62 .

طَلَّيْتَهُ معنى التوبيخ . ومما وردَ من نداء غير العاقل في خطاب نهج البلاغة ، نداء الدنيا كما في قوله (عليه السلام) : ((يا دنيا يا دنيا إِلَيْكَ عَنِّي أَبِي تَعَرَّضْتُ ؟ أَمْرِي إِلَيْكَ تَشْرُقُ))⁽¹⁾ إذ دَلَّ النداء على معنى الزجر للدنيا فضلاً عن مخاطبة الدنيا بأداة النداء (يا) وهذا مما يدل على مدى بعد الدنيا عن المخاطب .

ومن نداء غير العاقل أيضاً خطاب المكان كما في قوله (عليه السلام) : ((فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيشٍ من قهر الله ! لا مرهج له ولا حس ، وسينلّي أهلك بالموت الأحمس ، والجوع الأغبر))⁽²⁾ فالإمام في هذا الخطاب يوضح ما سيجري على هذه المدينة ، وقوله (عليه السلام) : ((كَأَنِّي بِكَ يَا كُوفَةَ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِي ، تَعْرِكِينَ بِالنَّوْازِلِ وَتُحْكِمِينَ بِالزَّلْزَالِ))⁽³⁾ فالإمام في ندائه إلى مدينة الكوفة يخبر عمّا سيحل بأهلها من الظلم والجور .

نستنتج مما سبق تباين الأساليب التركيبية في خطاب نهج البلاغة ؛ وذلك تبعاً لدواعٍ دلالية ، إذ كان الإمام يحرص على توصيل أفكاره إلى المخاطب وتحقيق مقاصده ، فضلاً عن أن التنوع في هذه الأساليب – التي وظفها الإمام بما يخدم غاية الخطاب قد شكّل عامل إثارة لشهذهن المخاطب ، إذ أن إثارته لا تكمن في مجرد التنظيم والتأليف وإنما فيما تتركه من مواقف في النفس الإنسانية ترتفع وتسمو بالإنسان عن كلّ ما يُقَلُّ من شأنه ، فضلاً عن أن للشخصيات المخاطبة أثر في استخدام أساليب معينة من دون غيرها .

(1) - م ، ن : 612 .

(2) - م ، ن : 186 .

(3) - نهج البلاغة : 88 .

الفصل الثاني : أنواع الخطاب المخاطب :

يطلق الباحثون على الجهة المتلقية للخطاب تسميات عدة منها : المرسل إليه ، السامع ، المتلقي ، المخاطب⁽¹⁾ ، إلا أننا في دراستنا هذه قد آثرنا مصطلح المخاطب ، لأنه مصطلح واسع وشامل في الساحة الأدبية .

الخطاب قبل كل شيء ((جسرٌ ممدود بين شخصين محددين اجتماعياً))⁽²⁾ لذلك يقتضي وجودَ مخاطبٍ يقوم المخاطب بتوجيه الإرسال إليه⁽³⁾ ؛ لأن المتكلم به ((يقوم بعملية التركيب أي صياغة المفاهيم والمتصورات المجردة في نسقٍ كلامي محسوس ينقل عبر القناة الحسية بواسطة الأداة اللسانية ، وأما المتقبل وهو المخاطب يقوم بعملية التفكيك))⁽⁴⁾ ، وبذلك تكون مهمة المخاطب هي النقل الفعال للمعلومات ، أي أن ما يوجهه يشترط فيه الوضوح حتى يتلقاه المخاطب من دون عناء⁽⁵⁾ كبير قدر الإمكان أي يشترط في الخطاب أن يكون ضمن المنظومة المعرفية ليتسنى له الدخول إلى عالمه وفك رموزه . إذن يتنوع الخطاب على وفق جهة التلقي إلى أنواع عدة أهمها :

1- خطاب الخالق :

يتجلى هذا النوع من أنواع الخطاب في نهج البلاغة تجلياً واضحاً من خلال أدب الدعاء الذي هو ((نتاج أدبي فني إسلامي راق بل هو أرقى النتاجات وأعظمها لارتباطها مع الرب العزيز))⁽⁶⁾ ، فهو خطابٌ موجهٌ إلى جهة السماء قاصداً الله تبارك وتعالى للطلب منه والاعتراف له وبث الشكوى إليه ، فليس القصد من هذا الخطاب هو التأثير والإفهام .

وقد استخدم الإمام الدعاء لأغراض فكرية لعرض موضوع التوحيد وما يتعلق به من صفات الله تعالى⁽⁷⁾ من ذلك قوله (عليه السلام) ((اللَّهُمَّ هَذَا مَقَامُ مَنْ أFRَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ وَلَمْ يَرِ مَسْحَقاً لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَادِحِ غَيْرُكَ))⁽⁸⁾ ومن ذلك أيضاً قوله (عليه السلام) : ((اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي ، وَعَلَى مَا

(1)- ينظر : نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث : 81 - 83 .

(2)- التفاعل النصي - التناسية النظرية والمنهج : نهلة فيصل الأحمد ، مطبعة مؤسسة الإمامية الصحفية ، الرياض ، 1423 هـ : 105 .

(3)- ينظر : بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية : محمد عابد الجابري ، بيروت ، الطبعة السادسة ، 2000م : 64 .

(4)- الأسلوبية والأسلوب : عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، الطبعة الثالثة : 62 .

(5)- ينظر : لسانيات النص : 48 .

(6)- دعاء الإمام علي (عليه السلام) . دراسة نحوية أسلوبية : 182 .

(7)- ينظر : علوم نهج البلاغة : 388 .

(8)- نهج البلاغة 169 :

تَعَا فني وتبلي، حمداً يكون أَرْضَى الحمد لك، واحب الحمد إليك، وأفضل الحمد عندك ، حمداً يملأ ما خلقت، ويبلغ ما أردت، حمداً لا يُحجبُ عنك، ولا يُقصُ دُورك . حمداً لا ينقطع عدده، ولا يفنى مداه. فلسنا نعلم كنه عظمك إلا أننا نعلم أذ لك حي قيوم، لا تأخذك سنة ولا نوم⁽¹⁾.

فوظيفة الدعاء تُعبر عن ((ارتباط الجزء ، وتعلق الجزء بالمطلق وحب الجزء للمطلق ، وإذا كان تعبيراً عن مصداقية العبودية وذوبان الكائن في حب خالقه ، وانسجاماً مع أوامره ونواهيه ، فهو من جانب آخر يُمثل حاجة نفسية في أعماق هذا الكائن الضعيف))⁽²⁾.

وقد يأتي الدعاء لغرض الطلب من ذلك ما ورد في دعاء له يطلب من الله أن يهديه سبيل الرشاد إذ قال (عليه السلام) ﴿اللهم إن فهمت عن مسألتي، أو عمت عن طلبني، فدلني على مصالحني، وخذ بقلبي إلى ما أشدي، فليس ذلك ينكس من هداياتك، ولا يبدع من كهاتك﴾⁽³⁾.

ويأتي الدعاء لطلب الاستسقاء والرحمة من ذلك قوله (عليه السلام) : ﴿اللهم سقياً منك تعشب بها نجادنا، وتجري بها وهاذا، ويخصب بها جنابنا، وتقبل بها ثمارنا، وتعيش بها مواشينا، وتندى بها أقاصينا﴾⁽⁴⁾، وقد يستخدم الإمام الدعاء بالخير كما في قوله (عليه السلام) : ﴿اللهم أعل على بناء البائين بناءً، وأكر مرلديك نزلهم، وشرق عندك منزلهم، وآتم الوسيلة، وأعظم السناء، والفضيلة، واحش لنا في زمرة غير خزايا، ولا نادمين، ولا ناكسين، ولا ضالين، ولا مضلين، ولا مفنوين﴾⁽⁵⁾.

ومثلما يستخدم الإمام الدعاء بالخير ، فإنه يوظفه للتظلم والتشكي من قريش: كما في قوله ﴿اللهم أني استعديك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قد قطعوا رحمي،

(1)- نهج البلاغة : 280 .

(2)- منهج الإمام السجاد في التوحيد : 28 .

(3)- نهج البلاغة : 442 .

(4)- نهج البلاغة : 216 .

(5)- م ، ن : 193

وَأَكْهَأُوا إِنَائِي ، وَاجْمَعُوا عَلَيَّ مَنَازِعِي حَتَّى أَكُنْتُ أَوَّلِي بِهِ مِنْ غَيْرِي))⁽¹⁾ . ومن ذلك أيضاً ما قاله عندما تناقل أصحابه عن الجهاد ((اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُكُمْ وَمَلُونِي ، وَسَمِعْتُكُمْ وَسَمِعُونِي فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خيراً مِنْهُمْ ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي شراً مِنِّي ، اللَّهُمَّ مِثْلُ قُلُوبِهِمْ كَمَا يُمَاتُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بَنِ غَنَمٍ . هُنَالِكَ لَوَدِدْتُ ، أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسٌ مِثْلُ أُرْمِيَةِ الْحَمِيرِ))⁽²⁾ .

فالذي يتبين لنا أن الدعاء هو ((حَاجَةٌ حَقِيقِيَّةٌ وَإِحْسَاسٌ فَطَرِي فِي الذَّاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ تَعَبُّرٌ مِنْ خِلَالِهِ عَنْ عِلَاقَتِهَا بِخَالِقِهَا وَصُدُورُهَا عَنْهُ ، وَلَجُوءُهَا إِلَيْهِ فَعِنْدَ الدَّعَاءِ وَاللَّجُوءِ إِلَى اللَّهِ فِي الْحَوَادِثِ وَالْأَهْوَالِ وَالْحَاجَاتِ قَرُّ النَّفْسِ عِنْدَ شَاطِئِ الْأَمَانِ وَتَحَسُّسٌ أَنَّ يَدَ مَنْ الْغَيْبِ تَلْمَسُهَا . وَأَنَّ قُوَّةَ تَمَدُّلِهَا أَسْبَابَ الْعَوْنِ وَالْإِنْقَازِ بِمَا لَا طَاقَةَ لِأَيَّةٍ يَدٍ وَأَيَّةٍ قُدْرَةٍ أُخْرَى عَلَى الْقِيَامِ بِمِثْلِهِ))⁽³⁾ .

وعندما يريد الإمام علي (عليه السلام) الحديث عن نفسه ، فأفضل وسيلة يعبر بها عن حاله هو الالتجاء إلى الدعاء ، إذ يبين من خلاله المكونات الداخلية وما تحمله نفسه من آوايا من ذلك ما ورد في قوله : ((اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ لِي رِيْكَنَ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ، وَلَا النَّمَاسُ شَيْءٌ مِنْ فَضُولِ الْخَطَامِ ، وَلَكِنْ لِنَرْدِ الْمَعَالِمِ مِنْ دِينِكَ ، وَنُظْهِرِ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتَقَامَرَ الْمُعْطَلَّةُ مِنْ حَدُودِكَ))⁽⁴⁾ ، ويعلق الأديب جبران خليل جبران على أدعية الإمام (عليه السلام) بقوله : ((لو تأملنا دعواتهم ومناجاته ووقفنا على ما فيها من تعظيم الله وإجلاله وما يتضمنه من الخضوع والخشوع لهيبته لعرفنا ما ينطوي عليه من الإخلاص وفهمنا من أي قلب خرجت وعلى أي لسان جرت))⁽⁵⁾ ، لأن الإمام (عليه السلام) يخاطب الخالق خطاباً ((بِالْقَلْبِ الْمَشْبَعِ بِالْإِيمَانِ وَبِاللِّسَانِ الْمُفَعَّمِ بِالْبَيَانِ))⁽⁶⁾ .

وعليه فإن الإمام في خطابه إلى الخالق يسعى إلى بيان حقيقة العلاقة مع الخالق إذ يمكن أن توصف بأنها ((عِلَاقَةٌ عُمُودِيَّةٌ تَتَصَفُّ بِالتَّرَابِطِ الدَّائِمِ بِالْفِعْلِ وَبِالْقُوَّةِ))⁽⁷⁾ .

(1) - م ، ن : 422 .
 (2) - نهج البلاغة : 58 . والبيت الشعري لأبي جندب الهذلي : شرح أشعار الهذليين : 363
 (3) - منهج الإمام السجاد : 28 - 29 .
 (4) - نهج البلاغة : 238 .
 (5) - الإمام علي بن أبي طالب : جبران خليل جبران : 25 .
 (6) - مدخل إلى علوم نهج البلاغة : 128 .
 (7) - أطراف النص - دراسات في النقد الإسلامي المعاصر : محمد سالم سعد الله ، عالم الكتب الحديث ، اربد ، ط 1 ، 2007م : 33 .

2- خطاب الذات :

أبرز ما يظهر هذا النوع من أنواع الخطاب الواردة في نهج البلاغة من خلال محاوره النفس التي هي ((طريقة من طرائق الحوار الداخلي))⁽¹⁾، إذ إن النفس تشكل ((طرفاً آخر للتحاور الداخلي))⁽²⁾، فلا بُدَّ من وجود طرفين في عملية التخاطب ، فالمخاطب في نهج البلاغة هو الإمام علي (عليه السلام) ، والمخاطب هو النفس إذ يكون ((منتج النص هو متلقيه في الوقت نفسه))⁽³⁾، وهو ما يُطلق عليه بالتواصل الأحادي⁽⁴⁾.

وحوارات الإمام علي (عليه السلام) مع نفسه كثيرة تدلُّ على رفعة شخصيته من ذلك قوله (عليه السلام) : ((أقتعُ من نفسي بأن يُقالَ هذا أمير المؤمنين ولا أشارَ كهم في مكاره الدهر ، أو أكون أسوة لهم في جشوة العيش ؟ ! فما خلقتُ ليشغلني أكل الطيبات))⁽⁵⁾ إذ استطاع الإمام من مُخطبة ذاته الشريفة ((الولوج إلى حقيقة الذات الإنسانية وتحليل كنهها وتجسيد رؤاها وتطلعاتها فشرع بسبر أغوار ذاته ، وتثبيت تطلعاته))⁽⁶⁾، ومثل ذلك قوله (عليه السلام) : ((لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص اذا قدرتُ عليه مطعوماً ، وتقعُ بالملح مأدوماً ، ولأدعن مقلني كعين ماء نضب معينها مستغرغة دموعها))⁽⁷⁾.

نستنتج من مخاطبة الإمام لذاته الشريفة أنه أما أن يكون خطاب الذات مجرداً لغرض النصيح والإرشاد أو التأنيب ، أو يكون خطاباً مركباً بمعنى أنه يطلق لخطاب الذات ويُراد به الآخر .

(1)- الحوار القصصي تقنيات وعلاقات السردية : فاتح عبد السلام ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ط 1 ، 1996م : 126 .

(2)- القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : محمود البستاني ، مجمع البحوث الإسلامي ، مشهد ، إيران ، الطبعة الأولى ، 1414هـ : 241 .

(3)- مدخل إلى علم النص - مشكلات بناء النص : زتسيسلاف واورزنيك ، ترجمة وتعليق : سعد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1424هـ - 2003م : 39 .

(4)- ينظر : م ، ن : 39 .

(5)- نهج البلاغة : 532 .

(6)- الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي : 189 .

(7)- نهج البلاغة : 535 .

3- خطاب الآخر :

لا نكران في أن رابطةً وشيجةً تربط الإنسان بغيره، لأن ((الوعي الذاتي يقتضي الشعور بالآخرين ، فهو اجتماعي في أعماق طبيعته الميتافيزيقية ، وما دامت حياة الإنسان تعبيراً عن الأنا فإنها تقتضى وجود الآخرين))⁽¹⁾.

فيحاول الإنسان الخروج من عزلته ، ليحقق الاتصال⁽²⁾.

ويتباين الآخر الذي يتموضع معه الإنسان في مجتمع تواصل⁽³⁾ على وفق العدد فقد يُوجه الخطاب إلى فرد واحد وهو ما يُدعى بالخطاب الخاص أو يُوجه إلى الناس عامة وهو ما يُدعى الخطاب العام ، وهذا ما يمكن أن نجد مظاهره واضحة في خطاب نهج البلاغة ، فضلاً عما يمكن تفريعه عن هذين الخطابين .

ولو تفحصنا خطاب نهج البلاغة وقمنا بتصنيفه لوجدناه يتوزع إلى :

أ- الخطاب الموجه إلى شخص : من ذلك قوله (عليه السلام) في رسالة له إلى

معاوية ﴿ أرذيتَ جيلاً من الناس كثيراً ، خدعهم بغيك وألقيهم في موج بحر ك

تغشاهم الظلمات تنلاط بهم الشبهات ﴾⁽⁴⁾ إذ وردَ الخطاب موجهاً إلى فرد معين

، وذلك لوجود حاجة استدعته لإطلاق خطابته . ومن ذلك أيضاً ما وردَ في

رسالة وجهها إلى سلمان الفارسي يحذره من الدنيا إذ يقول: ﴿ فإنما مثل الدنيا

مثل الحية لين مسها ، قاتلُ سُمها ، فاعرض عما يُعجبك فيها لتلت ما يصحبك منها ﴾

⁽⁵⁾ وهذا النوع من الخطاب كثير الورد في نهج البلاغة .

ب- الخطاب الموجه إلى شخصين : من ذلك ما وردَ في وصية له إلى ابنه

الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) : ﴿ أوصيكما بتقوى الله ، وأن لا

تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تأسفاً على شيءٍ منها زوي عنكما وقولا بالحق

وأعمالاً للأجر ﴾⁽⁶⁾، ومنه قوله أيضاً في رسالة وجهها إلى طلحة والزبير: ﴿

أما بعد فقد علمنما وإن كننما ، أني لم أرِد الناسَ حنى أرادوني ولم ابايعهم

حنى بايعوني ، وأنكما مما أراداني وبايعني ﴾⁽⁷⁾.

(1)- العزلة والمجتمع : نيقولاى برد يائف ، ترجمة : فؤاد كامل ، مراجعة : علي أدهم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط2 ، 1986م : 91 .

(2)- ينظر : م ، ن : 116 .

(3)- ينظر : المقاربة التداولية : 10 .

(4)- نهج البلاغة : 514 .

(5)- م ، ن : 587 .

(6)- نهج البلاغة : 537 - 538 .

(7)- م ، ن : 569 - 570 .

ج- الخطاب الموجه إلى الناس عامة : أغلب ما جاء عليه الخطاب في نهج البلاغة أن الإمام علي (عليه السلام) كان يوجهه إلى الناس عامة ، منه قوله : ﴿ فاقفوا لله ، عباد الله ، وبادروا آجالكم بأعمالكم ، وابناعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم وترحلوا فقد جُدَّ بكم ، واسعدوا للموت فقد أظلم لكم ﴾⁽¹⁾، ومنه أيضاً ما ورد في قوله يعظ فيه بسلوك الطريق الواضح الذي هو طريق الحق ﴿ أنها الناس لا تسنوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهلها فإنّ الناس قد اجتمعوا على مائدة شيعها قصير ، وجوعها طويل . أنها الناس ، إنما يجمع الناس الرضى والسخط ، وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعنهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضى ﴾⁽²⁾.

يتبين لنا مما سبق أن المخاطبين في نهج البلاغة لم يكونوا على مستوى واحد من الفهم والإدراك ، ولم يكونوا على درجة واحدة في اتصالهم بصاحب الخطاب⁽³⁾، وعلى هذا الأساس فلا يُعقل أن يتساوى إدراكهم له ، لهذا لم يأت خطابه واحداً وإنما جاء متنوعاً تبعاً لاختلاف مستوياتهم . وقد أعطى الإمام صورة واضحة للعلاقة مع الآخر التي يمكن وصفها بأنها ((علاقة أفقية تتسم بالانقطاع والتواصل حسب مقتضيات العلاقة وشدة ترابطها))⁽⁴⁾.

وعليه يتولد لنا من ذلك آخر منسجم مع الإمام علي (عليه السلام) وآخر مختلف معه وهذا بطبيعته يعود إلى اختلاف الفكر .

4- خطاب ما لا يعقل :

يُطلق الخطاب في حقيقته لمخاطبة العاقل ليفهم إلا أنه قد تتوجه عملية الخطاب إلى مخاطبة غير العاقل من الجمادات ، وفي خطاب نهج البلاغة حاول الإمام علي (عليه السلام) مخاطبة الجمادات محاولاً استنطاقها وإضفاء صفة الحياة عليها وقد تجلّى لنا ذلك واضحاً في خطاب الثّيا وخطاب المكان .

أ- خطاب الدنيا : يخاطب الإمام الثّيا على الرغم من أنها ليست بمادة ((ملموسة ، إلا إنها تصبح كائناً حياً تتحرك وتسمع وترى ، ويتمنى الإمام أن

(1)- م ، ن : 101 .

(2)- نهج البلاغة : 402 .

(3)- ينظر : دينامية النص – تنظير وانجاز : محمد مفتاح ، الدار البيضاء ، المغرب ، الطبعة الثانية ، 1963م : 204 .

(4)- أطراف النص – دراسات في النقد الإسلامي المعاصر : 33 .

يقيم عليها حدود الله على ما ارتكبت من خطايا وذنوب بحق (البشرية) (1) كما في قوله (عليه السلام) : ((والله لو كنت شخصاً مرئياً ، وقالباً حسياً ، لأقمتُ عليك حدود الله في عباد غرضتهم بالأمان ، وأمر القيتهم في المهاوي ، وملوك أسلمهم إلى التلف ، وأمر ذنوبهم موارد البلاء)) (2).

وقد يتحدث الإمام علي (عليه السلام) إلى الثنيا ويخاطبها كأنها إنسان مائل أمامه نحو قوله : ((يا دنيا يا دنيا إليك عني ، أبي تعرضت ؟ أم إلي تشوقت ؟ لا حان حينك هيهات ! غرني غري ، لا حاجة لي فيك ، قد طلقك ثلاثاً لا رجعة فيها ! فعيشك قصير ، وخطرُك يسير ، وأملكُ حقير)) (3).

ومنه أيضاً ما ورد في قوله (عليه السلام) : ((اعزبي عنّي ! فوالله لا أذل لك فنسندليني ، ولا أسلس لك فنقوديني)) (4).

ب- خطاب المكان : يعد المكان ((المجال الحيوي لحركة ذلك الإنسان وهو الجزء المكمل للحدث الإنساني إذ إن قيمة المكان ليست في ذاته بل قيمته مستمدة من وجود الإنسان فيه)) (5)، فالمكان من المحاور المؤثرة على الإنسان فعلاقته علاقة وثيقة به وعليه فإن إدراكه للمكان ((مباشرٌ وحسي)) (6).

وفي خطاب نهج البلاغة نجد أن الإمام علي (عليه السلام) يتعرض للمكان ويخاطبه من ذلك ما ورد في قوله (عليه السلام) : ((كأنني بك يا كوفة تمدين مدناً الأديم العكاظي ، تُعْكِنُ بالنوازل ، وتُسْكِنُ بالزلازل ، وإني لأعلم أنه ما أراد بك جباراً سوءاً إلا ابتلاه الله بشاغلٍ ، ورماه بقاتلٍ !)) (7) فالإمام في خطابه لمدينة الكوفة ((ينظر بعين الغيب فيحكي ما سيجري على الكوفة بعده وما سيصيبها ويحلّ بأهلها يقول ذلك بحسرة وألم . كأنني أبصرك وأشاهدك ، وأرى رؤية العين حالك وقد حكم فيك

(1)- علوم نهج البلاغة : 376 .

(2)- نهج البلاغة : 534 .

(3)- نهج البلاغة : 612 .

(4)- م ، ن ، 534 .

(5)- الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر : راجي أنور هينا ، دار العلوم ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1426 هـ - 2005 م : 170 .

(6)- غسان كنفاني - جماليات السرد في الخطاب الروائي : صبيحة عودة زعرب ، دار مجدلاوي ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 1426 هـ - 2006 م : 95 .

(7)- نهج البلاغة : 88 .

الجبايرة ومارسوا عليكِ أقسى أنواع الظلم والاضطهاد والقهر ، تصيبك الحوادث المؤلمة والمصائب المرعبة وقد لاقت الكوفة من الأمويين وعملاتهم الشيء الكثير فقد صَدَّوْا جَمَّ غضبهم عليها لكثرة من بها من شيعته ((⁽¹⁾)، فقله (عليه السلام) : ((كَأَنِّي بِكَ يَا كُوفَةُ)) إخبار عما سيقع بها ، وقوله : ((أَنَدِمَا أَرَادَ بِكَ جَبَارٌ سُوءًا إِلَّا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ)) إخبار أيضاً لغرض المدح لهذه المدينة من جهة ، والذم لكل من يتعرض لها من جهة أخرى .
يتبين لنا من ذلك أَنَّ الإمام (عليه السلام) كَانَ يَرْتَبِطُ بِالْكُوفَةِ ارتباطاً قوياً ؛ لأنها كانت عاصمة حكمه ، وكانت تضم بيوتات العرب وأشرفها⁽²⁾ .
وقد خَطَبَ الإمام (عليه السلام) مدينة البصرة في قوله : ((فَوَيْلٌ لَّكَ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذَلِكَ ، مِنْ جَيْشٍ ، مِنْ نَقَمِ اللَّهِ ! لَا مَرْهَجَ لَهُ ، وَلَا حَسَنَ ، وَسَيُنَلِّي أَهْلَكَ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ ، وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ !))⁽³⁾ .

(1) - شرح نهج البلاغة : عباس علي الموسوي ، دار الرسول الأكرم ، دار المحجة البيضاء ، ط 1 ، 1998 م : 1 / 336 .

(2) - ينظر : نهج البلاغة : 1 / 335 .

(3) - م ، ن : 186 .

الفصل الرابع : الأصوات الناطقة في خطاب نهج البلاغة

تنبعث الأصوات الناطقة في الخطاب انبعثاً منسجماً على الرغم من اختلافها ، فالصوت يُعرّف بأنه ((أثرٌ سمعيٌ يصدرُ طواعيةً واختياراً عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزاً أعضاء النطق))⁽¹⁾، إلا أن هذه الأصوات التي يطلقها الإنسان العادي ليس لها أي معنى إلا إذا حُدِّدَ هدفُها ، فليس كلُّ صوتٍ يطلقه الإنسان له أهمية ، فالصوت المنبعث يجب أن يكون معبراً عن الغرض المقصود ممثلاً عن نفسية صاحبه .

إذن فالصوت الموجه إلى مخاطب معين أو مجموعة مخاطبين يكون له معنى هو المقصود سواء أكان هذا الصوت نداءً أي إطلاق الصوت عالياً أم مناجاةً بإطلاقه خفياً تكون في طبيعة الحال قوى محرّكة للخطاب ؛ لأن لكلِّ صوتٍ من هذه الأصوات أثره وفاعليته .

وفي خطاب نهج البلاغة نلاحظ أصواتاً مختلفة منبعثة عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) تعبر عن الشخصية التي اجتمعت فيها كلُّ هذه الأصوات المتنوعة ، وعلى الرغم من تعددها إلا أنها يمكن ربطها برباطٍ خفي ، إذ لم ينطق الإمام علي (عليه السلام) بصوت واحد كأن يكون الصوت الواعظ أو الحكيم أو الفيلسوف أو الحاكم أو القائد وإنما اجتمعت جميع هذه الأصوات في خطاب نهج البلاغة فخرجت بصوتٍ واحد ، معبرة عن الغاية الأسمى وهي إصلاح الإنسان والدعوة إلى خلاصه عن كلِّ ما يُقلِّك من شأنه .

1- صوت الحكيم

يشغل صوت الحكيم في خطاب نهج البلاغة حيزاً كبيراً ؛ وذلك بسبب ما لحكم الإمام علي (عليه السلام) من أهمية لأن الحكمة لونٌ من ألوان الصياغة الأدبية المعروفة إذ هي ((عبرةٌ مستخرجة من جملة من الواقع ذات النتائج المتشابهة تغدو مقدماتها ذات دلالة على عواقبها))⁽²⁾، فهي خلاصة نظرية في الأدب تقوم أساساً على التبصر بشؤون الحياة وصياغتها بشكل أدبي يمزج بين حقيقته مع واقعته⁽³⁾.

(1)- علم الأصوات : كمال بشير ، دار غريب ، القاهرة ، 2000م : 119 .
(2)- الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم من عصر علي بن أبي طالب إلى عصر ابن خلدون : كمال اليازجي ، دار الجيل ، بيروت ، 1986م :
(3)- ينظر : الفن والأدب بحث جمالي في الأنواع والمدارس الأدبية والفنية : ميشال عاصي ، المكتب التجاري ، بيروت ، 1970م : 112 - 113 .

إذ تعد الحكمة أكثر الأنواع الأدبية المستوعبة للفنية الجمالية على الرغم من أنها مزيج من الفكر والعاطفة من ((موضوعية وذاتية ؛ موضوعية في أساس الفكرة ومنطلقها من الوجود الواقعي المحسوس ، وذاتية في إخراجها وتلوينها بألوان الخيال))⁽¹⁾.

إذن لم تصدر الحكمة عن جميع الناس بمعنى لا يتيسر لأي إنسان أن يكون حكيماً ؛ وإنما تصدر عن أناس لهم خبرة في الحياة والتبصر في شؤونها يقومون باختيار معناها من الواقع ، ثم صياغتها بأسلوب فني يضمن لهم الاستمرارية والبقاء .

وبالنسبة لشكل الحكمة فقد يأتي شعراً أو نثراً ، فيأتي عبارة عن بيت أو مجموعة من الأبيات أو يأتي ضمن الفقرة النثرية ، فهي في أساسها ((نظرة وخبرة ، فقد حتم عليها كونها كذلك ، أن يلج جميع الأشكال الأدبية الأخرى بلا استثناء ، فقرة أو فقرات بيتاً أو أبياتاً))⁽²⁾.

أما الغرض من الحكمة هو التعليم والإرشاد والنصيحة فهي تعمل على مكافحة الجهل⁽³⁾، ففيها ((حياة القلب))⁽⁴⁾، وقد عُبِّرَ عنها بأنها ((لا تشيخ والمعرفة لا تهدم ولا تموت طالما تحتوي عناصر البقاء الدائم والحياة الحقة))⁽⁵⁾، لهذا تمثل أقوال الحكماء الذين خبروا الحياة واستخلصوا العبرة منها ((ينبوع لا ينضب عطاؤه عندها يسند المرء ليستريح))⁽⁶⁾، فالحكمة سراج يضيء للإنسان طريقه كلما استبد به ألم الحياة ، وعليه فإن حكم الإمام علي (عليه السلام) شاملة لكل معاني الحياة ، لا تغفل عن أية قيمة من قيمها ؛ لا سيما أن الإمام علياً (عليه السلام) قد تَمَرَّسَ بالآفات وعاش معها واقعاً فكان خبيراً بأحداث زمانه لهذا جاءت حكمه متنوعة المضامين تتناول مختلف مواضيع الحياة العامة .

وفي هذا ((ذكروا أن ضرار بن ضمرة الضبابي⁽⁷⁾ دخل على معاوية بن أبي سفيان وهو بالموسم فقال له : صِفْ عَلِيّاً قال : أو تعفني ؟ قال : لا بد أن تصفه لي ، قال : كأن والله أمير المؤمنين عليه السلام طويل المدى ، شديد القوى ، كثير الفكرة ، غزير العبرة ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه ، وتتطلق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الثُّبَا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وكان فينا

(1)- م ، ن : 112 .

(2)- م ، ن : 118 .

(3)- ينظر : في رحاب نهج البلاغة : 131 .

(4)- الحكمة عند الإمام علي في نهجه : جواد آمل ، دار الهادي ، بيروت ، 1992م : 84 .

(5)- أدب الحكمة في وادي الرافدين : صلاح سلمان الجبوري ، مراجعة : فاضل عبد الواحد علي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، 2000م : 273 .

(6)- م ، ن : 273 .

(7)- ضرار بن ضمرة الضبابي : أحد أصحاب الإمام علي (عليه السلام) كان فصيح المقال ويمتاز بطلاقة اللسان : ينظر : خصائص الأئمة : الشريف الرضي (ت 406هـ) ، تحقيق : محمد هادي الأميني ، منشورات مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد ، إيران ، 1406هـ : هامش .

كأحدنا يجيبنا إذا دعوناه ويعطينا إذا سألناه ، ونحن والله لا نكلمه لهيبته ، ولا ندنو منه تعظيماً له ، فان تبسم فعن غير أشر ولا اختيال ، وإن نطق فعن الحكمة وفصل الخطاب ((⁽¹⁾).

فشكل صوت الحكيم أحد الأصوات المعبرة والهادفة في خطاب نهج البلاغة ، إذ ينبعث ممثلاً الجانب الإنساني بكل معانيه حتى عُلِّتْ حِكْمُهُمَنْ ((جوامع الكلم ، وهي تختص بميزات أظهرها أنها تخفُّ بالحياة وتنعم بدفع التجربة ، فهي لم تنقطع يوماً عن شخصية صاحبها ، تمثل تجربة وقَعَتْ له ، أو حادثة اتصلت به))⁽²⁾.

فجاء صوت الحكيم للإمام علي (عليه السلام) رافضاً لكل مبادئ الجاهلية المرتكزة أساساً على المبالغة وطلب الثأر والظلم والعدوان ، وداعياً إلى الأخلاق التي يريدها الإسلام التي تقوم على العفو والعدل والمحبة ورعاية الحقوق ومحاولة غرسها في نفوس الناس ، لذلك كان صوته ((معالجة جذرية للأمور مبنية على نظر فلسفي عميق وعلى نفاذ إلى كنه الحياة الاجتماعية وفهم لحقيقتها وتطوراتها))⁽³⁾.

ففي قوله (عليه السلام) : ((أغض على القذى واللمترض أبداً))⁽⁴⁾ هي دعوة صريحة لأن يعيش الإنسان الحياة الطبيعية مخاطباً الفرد والمراد به الجماعة دلالة على أن الرضا ينبع من داخل الإنسان فمن اقتنع بما قَسَمَ الله له فسيطمئن قلبه .

وفي قوله (عليه السلام) : ((قيمة كل امرئ ما يحسنه))⁽⁵⁾ فنجده يخاطب

الإنسان بصورة غير مباشرة إلى أن قيمة الإنسان بإنسانيته ، قيمته بنفسه ، وقدره فيما يقدر عليه ؛ إذ إن قيمة الإنسان تتجلى بأعماله وتواضعه ، وليس بقيمة المال والجاه والسلطة لهذا جاء صوته ليسقط جميع القيم المزيفة محاولاً تعرية الإنسان منها ، مضيفاً إليه قيمة من ذاته لذاته وليست مستمدة من الخارج .

يتجلى لنا في صوته هذا ثنائية (اللبس والتعري) ، مظهراً الجانب الإنساني عند الإمام علي (عليه السلام) بكل معانيه ؛ لأنه أحسن أن هناك فروقاً اجتماعية⁽⁶⁾ تنهض على أسس ليست صحيحة ، هذه الحكمة التي عَوَّ عنها الجاحظ بقوله : ((فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية ومجزئة مغنية ؛ بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية وغير مقصورة عن الغاية))⁽⁷⁾، وعبر عنها ابن سنان بقوله ((إن هذه الألفاظ على غاية الإيجاز وإيضاح المعنى ، وظهور حسناتها يغني عن وصفه))⁽⁸⁾ ولأن الإمام علياً (عليه السلام) سيد البلغاء والمتكلمين لا يقول للإنسان ناصحاً بتعبير مباشر تجنب الشر وابتعد عنه بل ((يلوذ دائماً بظلال

(1)- خصائص الأئمة : 70 - 71 .

(2)- شرح نهج البلاغة : محمد عبده : 13 .

(3)- م ، ن : 13 .

(4)- نهج البلاغة : 642 .

(5)- م ، ن : 613 .

(6)- ينظر : في النقد والأدب مقدمات جمالية : 118 .

(7)- البيان والتبيين : 1 / 83 .

(8)- سر الفصاحة : 403 .

البلاغة مصوراً متأنقاً يعنيه ما يعنيه من خلود ((ام اللغات)) ولسان أهل الجنة))⁽¹⁾ فنجده يقول ناصحاً ومنبهاً للإنسان في زمن الفتنة بقوله: «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابِنَ اللَّبُونِ لَا ظَهْرَ فِرْكَبٍ وَلَا ضِرْعَ فَيَحْلِبُ»⁽²⁾، والمراد بان اللبون ولد الناقة الذي استكمل السنة الثانية فلم يكن ظهره قوياً ليركب ولا بأنثى حتى يكون ذا ضرع فيحلب⁽³⁾، فالمراد من الإنسان في هذا الخطاب الموجه له في حالة الفتنة أن يكون كابن اللبون من حيث الضعف والخمول ، يجعل نفسه بعيداً عن الشر .

إذن تردد صوت الحكيم في خطاب نهج البلاغة كثيراً فكان مطابقاً لشخصيته، تلك الشخصية التي تدعو لأن يكون الإنسان إنساناً بأخلاقه ، لا بقيم مزيفة ، والتي لم تقتصر على جانب معين من جوانب الحياة وإنما شملتها جميعاً فإذا كانت الحكمة المصاغة شعراً أوسع انتشاراً بين الناس كما وجدناها لدى المتنبي وغيره فإن ((ومضات الإمام علي (عليه السلام) أكثر عمقاً وبلاغه مما نجده لدى الشعراء العرب))⁽⁴⁾.

صوت الفيلسوف :

لقد شكل صوت الفيلسوف في خطاب نهج البلاغة حضوراً كبيراً ؛ إذ إن الإمام علياً (عليه السلام) كثيراً ما كان يتناول مسائل فلسفية تتعلق بفكرة توحيد الله خالق الوجود ومسائل الطبيعة وغيرها .

فالإمام علي في خطاب نهج البلاغة فيلسوف يحمل نظرة كونية تمتاز بالسعة والشمول فضلاً عن امتلاكه نظرة عقلية واستدلالية منطقياً⁽⁵⁾؛ لأنه كان محيطاً بكل شؤون الوجود من أمور اجتماعية وعلمية وطبيعية وصولاً إلى أسمى قضية ألا وهي ((قضية الألوهية والتوحيد))⁽⁶⁾.

إلا أن فلسفة الإمام علي (عليه السلام) لم تأت بلُسلوب جاف وإنما صاغها الإمام بلغة أدبية رائعة وأسلوب راق ينبئ عن قدرة عالية في الأداء كقوله عليه السلام: «(أنشأ الخلق إنشاءً وابتدأه ابتداءً بلا مروية أجالها ، ولا تجربة استفادها ، ولا حركة أحدثها ، ولا همامة نفس اضطرب فيها ، أحال الأشياء لاوقاتها ولمأربين مختلفاتها وغرغرائها ، والزما اشباحها عالمها قبل ابتدائها ، محيطاً بحدودها وانتهائها عارفاً

(1)- الصورة الفنية في كلام الإمام علي : 163 .

(2)- نهج البلاغة : 599 .

(3)- ينظر : روائع البيان في خطاب الإمام : 146 .

(4)- الإمام علي بن أبي طالب إنسان المستقبل : 132 .

(5)- ينظر : الإمام علي (ع) : 141 .

(6)- الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر : 499 .

بقرائنها واحنائها))⁽¹⁾، فالملاحظ على هذا المقطع من الخطبة أنه جاء باحثاً عن حقائق الأشياء وأسباب حدوثها مشكلاً هذا عند المخاطب ((إحساساً بالجمال وشعوراً بالجلال))⁽²⁾ بأسلوب لم يشعر معه المخاطب أو القارئ بالملل ، بسبب ما توافر فيها من عناصر جمالية تجذب المتأمل .

يقول الإمام عليّ (عليه السلام) في خطابه : ((سلوني قبل أن تفقدوني))⁽³⁾، طالباً من الناس سؤاله أي سؤال هو دليل على أنه خطاب عام غير محدد لنوع المسؤول عنه فهو بلا شك سداً للفلاسفة وإمام الحكماء ، لأنه كان محيطاً بجميع العلوم ، فإذا كان ((الفيلسوف هو الذي يعرف العالم ويعرفه للعالم فلسنا نعرف أحداً أغزر علماً وأعمق غوراً وأصوب رأياً وأبعد حسناً))⁽⁴⁾ من الإمام علي (عليه السلام) موضحاً الحقائق للناس مراعيّاً فيه مستويات عقولهم ، فجاء صوته الفلسفي مُفصلاً لكل شيء حتى لا يُعجز عن فهمه ، مُقدماً بأسلوب علمي أدبي لكي يكون خطابه مقنعاً ومؤثراً في الوقت نفسه .

صوت النبوة :

الذي يتصفّح خطاب نهج البلاغة سيلحظ أنه ينبئ عن خطاب للمستقبل متمثلاً في صوت النبوة الذي يقوم الإمام علي (عليه السلام) من خلاله بإطلاق خطابه مخبراً فيه عن إحداث ووقائع ستحدث في الزمن الاستشرافي .

ففي قوله (عليه السلام) : ((كأنني بك يا كوفة تمدين مدناً أديم العكاظي ، تعنّكين بالنوازل وتعنّكين بالزلازل وإني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوءاً إلا ابتلاه الله

(1) - نهج البلاغة : 18 .

(2) - الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر : 536 .

(3) - نهج البلاغة :

(4) - م ، ن : 657 .

بشاغلٍ ورماءٍ بقاتل !))⁽¹⁾. فمن خلال خطابه هذا يتبين لنا أنه يخبر عن أمور ستقع في زمن المستقبل وما سيجري على مدينة الكوفة وما سيحل بها من أنواع البلاء نتيجة لحكامها ، وفي خطاب آخر ألقاه في المدينة يُخبر الناس عما سيؤول إليه حالهم ((ذمّني بما أقول رهينةً وأنا به زعيم إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثالات ، حزنته الثوى عن تقعر الشبهات . إنا وإن بليكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي بعثه بالحق لنبلبن ببلته ولنغرلن غرلته ، ولنساطن سوط القدر حتى يعود اسفلكم أعلاكم وأعلاكم اسفلكم))⁽²⁾.

وقد وجّه الإمام علي (عليه السلام) خطاباً لأهل البصرة يخبرهم بما سيحل لهذه المدينة بقوله: ((كأني أنظر إلى قريبتكم هذه قد طبقتها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جوجو طير في لجة بحر !))⁽³⁾ فكان صوت الإمام الصوت المتنبئ عن كلّ ما سيحدث فكان صوتاً مُعبِراً يمثّل الامتداد الطبيعي للصوت القرآني الذي مثلته شخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(1) - نهج البلاغة : 88 .

(2) - م ، ن : 43 - 44 .

(3) - م ، ن : 42 .

الفصل الثالث : موضوعات الخطاب في نهج البلاغة

لا نغالي إذا قلنا بأن نهج البلاغة معين لا ينضب ، ولا يمكن سبر أغواره والإحاطة بما يحويه من قناديل مفعمة بدلالات متنوعة؛ لأنفتاح عبقرية فذة بمرجعيات شمولية أنتجت أسمى فنون القول ممثلة بقرآن مجيد ومأثور نبوي سام . إذن تتنوع موضوعات الخطاب في نهج البلاغة تنوعاً كبيراً ، ويزخر هذا السفر الخالد بمظاهر لا تخفى من الجوانب العلمية والتربوية والأدبية مما يجعله ميداناً لكل الدارسين على مختلف تخصصاتهم ، إذ سيجد كل ضالته... ولعل ما يهمنا هنا هو البحث في الجوانب الأدبية ؛ إذ مما لا شك فيه أن الباحث الأدبي سيجد مجالاً رحباً للأدب السامي المعبر – بصرف النظر عن رأي منشئه ومراميه – بلغة أدبية سمتها الطبع والابتعاد عن التكلف والغموض مما ضمن لها الديمومة والخلود . وسنحاول في هذا المبحث أن نتعرض لهذه الموضوعات من جهة التخالف والتآلف وهي سمة ظاهرة في لغة نهج البلاغة مما يجعل دراستها مفتاحاً لفهم البنى التي ارتكز عليها المضمون الفكري الذي سيق نهج البلاغة لإيصاله سواء أكان على مستوى الخطبة أم الرسالة .

ولأجل هذا فإننا سوف ننظر إليها من جهتين هما : المخالفة التي ستقودنا إلى تفحص الموضوعات المتخالفة ودراستها في صورة ثنائيات متضادة ، والموافقة والمشابهة التي سنسعى إلى دراسة الأفكار في إطار صورة موضوعية متمتامة . ونحن إذ نسعى إلى دراستها على هذا الشكل إنما نؤمن بأهمية ذلك على مستوى النص ، ومن ثم كان من الضروري تفحصها وبيان أثرها وفعاليتها في بناء النص .

1- الثنائيات المتضادة

يكشف الأداء التركيبي للخطاب في نهج البلاغة بوضوح حضوراً بارزاً لهذه الثنائيات المتقابلة بالتضاد بمعنى إنَّ كلَّ واحدٍ منها يمثل ضداً للآخر ، فالتوحيد مثلاً ضده الشرك والحق ضده الباطل والإيمان ضده الكفر⁽¹⁾. إذن الدراسة التي تعمل على كشف ((التركيب الضدي للعام والجدلية التي تتخلله ، تصبح منطلقاً لوعي نقدي أعمق لا يكتفي بمحاولة فهم الظواهر الفنية من حيث هي الحركة على سطح أفقي ، بل يغوص على بنيتها الضدية ليجلو طبيعة الفاعلية التي تتراسق فيها))⁽²⁾، فالتحليل لهذه الثنائيات لا يكتفي بمجرد فهمها ، بل يتعدى ذلك إلى إبراز شبكة العلاقات بينها⁽³⁾، فقد تكون هذه العلاقات علاقات نفي وتناقض أو تناغم وتتام⁽⁴⁾.

(1)- ينظر : المنطق : 48 .

(2)- جدلية الخفاء والتجلي – دراسات بنيوية في الشعر : كمال أبو ديب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1979م : 10 .

(3)- دينامية النص – تنظير وانجاز : 183 .

(4)- ينظر : جدلية الخفاء والتجلي – دراسات بنيوية في الشعر : 10 .

وينتظم نهج البلاغة الكثير من الثنائيات المتضادة منها والمتناغمة إلا أن إمعان النظر يرينا أن التقابل بين المتضادات يتجلى لنا في ثلاثة مقابلات هي :

أ- التوحيد والشرك .

ب- الإيمان والكفر .

ت- الحق والباطل .

في حين يتجلى التقابل غير الضدي أو ما يمكن أن يسمى التقابل بين المتناغمات في مظهر واحد أساسي يتمثل في التقابل بين :

أ- الدنيا والآخرة

ولا يفوتني التنويه إلى أن ثمة ثنائيات متضادة وغير متضادة كانت موجودة في خطاب نهج البلاغة ، إلا أننا لم نولها الأهمية والإمكانية إدراجها تحت الثنائيات المذكورة .

أ - التوحيد والشرك :

يعرف التوحيد بأنه ((العلم الذي يبحث فيه عن الله تعالى))⁽¹⁾، إذ يعبر عن إقرار وحدانية الله تعالى⁽²⁾ بمعنى إثبات صانع واحد لهذا العالم⁽³⁾.

وتبعاً لذلك يكون هناك نقيض للتوحيد ؛ ألا وهو الشرك الذي يعرف بأنه : نفي الوجدانية عن الله والقول بتعدد الآلهة ، فالإقرار بوجدانية الله ونفي الشرك عنه هي من أهم المسائل العقائدية التي تصوّتُ التعاليم السماوية على الإطلاق إذ يُعد ((أساساً لسائر التعاليم والمعارف الإلهية التي جاء بها أنبياء الله ورسله))⁽⁴⁾. إذ قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي ﴾⁽⁵⁾، فشعار الأنبياء جميعاً بدءاً من نبي الله آدم (عليه السلام) إلى خاتم الأنبياء محمد ((صلى الله عليه وآله وسلم)) في جميع المواقف قولهم (لا اله إلا الله ولا نعبد إلا إياه) .

إذ كان من الطبيعي إن الله لم يرسل الرسل عبثاً وإنما لا بُدَّ له من غاية تتمثل في إقرار عقيدة التوحيد التي تتلخص في أن لا يشرك العبد مع الله إلهاً آخر مؤدياً ذلك خوض الأنبياء صراعاً مع أقوامهم من أجل هذه العقيدة .

إذ ((تكتسب جدلية المعقول واللامعقول في الخطاب القرآني صورة صراع بين التوحيد والشرك))⁽⁶⁾؛ وذلك الشرك ينطوي في ذاته على تناقض لقوله تعالى ﴿ لَوْ كُنْ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾⁽⁷⁾.

(1)- التوحيد : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت 381هـ) ، تحقيق : هاشم الطهراني ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة ، الطبعة الثامنة ، 1423هـ : 20 .

(2)- ينظر : التوحيد : مرتضى مطهري ، ترجمة : إبراهيم الخرجي ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1998م : 13 .

(3)- ينظر : روح الإيمان في نفس الإنسان : محمد الأمين : 23 .

(4)- التوحيد والشرك في القرآن الكريم : جعفر السبحاني ، دار الولاء ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1425هـ - 2004م : 5 .

(5)- الأنبياء / 25 .

(6)- تكوين العقل العربي : 136 .

(7) الأنبياء / 22

إذ إن القول بتعدد الآلهة يؤدي إلى إخلال النظام الكوني وهذا لا يقبله العقل ، فنتبعاً لذلك يكون التوحيد هو المعقول ، والشرك هو اللامعقول ، وبذلك يكون هدف الأنبياء جميعاً هو إقرار المعقول على اللامعقول أي ((نشر خطاب العقل وترجيحه ، بل وتسويده على خطاب اللاعقل الخطاب المكرس للشرك))⁽¹⁾.

وفي خطاب نهج البلاغة نجد حضوراً بارزاً لهذه العقيدة أي عقيدة التوحيد بوصفها الأصل الأول من أصول الدين الإسلامي ، ففي خطابه التوحيدي يُثبت أن كل ما في الوجود يدل دلالة قاطعة على وحدانية الله فر ((المرء الذي يطلق العنان لعقله من أجل التفكير والتأمل في الموجودات بدءاً من الذرة وانتهاءً بالمجرة ، سيصل إلى أن العقل السليم سيرفض من تلقاء ذاته أن يكون هذا الكون قد وُجدَ بطريق الصدفة ، أو أنه بعيد عن إدارة إله خالق عالم حكيم))⁽²⁾، وهذا ما نلمسه واضحاً بقوله (عليه السلام) : ((لو ضربت في مذاهب فكري لبلغ غاياتي ، ما دللك

الدلالة إلا على أن فاطر النملة هو فاطر النخلة ، لدقيق تفصيل كل شيء ، وغامض اختلاف

كل حي ، وما الجليل واللطيف والجميل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلا سواء))⁽³⁾

فالملاحظ على هذا المقطع من خطاب الإمام علي (عليه السلام) أنه يؤكد على ضرورة إعمال العقل دليلاً على مدى عظمة الله وقدرته . يقول الإمام علي (عليه السلام) في خطبته التوحيدية : ((الحمد لله الذي لم تسبق له حالٌ حالاً ، فيكون أولاً

قبل أن يكون آخراً ، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً . كل مسمى بالوحدة غير

قليل وكل عزيز غير ذليل ، وكل قوي غير ضعيف ، وكل مالك غير مملوك ، وكل عالم

غير منعلم ، وكل قادر غير بقدر ، وبعجز وكل سمع غير يصير عن لطيف الأصوات ويصنعه

كبيرها ، ويذهب عنه ما بعد منها ، وكل بصير غير يعى عن خفي الألوان ولطيف

الأجسام ، وكل ظاهري غير باطن وكل باطني غير ظاهري))⁽⁴⁾.

فالتأمل لهذه الخطة يجديها ((أموراً ما كانت تنهياً لرجل يعيش في محيط مثل محيطه وزمانه ، لولا فطرة صافية خصه الله بها ، فجاء بأراء وفلسفات هي خلاصة تأمل عميق في الذات الإلهية))⁽⁵⁾، فالسمة الغالبة في خطاب الإمام علي

(1)- تكوين العقل العربي : 136 .

(2)- الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر : راجي أنور هيفا ، دار العلوم - لبنان ، الطبعة الأولى ، 1426 هـ - 2005 م : 397 .

(3)- نهج البلاغة : 340 .

(4)- نهج البلاغة : 102 - 103 .

(5)- ينظر : الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر : 398 - 399 .

(عليه السلام) هي ضرورة التأكيد على وحدانية الله والاعتقاد بها أولاً بعدها يحصل الاطمئنان لهم ثم يستقر في قلوبهم : ((فطر الخلائق بتدريته ، ونشأ الرياح برحمته وودد بالصخور ميدان⁽¹⁾)) ، فهذه العلوم الإلهية المنطوية على عقيدة التوحيد هي ((التعاليم القادرة على إقناع العقل البشري وإرضاء حاجاته الفكرية وإشباع فطرته الإنسانية لأن هذه التعاليم والحقائق التوحيدية التي يريد الإمام أن يُربي الناس عليها إنما هي انعكاس صادق وأمين لتعاليم القرآن الكريم))⁽²⁾.

فتناول الإمام علي (عليه السلام) هذه الأمور الدينية العقائدية في خطابه للفت أنظار المخاطبين إلى التأمل في العالم والنظام الذي خلق الله تعالى به الكون كله لأن الإسلام أصلاً يُبنى على دعامة التوحيد ((التوحيد المطلق المجرد الشامل الذي لا يشوبه شك من قريب أو بعيد هو قاعدة التصور التي جاء بها الإسلام وظل يرسخها في الضمير الإنساني ويتتبع هواجسه حول هذه الحقيقة حتى يجعلها متينة يقينية راسخة لا يتطرق إليها الشك في أية صورة من الصور))⁽³⁾.

فتناثرت التوحيد والشرك تقوم على علاقة النفي والتناقض ، فلم يكتف الإمام علي (عليه السلام) في خطابه على الطلب بأن يكون الإنسان مُوحداً ، بل يجب أن يكون مؤمناً بكل أمر صادر من السماء إليه .

إذن تتجلى حقيقة الصراع بين التوحيد والشرك في صورة صراع بين المعقول واللامعقول ، صراع بين الصلاح والفساد ، صراع بين النفع واللايفع ، صراع بين الخير والشر .

ب- الإيمان والكفر :

الإيمان هو التصديق والاعتراف - ظاهراً وباطناً - بالتسليم لله سبحانه وتعالى ، وضد الكفر الذي هو نكران الاعتراف بالتسليم بالله سبحانه وتعالى .

فبين الإيمان والإسلام علاقة عموم وخصوص ، فالإيمان جوهره ولبه فمنذ أن وجد الإنسان كان الإيمان ، والكفر ضده ، فتبعاً لذلك يبقى الصراع دائماً وأبداً بينهما وذلك لأن ((الله تعالى لم يُرد أن يجبر الإنسان على الإيمان بل أعطاه قوة الاختيار))⁽⁴⁾ ، يكفي ذلك أن هناك سورة من سور القرآن مسماة بأسم (المؤمنين) وأخرى بأسم (الكافرون) .

فالإنسان بعدما أوضح الله له جميع السبل ، فأما أن يكون مؤمناً أو كافراً فإذا آمن حظي بجزاء أهل الإيمان ، وإذا كفر عُذّب أهل الكفر وجوزي بجزائهم⁽⁵⁾ .

(1)- نهج البلاغة : 18 .

(2)- الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر : 413 .

(3)- الخطاب القرآني للأنبياء والرسول (دراسة فنية) : 33 .

(4)- علم اللغة التوحيدي بين النظرية والتطبيق : محمد علي الحسيني ، مؤسسة التوحيد ، إيران ، الطبعة الأولى ، 1417 هـ - 1997 م : 220 .

(5)- ينظر : م ، ن : 221 .

فتبعاً لذلك يؤدي الإيمان إلى الاطمئنان والصلاح بينما يؤدي الكفر إلى الضيق والبؤس والفساد .

وقد جاء القرآن الكريم مصرّحاً بوجود علاقة بين الإيمان بالله تعالى والاطمئنان فالإنسان المؤمن يحصل له اطمئنان في قلبه يقول تعالى ﴿أَلَا بِإِنَّ اللَّهَ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (1) فإذا علمت إن الذكر نتيجة للإيمان ومظهر من مظاهره عرفت العلاقة بينهما .

وفي خطاب نهج البلاغة نلمس بوضوح وجود ثنائية الإيمان والكفر بوصفها امتداداً طبيعياً لثنائية التوحيد والشرك بوصفهما يقومان على التخالف فضلاً عن قوامات أخرى يعتمد عليها كل منهما .

الإمام علي (عليه السلام) يوضح في خطاب نهج البلاغة الإيمان ونقيضه

الكفر ، وقد سُئِلَ عن معنى الإيمان فقال : ((الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان

وعمل بالأركان)) (2) . فلم يقتصر الإيمان على المعرفة القلبية وإنما فسره بأنه يجب

على الإنسان أن يقرّ بلسانه حتى يوافق الظاهر الباطن أي اللسان والقلب معا ، وبذلك يكون إيمانه صحيحاً إذا تطابق قوله وعمله .

وقد حلل الإيمان بقوله (عليه السلام) : ((الإيمان على أربع دعائم : على الصبر

، واليقين والعَدْل ، والجهاد)) (3) محاولاً (عليه السلام) أن يُوصِلَ حقيقة الإيمان

إلى النفس بقوله : ((إن الإيمان يبدو لمُظَنَّةٍ في القلب كلما ازداد الإيمان ازدادت اللُمُظَنَّةُ

)) (4) .

إذن فالإيمان معرفةٌ أولاً وهو يُلْئ على حركية إيجابية يجتلبُ الخير من الخارج بعد خلو الداخل منه ثم هو استقرار وطمأنينة لهذا الشيء المجتلب حتى إذا استقرت الشخصية خُوجَتْ إلى خارج حدودها لتظهر ذلك في مظهر من مظاهر ذلك الاستقرار ممثلاً بإيقاع ذلك على الغير ليكون عملاً .

وعندما قام الإمام بتحليل الإيمان في مقابل هذا حلل الكفر بقوله (عليه السلام

): ((الكُفْرُ على أربع دعائم : على التّعقُّ والشّانِع والزّينع والشّقاق)) (5) .

وقد قدم الإمام وصفاً رائعاً للإيمان بقوله : ((سيل أبلج المنهاج ، أنور السراج

فالإيمان يُسندل على الصالحات وبالصالحات يُسندل على الإيمان وبالإيمان يعمس العلم

(1)- الرعد / 28 .

(2)- نهج البلاغة : 643 .

(3) م ، ن : 603 .

(4)- م ، ن : 652 .

(5)- نهج البلاغة : 605 .

وبالعلم برب الموت، وبالموت تغمر الدنيا ، وبالدنيا تحترق الآخر⁽¹⁾ فالعلاقة بين الإيمان والصالحات هي علاقة دَوْر إذ يُستدل بأحدهما على الآخر ، فالإيمان أساس للأعمال الصالحة ، وللقِيم المُثلى التي دعا الله تعالى إليها ، خلافاً لـ (اللاقيم) التي أرادها أهل الكفر أن تسود فتؤدي بالإنسان إلى التهلكة .

فالإيمان طريق واضح من تبعه فهو على جادة الصواب ، ومن تخلف عنه فقد هلك ، نلاحظ في هذه الثنائية وحدة الحركة وتطابقها مع الثنائية الأولى (التوحيد والشرك) التي مثلت لدى الإمام (عليه السلام) معرفة بالله ثم إقرار بوحديته ثم إظهار ذلك في عمل يحصر فيه العبد صلته وتوكله واعتقاده بالله تبارك وتعالى .

ثم هما بعد ذلك يستندان على أعمال العقل لأن التوحيد مدخل لطيف والإيمان ومضة ، فغرض الإمام علي (عليه السلام) من تناول ثنائية الإيمان والكفر في خطابه بمنزلة الدعوة الصريحة لأن يضع الإنسان على معرفة تامة بالإيمان وما يترتب عليه والكفر وما يحمله من عواقب ، لذلك يبقى الإيمان مناقضاً للكفر محاولاً السيادة عليه ومحاربتة . إذ إن الإنسان المؤمن يعمل بكل ما يرضي الله تبارك وتعالى ، والابتعاد عما يسخطه .

لهذا دعا الإمام علي (عليه السلام) الإنسان الرجوع إلى الإيمان والاحتكام إليه ؛ لأن الإيمان هو ((العقد بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح فلا يكون المؤمن مؤمناً حتى يستكمل فعل كل واجب ويتجنب كل قبيح))⁽²⁾.

ج- الحق والباطل :

يعرف الحق بأنه ((عبارة عن الواقعيات))⁽³⁾. وينقسم على قسمين : الحق التكويني والمراد به واقعيات عالم الوجود ، والحق التشريعي والمراد به القوانين الإلهية التي شرعت من أجل الفرد والجماعة في ضوء المصالح والكفاءات الذاتية والاكتمالية⁽⁴⁾.

ونقيض الحق الباطل الذي ((يتمثل بالخيال والسراب الذي لا واقع له ولا وجود سوى في عالم التصور والوهم))⁽⁵⁾ ، فالباطل يتجسد بالعرقلة لجميع القوانين المنصوص عليها إلهياً محاولاً التمرد عليها .

إذن فالمقابلة بين الحق والباطل هي ((مقابلة بين ضدين لا واسطة بينهما : هما الحق / حقاً والباطل / باطلاً))⁽⁶⁾ أي أن لا وجود لطريق وسط بينهما .

(1)-م، ن: 273 - 274 .

(2)- شرح نهج البلاغة ك 9 / 201 .

(3)- نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة : ناصر مكارم الشيرازي ، الطبعة الثانية ، 1426 هـ : 2 / 126 .

(4)- ينظر : م ، ن : 2 / 126 .

(5)- م ، ن : 2 / 126 .

(6)- المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي : محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1999م : 70 .

وقد بنى القرآن الكريم الهدف من إرسال الرسل هو إقامة الحق وإفهار الباطل ، لأن على أساسها يقوم العدل مصرحاً بذلك الباري عز وجل بقوله ﴿ يَا لَوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَادْهَمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ (1).

تتجلى ثنائية الحق والباطل في خطاب نهج البلاغة في صورة صراع دائم بين الحق والباطل ، فالعلاقة بينهما قائمة على النفي والتناقض ، لأن الحق هو الواقع والآخر أي الباطل هو السراب الذي يحسبه الظمان ماءً ، مصوراً القرآن الكريم هذا الصراع ونتائج بقوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ (2) فالحق هو الثابت والباقي دائماً وأبداً ، وأما الباطل فهو الزائل الذي لا بقاء له أو إن فترة بقاءه مدة محدودة .

ومن هنا فقد اكتسبت الذات الإلهية التي تعد أعظم من كل واقع أول اسم وهو الحق ، والإنسان كلما اقترب من الله فهو على الحق وكلما ابتعد عنه فهو على الباطل (3) إذ كثيراً ما تعرض الإمام لهذه الثنائية ملاحظاً إن الناس قد أخذت تبتعد عن طريق الحق وتروج الباطل خدمة لمصالحها لذلك يخاطب الناس (عليه السلام) في عدم التسرع ورمي الناس باطلاً ﴿ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِقَةً دِينٍ وَسَدَاداً طَرِيقٍ فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ . أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّمْيَ ، وَتُخْطِئُ السُّهُامُ ، وَيَحْبُكُ الْكَلَامُ ، وَبَاطِلُ ذَلِكَ يَوْمٌ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ شَهِيدٌ . أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعٍ ﴾ (4) . وقد سئل الإمام عن معنى قوله هذا فقال: ﴿ الباطل أن تـ قول سمعتُ ، والحق أن تقول رأيتُ ﴾ (5) ، فهذا يدل دلالة واضحة على ان ما تسمعه يحتاج إلى

الدليل والشاهد ، أما ما تراه فلا يحتاج إلى أي شاهد أو دليل لأنه هو الدليل عينه . فدعوة الإمام علي (عليه السلام) صريحة إلى تثبيت أسس الحق وهذا الباطل من أساسه كانت من واجبه الذي وكله الله إليه لكونه خليفة المسلمين يقول (عليه السلام) : ﴿ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ، وَلَكِنَّ النَّاسَ شَيْءٌ مِنْ فَضُولِ الْخَطَامِ ، وَلَكِنْ لِنَرُدَّ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ الْمُعْطَلَّةُ مِنْ حُدُودِكَ ﴾ (6) فمهمة الإمام هي تصحيح

(1) - ص / من الآية : 26 .

(2) - الرعد / من الآية : 17 .

(3) - ينظر : نفحات الولاية : 1 / 283 .

(4) - نهج البلاغة : 249 .

(5) - م ، ن : 249 .

(6) - م.ن : 238 .

الانحراف في المجتمع وإعلاء كلمة الحق وإزهاق الباطل ، إذ يرجع الإمام السبب في عدم أخذ الحق مكانه الطبيعي ، وذلك لتخاذل بعضهم على نصرته بقوله: ﴿لَوْلَمْ تَتَخَذُوا عَنْ نَصِّ الْحَقِّ وَلَمْ تَهْتَبُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ وَلَمْ يَقُمْ قَوِيٌّ عَلَيْكُمْ لَكِنَّكُمْ تَهْتَبُونَ مَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَعَمْرِي ، لَيُضَعِفَنَّ لَكُمْ النِّيهُ مِنْ بَعْدِي إِضْعَافًا ، بِمَا خَلَفْتُمُ الْحَقَّ وَمَا ظَهَرَكُمْ﴾ (1) فكان في خطابه (عليه السلام) كثيراً ما يعظهم بسلوك طريق الهدى وإن قلَّ سالكوه ، كما يقول: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْوَحِسُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلَّةِ أَهْلِهَا﴾ (2)، فطريق الحق هو الطريق الوحيد الذي من تبعه نجى ، ومن تخلف عنه هلك إذ يقول عليه السلام ﴿أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَّ الْمَاءَ وَمَنْ خَالَفَ وَفَعَّ فِي النِّيهِ !﴾ (3).

فتأكيد الإمام على ضرورة عدم الاستيحاء في الحق لقلة سالكيه والاستئناس بالباطل لكثرة سالكيه لهو دليل واضح على كثرة أتباع الباطل وقلة أتباع الحق، إلا أن الكثرة ليست هي الدليل فحكومة الباطل سرعان ما تتلاشى لأنها تستند على أسس واهية .

وقد خاطب الإمام أحد الصحابة بقوله: ﴿لَا يُؤْنِسُكَ إِلَّا الْحَقُّ وَلَا يُوحِشُكَ إِلَّا

الباطل﴾ (4) إذ لا أنيس بعد الحق ، فكل من ((الحق والباطل أنصاره ومؤيدوه الذي يدافعون عنه)) (5)، فيكون غرض الإمام علي (عليه السلام) من إيراد ثنائية الحق والباطل ما هو إلا وضع الأمور مواضعها بسبب كثرة البصائر الزائغة عن الحق . فحقيقة الصراع بين الحق والباطل هو صراع بين الاستقرار المتأتي من إصابة الواقع والاضطراب والاستقرار المتمثل في اللهات خلف سراب . ومما تجدر الإشارة إليه أن العلاقة وثيقة بين الحق والإيمان والتوحيد ، لأن في كل ذلك سعي نحو الاستقرار وهو المبدأ الذي يسعى الإمام بالمخاطب إلى بلوغه إذ باتباع كلام الإمام وهو المحرك الدافع وراء الخطاب في هذه الثنائيات تتحقق سعادة الدارين التي من لوازمها الاطمئنان والاستقرار .

(1)- م ، ن : 303 .

(2)- م ، ن : 402 .

(3)- م ، ن : 402 .

(4)- نهج البلاغة : 237 .

(5)- روائع البيان في خطاب الإمام الجوانب البلاغية واللغوية في بيان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : 182 .

نستنتج من كل ما سبق أن الإمام كان كثيراً ما يعتمد إلى ذكر الشيء ونقيضه ، فلم يكتفِ بذكر الشيء فقط ؛ وذلك لأن التناقض والتقابل هما ديمومة الحياة فالإمام علي (عليه السلام) كان خبيراً بالواقع وعلاقات الناس فيما بينهم ، فالبنية الضدية في الثنائيات تشحن الخطاب في نهج البلاغة بالحركة التي ((تستوعب في صلبها مفارقات الحياة وكل ما فيه يوحى بحركة الجدل التي تعتمل في الواقع))⁽¹⁾. فالمخاطب لم يع وعباً كاملاً بالشيء ، إلاّ فُتم له نقيضه ، مثلما لم يع بالجمال إلا إذا قُمنّا له الوجه الآخر للحقيقة إلا وهو القبح⁽²⁾.

2- الثنائيات المتناغمة

أ- الدنيا والآخرة :

تشكل ثنائية الدنيا والآخرة المتقابلة ثنائية متنامية بمعنى أن الدنيا لم تناقض الآخرة ولا الآخرة تحاول أن تنفي الدنيا بل كلُّ منهما تكون مكملةً للآخرى ، فالعلاقة بينهما هي علاقة تنام وتناغم .

إن الدنيا – كما هو معروف – في جميع الأديان السماوية هي ((دار طارئة متبدلة جعلت ليتزود منها الإنسان ويكسب فيها السمو والكمال والمعرفة التي تحلق به إلى عالم الخلود))⁽³⁾. فعندما أراد اللّهُ تعالى أن يختبرَ الناسَ جعلَ لهم الدنيا وسيلةً لاختبارهم وما عليهم من تأدية الواجبات ، فهي دار ممر تؤدي إلى الدار الباقية دار المقام والجزاء والخلود⁽⁴⁾، فالله تعالى يبتلي عباده بشتى أنواع البلاء من شأنها تربية الإنسان وصقل شخصيته .

(1)- بنية القصيدة في شعر عز الدين المناصرة : فيصل صالح القصيدي ، دار مجدلاوي ، عمان ، الأردن ، 2005م : 146 .

(2)- ينظر : تذوق النص الأدبي جماليات الأداء الفني : 167 .

(3)- نفحات الولاية : 2 / 122 .

(4)- ينظر : خطب نهج البلاغة دراسة توصيلية : 152 .

ففي خطاب نهج البلاغة نجد الإمام علياً (عليه السلام) يستعمل هذه الثنائية من نوع المقابلة بين النقص والكمال ، علماً بأن الإمام قد يأتي بهما متلازمين . أو منفردتين تبعاً لما يتطلبه سياق الخطاب .

فالمتمثل للخطاب في نهج البلاغة يرى أن هذه الثنائية تشكل منطقة اشتغال صاحب الخطاب بمعنى أنها مهيمنة فيه ، فتتعدد مواقف الإمام علي (عليه السلام) من الدنيا فمرة يقف منها موقفاً سلبياً ، وقد يكون موقفه منها إيجابياً ، وقد يقف في بعض الحالات موازناً بينها وبين الآخرة .

فقد وصف الإمام الدنيا لمخاطبيه محذراً إياهم منها بقوله: ((فَإِنَّ الدُّنْيَا مَرْنَقٌ مَسْرُهَا ، مَرَدُّهَا مَسْرَعُهَا ، يُونَقُ مَنَظَرُهَا ، وَيُوبَقُ مَخْبَرُهَا . غُرُوحًا لِّدُفْعِ الْفُلِّ ، وَظِلٌّ زَائِلٌ ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ ، حَتَّى إِذَا أُنْسَ نَافِرُهَا ، وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا ، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا وَقَنَصَتْ بِأَحْلِيلِهَا وَاقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا ، وَاعْلَقَتْ الْمَسْأَلَةَ الْمُنِيَّةَ قَائِلَةً لَهَا إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ وَمَعَانِيَةِ الْمَحَلِّ)) (1) إذ يؤكد الإمام في خطابه على حقيقة الدنيا داعياً الإنسان

أن يكون على حذرٍ منها وأن لا يغتر بمغرياتها ((أَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا حُلُوءٌ خَصِيصَةٌ ، حُلَافَتُْ الشَّهَوَاتِ ، وَتَحْيِيَّتُ الْعَاجِلَةِ ، وَرَاقَتُ الْفَكْلِ ، وَقَلَّتْ بِالْأَمَالِ وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ)) (2) إذ كل ذلك قائم على اختبار الناس وتمحيصهم ، وكان يدعو في خطابه

إلى التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة من خلال الموازنة بينهما بقوله: ((إِنَّمَا

الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ ، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِكُمْ لِمَقَرِّكُمْ)) (3) فهي دعوة صريحة ليتزود الإنسان من الدنيا الأعمال الصالحة ((دعوة إلى مواجهة الحياة بواقعية وصدق)) (4)، إذ لا يجد الإنسان العاقل في هذه الدنيا إلا عبوراً نحو الآخرة بل انه عبور سريع لا يترك العابر فيه أثراً إلا عمله .

ونجد للإمام موقفاً إيجابياً من الدنيا في قوله : ((إِنْ الدُّنْيَا دَارُ صَدَقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا ،

وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَهَا ، وَدَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا ، وَدَارُ مُعَظَةٍ لِمَنْ أَتْعَظَ بِهَا

(1) - نهج البلاغة : 122 .

(2) - م ، ن : 205 - 206 .

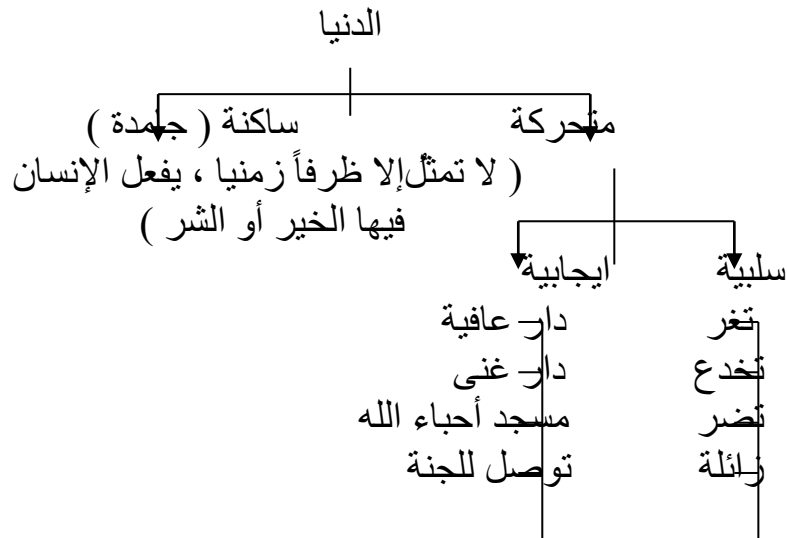
(3) - نهج البلاغة : 404 .

(4) - حركة التاريخ عند الإمام علي : 47 .

أحبنا . الله ومصلّى ملائكة الله ومهيّط وحي الله ، ومنجّر أولياء الله أكسبوا فيها الرحمة
ومرّحوا فيها الجنة (((1).

ويتوصل الإمام علي (عليه السلام) في خطابه إلى نتيجة مؤداها هي ان
الثّنيا في واقع الأمر لا تكذب على الإنسان ولا تغره فله فيها من المواقف تكفي
ليراها الإنسان على حقيقتها .

فالإنسان هو المغتر بها والمخدوع بأباطيلها والمتغافل عنها فيقول عليه
السلام ((وحقاً أقول ما الدنيا غرتك ، ولكن بها اغتررت ، ولقد كاشفك العظّات ،
وأذنك على سوء ، ولهي بما تعدك من نزل البلاء بجسمك ، والنقص في قوتك ، اصدق
واوفى من أن تكذبك أو تغرك)) (2) فعلى الإنسان أن يتعظّ منها ولا ينقاد لها
وعليه أن يتذكر مواقف الآخرة وما سيجد المرء من حساب ، فيكون اليوم الآخر
بالنسبة للإنسان الصالح يوماً مضيئاً وبالنسبة لغيره مظلماً بسبب أعماله في الدنيا .
إذن نستنتج مما سبق أنّ الثّنيا في خطاب الإمام علي (عليه السلام) إما أن
تكون متحركة أو ساكنة (جامدة) وهذا ما يوضحه الشكل الآتي :



فإذا علمنا أنّ محاور الموضوع هي المخاطب والمخاطب والدنيا ، عرفنا أن
المخاطب الإمام علي (عليه السلام) هو العنصر الأكثر حركة نحو الثّنيا السلبية .

(1)- نهج البلاغة : 626 .

(2)- نهج البلاغة : 435 - 436 .

الفصل الثالث : الصوت (الإيقاع) :

تشكّل الموسيقى ظاهرة مميزة في اللغة العربية إذ أنها ((لغة موسيقية لألفاظها وأساليبها رنين وإيقاع))⁽¹⁾ ، فالحياء العربية كانت تتميّز بطبيعتها إلى الإيقاع ، فبساطة حياتهم وعدم استقرارهم وصفاء بيئتهم وعلاقتهم بالإبل وطبيعة سيرها أثر في بناء إيقاعات موسيقية وسمات سمعية لديهم – ومن هنا – جاء اهتمامهم بالأدب سماعاً⁽²⁾.

يعد الإيقاع نظاماً عاماً للوجود إذ أنه أساس تقوم عليه أغلب الموجودات فضلاً عن كونه نظاماً بتنظيم أغلب الفنون من أدبية وموسيقية وتشكيلية بغض النظر عن لغتها ووسائلها والحواس التي تخاطبها⁽³⁾.

ويظهر أثره في الجوانب العقلية والجمالية والنفسيّة ((أما عقلياً فلتأكيد المستمر أنّ هناك نظاماً ودقة وهدفاً في العمل ، وأما جمالياً فإنه يخلق جوّاً من حالة التأمل الخيالي الذي يضيف نوعاً من الوجود الممتلئ في حالة شبه واعية على الموضوع كله وأما نفسياً فإن حياتنا إيقاعية))⁽⁴⁾ ، ومن ثم فإنه يشكّل عنصراً من عناصر العمل الأدبي الذي يعمل على ((إحداث إحساس مستحبّ بالإفادة من جرس الألفاظ وتناغم العبارات واستعمال الأسجاع))⁽⁵⁾ مما له أثر كبير في توصيل المعنى والتأثير في المُخطّط .

إذ يمكن إرجاع الموسيقى الظاهرة في اللغة العربية إلى مصابوها الرئيسة والنابعة من ((تألف أصوات الحروف في اللفظة الواحدة))⁽⁶⁾ لينطلق بعد ذلك إلى ((تألف الكلمات حين تنتظم في التركيب فقرات وجملاً))⁽⁷⁾ ، ومما تجدر الإشارة إليه أنّ التناغم الصوتي في الكلمة الواحدة أو الكلمات مجتمعة في النص لم يحقق جماليته إلا بتحقيق الانسجام بين الصوت والمعنى .

(1)- الأسس الفنية للإبداع الأدبي : عبد العزيز شرف ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1413 هـ - 1993 م : 203 .

(2)- ينظر : دلالة الألفاظ : إبراهيم أنيس ، مطبعة لجنة البيان العربي ، الطبعة الثانية ، 1963 م : 195 .

(3)- ينظر : التصوير الجمالي في القرآن الكريم : عبد سعيد يونس ، عالم الكتب القاهرة ، الطبعة الأولى 1427 هـ - 2006 م : 239 .

(4)- الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة : عز الدين إسماعيل ، مطبعة الاعتماد مصر ، الطبعة الأولى ، 1955 م : 305 .

(5)- المعجم الأدبي : 44 .

(6)- الفن والأدب بحث جمالي في الأنواع والمدارس الأدبية والفنية : ميشال عاصي ، المكتب التجاري ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1970 م : 98 .

(7)- م ، ن : 98 .

وبذلك تتحول اللغة من كونها ((انعكاساً للعالم أو تعبيراً عنه أو موقفاً منه إلى أن تكون هي نفسها عالماً آخر))⁽¹⁾ ، فتغدو اللغة عالماً موسيقياً جديداً لألفاظها ومعانيها صدئ عميقاً وأثراً بليغاً ؛ لما تحقّقه من التلاؤم / الانسجام .

ولكل من الشعر والنثر إيقاعه الخاص الذي ينبني على طبيعة كلّ منهما والغرض منهما ، فليس الإيقاع مقتصرًا على الشعر بل انك تجد أن ((بعض النثر قد تتوافر له من خصائص الشعرية ما يجعله يقترب من الشعر درجات))⁽²⁾ ولعلنا يمكننا الاهتداء إلى الأثر الإجمالي للإيقاع والصوت بشكل عام في كلا الفنين ، إذ يعمل الإيقاع على ((علوق النثر في الأسماع ورسوخه في الأذهان))⁽³⁾ ليسهل حفظه ويبقى عالقاً في الذاكرة .

إنّ الإيقاع هو صوتٌ ناتجٌ عن تآلف الحروف في الكلمة أو الكلمات ، يُسهّم في تصوير الأحداث وتقريبها مما يجعلها اشتدّوقاً في نفس المخاطب واشدّ علوقاً في ذهنه .

وقد وظف القرآن الكريم هذه الخصيصة في تصوير المعنى وإبلاغه ونقله إلى المخاطب في صور شتى من الشعور المتدفق الذي أوصل المعنى المقصود في حل جمالية ، فكان الإيقاع القرآني عاملاً حيويًا فاعلاً في حركية المعنى .

ولما كان الخطاب العلوي وريث المدرسة القرآنية من حيث كونه ربيب المحل الذي انزل عليه القرآن ، فكان الإمام عليّ (عليه السلام) قرآنًا ناطقًا تنفجر البلاغة منه في نفائس خطابية مثّل المستوى الصوتي الإيقاعي مظهرًا من أجلى مظاهر العلاقة بين المعنى وطرق إبلاغه لأنه يعمل على ((إثارة المتلقي من خلال التنظيم الصوتي))⁽⁴⁾ مما يوشح الخطاب بسمة فنية دلالية ، عاملاً على إيقاظ النفس الإنسانية عن طريق حاسة السمع⁽⁵⁾.

وسنحاول في هذا البحث أن نقف على أبرز المظاهر الصوتية في خطاب نهج البلاغة وهي (الجناس والتكرار والسجع) وإنما اقتصرنا على هذه الفنون الثلاثة لأنّها شكّلت ظواهر بارزة في الخطاب العلوي .

(1)- في قراءة النص : قاسم المومني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الاولى ، 1999م : 23 .

(2)- الأسلوب دراسة لغوية إحصائية : 68 .

(3)- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي : ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1980 م ، 226 .

(4)- القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : 269 .

(5)- ينظر : الصورة الأدبية في القرآن الكريم : صلاح الدين عبد التواب ، منشورات الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ، دار نوبار ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1995 م : 26 .

1-الجناس :

وسيلة من الوسائل التعبيرية الإيقاعية الذي يعني أن ((يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منه صاحبتهما في تأليف حروفها))⁽¹⁾ أي أن الكلمتين المتجانستين تتشابهان في اللفظ وتختلفان في المعنى إذ ((إن ما يُعطي التجنيس من الفضيحة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن))⁽²⁾ فيعمل على تحقيق إيقاع متوافق ((يظهر أثره في وحدة الجرس))⁽³⁾. ومما تجدر الإشارة إليه أن قيمة الجناس تكمن في الإيهام وذلك لأن القارئ عندما ينظر إلى كلمتين تتشابهان في رسمهما يخيل إليه أن معناها واحد، حتى إذا اكتشفت اختلاف معنييهما أدرك أن المتكلم أعطاه المعنى في صورة إيهامية أو همه بتوحد معناهما مع توحد لفظهما فكان لهذا الاكتشاف وقعه الحسن في نفسه وزاد من قبول المعنى لديه ، ففائدته تتجلى لنا في ((شحذ النفس وتحريكها نحو تخيل صورة للمعنى المقصود))⁽⁴⁾.

وقد كون الجناس في خطاب نهج البلاغة ظاهرة إيقاعية ملفتة للنظر مع ضرورة الالتفات إلى أنها كانت ظاهرة طبيعية غير متكلفة وتصب في خدمة المعنى .

ومنه ما جاء في قوله (عليه السلام) في خطبة له يصف الدنيا ((فالبصير منها

شاخص والأعمى إليها شاخص))⁽⁵⁾ فقد جانس الإمام بين لفظتي (شاخص) التي تعني اللفظة الأولى (البعيد) والثانية التي تعني (الناظر إلى أمر أدهشه) فقد أوهم السامع بان معناها واحد من خلال تشابه اللفظتين إلا أن السياق قد دل على اختلاف معنييهما محققاً الانسجام بينهما ، فضلاً عن الطباق بين لفظتي (البصير والأعمى) الذي ساند المعنى واسهم في تحقيق النظام الإيقاعي مؤضحاً علائق الإنسان بالدنيا ، فتمها بصورة فكرية جمالية ، وكان هذا الجناس من نوع الجناس التام إذ يعد ((أكمل أنواع الجناس إبداعاً واسماها رتبة))⁽⁶⁾ ، ومنه ما ورد في قوله (عليه السلام) في

(1)- كتاب الصناعتين : 249 . وينظر : سر الفصاحة : 185 .

(2)- أسرار البلاغة : 5 .

(3)- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : 271/2 .

(4)- الترغيب والترهيب في القرآن الكريم : دراسة بلاغية : 5 .

(5)- نهج البلاغة : 241 .

(6)- علم البديع : 188 .

خطبة له يوضح فيها فضائل آل البيت (عليهم السلام) ((هم أساس الدين وعماد
اليقين ، إلهي الغالي وبهم يلحق النا لري))⁽¹⁾ فقد وقع الجناس بين لفظتي (الغالي)
و (التالي) وكان من نوع الجناس الناقص – إذ يُعد أكثر أنواع الجناس شيوعاً في
خطاب نهج البلاغة – مما أضفى نغمة صوتية ساهمت في إيضاح المعنى فضلاً عن
الأثر الجمالي المنبثق منه .

ونظير ذلك قوله (عليه السلام) في حكمته : ((إن المرض لا اجر فيه ،
ولكنه يحط السيئات ، ويحيا حَتَّ الأوراق))⁽²⁾ إذ جانس الإمام بين لفظتي (يحط)
و (يحت) جناساً ناقصاً ، فكان له أثر كبير في ترسيخ المعنى في ذهن المخاطب ،
فضلاً عن القوة التنغيمية التي يتمتع بها . ومثل ذلك أيضاً قوله (عليه السلام) في
رسالة له إلى معاوية ((ومنى كنزها معاوية ساسة الرعية وولاء امر الأمة ؟ بغير قدم
سابق ، ولا شرفٍ باسقى))⁽³⁾ فاختلفت اللفظتان (سابق) و (باسقى) في ترتيب
الحروف ((وفي ذلك مما لا يخفى فيض وافر من الإيقاع الجميل))⁽⁴⁾.

ومنه أيضاً قوله (عليه السلام) في رسالته إلى سلمان الفارسي ((أما بعد ،
فإنما مثل الدنيا مثل الحية : لينٌ مسها ، قاتلٌ سُمها))⁽⁵⁾ ، فالجناس وقع بين لفظتي (مسها)
(سُمها) و (سمها) ، إذ حقق تناغماً صوتياً فضلاً عن اختلاف آلة الإدراك الحسي
التي تتمثل في حاسة اللمس بالنسبة للفظ (سمها) وحاسة الذوق بالنسبة للفظ (سُمها)
(مسها) ، محققاً تناغماً صوتياً من خلال اختلافهما في ترتيب الحروف وتباينها في
المعنى ، ومنه أيضاً ما ورد في قوله يحذر من الدنيا ((فان الدنيا رنق مشربها رنغ
منعها ، يرنق منظرها ، ويوبق مخبرها))⁽⁶⁾ إذ اكتسب المعنى بعلاً صوتياً ساهم في
تصوير الأحداث وتقريبها من ذهن المُخطب .

نستنتج مما سبق أن الجناس في خطاب الإمام علي (عليه السلام) قد أسبغ
عليه قيمة صوتية ، حققت الغايتين الإفهامية والجمالية لأن ((المعنى هو الذي طلبه

(1)- نهج البلاغة : 27 .

(2)- نهج البلاغة : 608 .

(3)- م ، ن : 468 .

(4)- الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي : 158 .

(5)- نهج البلاغة : 587 .

(6)- م ، ن : 122 .

واستدعاه وساق نحوه وحتى تجده لا تبتغي به بدلاً ولا تجد عنه حولا ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه واحقة بالحسن وأولاه ، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه ، وتأهب لطلبه ((⁽¹⁾) وهذا بأثره يعمل على شدّ ذهن المخاطب ، وجعله يشارك في التوصل إلى المعاني المرادة من خلال السياق ، ومن ثم يحمل المخاطب على العيش في جوّ متناغم من التأمل لخطابه .

ومما ينبغي الإشارة إليه أنّ الأمام كان قصده المعنى وكيفية إبلاغه إي الطرائق كان إبلاغه أفضل نرى الإمام حريصاً على سلوك هذا الطريق . أي أنّ اهتمامه بالمعنى يأتي بالمرتبة الأولى .

2- التكرار :

يُسهم التكرار إلى جانب الجناس في تحقيق إيقاع صوتي في خطاب نهج البلاغة ، بيد أنّ الأمام علياً (عليه السلام) لم يعتمد على وسيلة صوتية واحدة ، وإنما تعددت هذه الوسائل بشكل ملفت للنظر تحقيقاً للأغراض المنشودة من خطابه ، مما جعل الصوت مؤازراً للمعنى إذ ليس ما يدعو إلى التكرار غير توضيح المعنى وتأكيده .

يُعرف التكرار بأنه ((دلالة اللفظ على المعنى مردداً))⁽²⁾ ، فضلاً عما يترتب عليه من أثر نفسي يعمل على تحريك شعور المخاطب وذهنه وجذبه إلى ما يكرره ويؤكد عليه فيؤدي إلى استشراف المعنى وإضائته وبسط نفوذه⁽³⁾ ، إذ إنّ كلّ ((تكرار مهما يكن نوعه يستفاد منه زيادة النغم وتقوية الجرّس))⁽⁴⁾ .

وقد تنوع التكرار في خطابه نهج البلاغة موظفاً إيّاه في خدمة المعنى ، ويمكن أن يلحظ القارئ لنهج البلاغة أنّ التكرار فيه وقع على ثلاثة مستويات مثلت مستويات التركيب اللغوي ، إذ ورد التكرار في الحرف واللفظة والجمله . وهو ما سنحاول أن ندخل من خلاله إلى هذا الموضوع .

(1)- أسرار البلاغة : 7 .

(2)- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق : أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطبع ، القاهرة : 3/3 .

(3)- ينظر : الأسس الجمالية في خطبة الجهاد للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) : فليح كريم خضير الركابي ، مجلة الطليعة الأدبية ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ع3 ، 1999 م : 109 .

(4)- المرشد إلى فهم أشعار العرب : 126/2 .

أ-تكرار الحرف : هو أن يعتمد صاحبُ الخطاب إلى ((تكرار حروف بأعيانها فيعتمدُ تكرارُها بإيراد كلمات تشتركُ في هذه الحروف))⁽¹⁾ ، فتكرارُ حروف نفسها يعني التأكيد عليها مع ملائمتها للمعنى المُعبّر عنه . من ذلك ما ورد في قوله (عليه السلام) يعظُ الناسَ مخاطبًا إليهم بصيغة المفرد ((ضعْ فخرَكَ واحططْ كبرَكَ ، والذكرَ قبرَكَ ، فانْ عليهِ ممرُّكَ))⁽²⁾ فملاحظة هذا النص تكشفُ لنا عن أثر كلا الوسيلتين (السجع والتكرار) في إبراز المعنى وما حققه من انسيابية ، إذ إنّ لتكرار صوت الكاف وما يحمله من ((ثقل في النطق رنة إيقاعية قوية تهز النفس))⁽³⁾ ولما كان الكاف صوتاً انفجارياً شديداً كان ملائماً للموقف الكلامي الذي جاء فيه ؛ لأنه كان في معرض التعنيف ، فالخطابُ المباشر هو الذي حتم أن يكون صوتُ الكاف حاضراً .

وهذا يدلُّ لنا على مدى رقة الإمام علي (عليه السلام) في إختيار الأصوات الملائمة لمعانيها وعليه أن هناك ((فروقاً في القدرة التعبيرية وهذا هو سر الكلمات التي تعبر بأصواتها على معناها فتكون لأصوات الكلمات قوة في التعبير عن مدلولاتها))⁽⁴⁾.

ومن ذلك ما ورد في قوله (عليه السلام) يصفُ أهل العراق ((فإنما انبرأ أهل العراق كالمرأة الحامل حملت فلما أتمت أملت ومات قيمها ، وطال تأنيها وعرثها بعدلها))⁽⁵⁾ فالملاحظ على هذا النص أن الإمام يكررُ صوتي (الميم واللام)⁽⁷⁾ لأنها تمتاز بشدة وضوحها السمعي⁽⁸⁾ إذ هي أصواتٌ متوسطة بين الشدة

(1)- م ، ن : 2 / 126 .

(2)- نهج البلاغة : 286 .

(3)- الترغيب والترهيب في القرآن الكريم – دراسة بلاغية : 29 .

(4)- الدلالة الصوتية في القرآن الكريم (رسالة ماجستير) : كريم مزعل اللامي ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، 1997 م : 49 .

(5)- نهج البلاغة : 109 .

(6)- يتكون صوت الميم بمرور الهواء بالحجرة أولاً فيتذبذب الوتران الصوتيان ، فإذا وصل في مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك ، فسد مجرى الفم فيتخذ الهواء مجرى في التجويف الأنفي ، محدثاً في مروره نوعاً من الحفيف لا يكاد يسمع ، وفي أثناء تسرب الهواء من التجويف الأنفي تنطبق الشفتان تمام الانطباق ((الأصوات اللغوية : 44 .

(7) يتكون صوت اللام ((بمرور الهواء بالحجرة فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه في الحلق وعلى جانبي الفم في مجرى ضيق يحدث فيه الهواء نوعاً ضعيفاً من الحفيف ، وفي أثناء مرور الهواء من احد جانبي الفم أو من كليهما ، يتصل طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ((الأصوات اللغوية : 59 .

(8)- ينظر : الأصوات اللغوية : 58 ، وفي البحث الصوتي عند العرب : خليل إبراهيم العطية ، منشورات دار الجاحظ ، بغداد ، العراق ، 1403 هـ - 1983 م : 53 .

والرخاوة ، فناسبتُ المعنى والدقة في وصفهم ، محدثة صورة سمعية ((أي وقع جرس الكلمة على الأذن الباطنة أو أذن الفعل))⁽¹⁾.

ومن ذلك أيضا ما ورد في خطبة له يحذر فيها من أهل النفاق ﴿أَحْذَرِكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ، فَانْتَهَرُ الضَّالِّينَ الْمَضْلُونِ وَالزَّالِّينَ الْمَزْلُونِ، يَلُونُونَ الْوَأْنَ وَيَشْتُونَ الْفِتْنَانَ وَيَعْمَدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ، وَيَصْدُونَكُمْ بِكُلِّ مِصَادٍ﴾⁽²⁾ فالملحظ على هذا الخطاب تكرار صوت النون خمس عشرة مرة، لما في صوت النون⁽³⁾ من شجن يلائم حزن الإمام علي (عليه السلام) على هذه الأمة المبتلاة بأمثال هؤلاء ، لذلك ((يؤحي الصوت المنطوق من هذه الحروف بصورة المعنى المقصود))⁽⁴⁾.
ومنه أيضا قوله (عليه السلام) مخاطباً الأنبياء ((اعزُّبِي عَنِّي، فَوَاللَّهِ لَا أَذِلُّ لَكَ فَتُسَدِّدِي لِي وَلَا اسْلُسُ لَكَ، فَتَقُودِي لِي))⁽⁵⁾.

فتأكيد الإمام على صوت المد (الياء) وتكراره قد أسبغ على الخطاب نغماً لا يناسب معنى الزجر لهذه الدنيا . ف ((أصوات اللغة العربية ، تدلُّ دلالةً قويَّةً وأكيدةً على المعنى ، وعندها تثير في النفس جواً لقبول المعنى أو الإيحاء به ، لأنَّ الصوت يلعب دوراً مهماً في توجيه معنى الكلمة ومشاركتها الفاعلة في الدلالة))⁽⁶⁾ ، فالملحظ على تكرار الصوت في خطاب نهج البلاغة أنَّ الإمام علياً (عليه السلام) يركِّز على أصوات من دون غيرها وذلك للتركيز على الفكرة نفسها التي يريد الإمام توصيلها إلى المُخْطَب .

ب- تكرار الكلمة : لا ريب في أنَّ إعادة الإمام علي (عليه السلام) للفظية معينة في خطابه لم يأت اعتباطاً وإنما جاء لغايات دلالية ، فضلاً عن أنَّ تكرارها يسهم في إسباغ إيقاع صوتي ، من ذلك ما ورد في قوله (عليه السلام) في دعاء له ((اللهم أنت أهدل الوصف الجميل ، والعداد الكثير إن تقول فخير مأمول وإن تُج فخير

(1)- مبادئ النقد الأدبي : ا. ارينشاردز ، ترجمة وتقديم : مصطفى بدوي ، مراجعة : لويس عوض ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة : 171 .

(2)- نهج البلاغة : 385 - 386 .

(3)- صوت النون ((صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة ، ففي النطق به يندفع الهواء من الرئتين محرراً الوترين الصوتيين ، ثم يتحد مجراه في الحلق أولاً حتى إذا وصل إلى الحلق أقصى الحنك الأعلى فيسد بهبوطه فتحة الفم ويسري الهواء من التجويف الأنفي محدثاً في مروره نوعاً من الحفيف)) الأصوات اللغوية : 61 .

(4)- الصورة السمعية ودلالاتها البلاغية في القرآن الكريم (أطروحة دكتوراه) : عباس حميد السامرائي ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، 1422 هـ - 2001 م : 213 .

(5)- نهج البلاغة : 534 .

(6)- الدلالة الصوتية في القرآن الكريم : 49 .

من جو، اللهم وقد بسطت لي فيما لا امدح به غيرك، ولا أثني به على أحد سواك ولا اوجهه الى معادن الخيبة ومواضع الريبة، وعدلت بلساني عن مدائح الآدميين والثناء على المربوبين المخلوقين . اللهم ولكل من على من اثني عليه مثوبة من جزاء او عارفة من عطاء . وقد رجوتك دليلاً على ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة .

اللهم وهذا مقام من أف ذك بالنوحيد الذي هو لك، ولم ير مسنحاً لهذه المحامد والممدوح غيرك، وبني فاقة إليك لا يجب مسكنها الا فضلك ولا ينحس من خلها الا منك وجودك⁽¹⁾.

إذ استهل الإمام هذا الدعاء بكلمة (اللهم) في كل فقرة من فقرات النص المتقّم، ولا شك أن تكرارها لم يأت اعتباطاً وإنما جاء تحقيقاً لا لغايات دلالية إذ ((مهّد لفضاء حوار يتسع تدريجياً بتكرير النداء (اللهم) ، وان هذا الاتساع يغري المتلقي بالتواصل الروحي مع الباري سبحانه ويمهد لحمل (المتلقي - الداعي) لا شعورياً على السؤال))⁽²⁾ ، فتكرار لفظة (اللهم) قد أضفت على النص سمة موسيقية أبعدته عن الرتابة.

ومنه أيضاً ما ورد في قوله ((اللهم قد انصاحت جبالنا واغبرت ارضنا، وهامت دوابنا وتحيرت في مرائبها، وعجت عجيج النكال على اولادها وملت النرد في مراتعها، والحنين إلى مواردها ! اللهم فارحمنا الآن وحنين الحانة ! اللهم فارحم حيرتها في مذهبها، وانيتها في موالجها ! اللهم خر جنا إليك حين اعنكرت علينا حدايين السنين، واخلفنا مخايل الجود، فكنت الرّجل على الملأ والبلاغ للملئس (...). اللهم سقياً منك محببة من وية، تامة عامة، طيبة مباركة هنيئة مريّة زاكيا نبتها، ثامراً فرعها (...). اللهم سقياً منك تعشب بها نجادنا، وتجري بها وهادنا، ويخصب بها جنابنا، وتقبل بها

(1)- نهج البلاغة : 168 – 169 .

(2)- المناجيات وأدعية الأيام : 25 .

ثامرنا))⁽¹⁾ فقد تكررت لفظة (اللهم) ست مرات مع دقة توزيعها في بداية كل فقرة ، ولا يخفى ما لهذا التكرار في إضفاء الإيقاع الصوتي الملائم لطلب المخاطب الذي لا يَمَلُّ من الإلحاح في الدعاء حتى جعل من الدعاء ((أداة تعبيرية عما يجول في خوالج النفوس ، فان طبيعة ألفاظ هذا الكلام تصطبغ بلونية المشاعر التي انفعلت بها النفوس ، وبقدر ما تسعف الألفاظ الإنسان على التعبير ، فهي قادرة على نقل مشاعره إلى الآخرين بنغمة ينفعل لها السامع أو القارئ))⁽²⁾.

ومن ذلك قوله في خطبة له يصف مكانه من الخلافة ((أن محلي منها محل القطب من الرحا))⁽³⁾ إذ كرر الإمام لفظة (محلي) مرتين ، وهذا يعني التركيز على فكرة الخلافة ، فضلاً عما أسهمت هذه اللفظة في إضفاء الدقة في الوصف وترسيخ الفكرة في ذهن المخاطب .

ومنه أيضاً ما ورد في وصية له يعظ فيها الناس ((أوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها حق الله عليكم ، والموجبة على الله حقكم وان تستعينوا عليها بالله وتستعينوا بها على الله))⁽⁴⁾ إذ عمد الإمام إلى تكرار لفظ الجلالة (الله) في هذا الخطاب ست مرات ، وكان باستطاعته عدم تكراره بقوله ((أوصيكم عباد الله بتقواه ، فإنها حقه عليكم ، الموجبة عليه حقكم ، وان تستعينوا عليها به وتستعينوا بها عليه))⁽⁵⁾ فالفرق واضح بين وجود الإيقاع وعدمه بين النصين⁽⁶⁾، إلا أن الأمام كرر لفظ الجلالة تعظيماً له واستلذاً بذكره وما لهذا التكرار من أثر نفسي يحمل المخاطب على العيش في حالة تأملية على نية التشوق والاستعداد.

ومن ذلك أيضاً ما ورد في خطبة له ((انتفعوا ببيان الله ، واتعظوا بمواعظ الله واقبلوا نصيحة الله ، فان الله قد اعذر اليكم بالجلية))⁽⁷⁾ فقد كرر الإمام لفظ الجلالة

(1) - نهج البلاغة : 215 - 216 .

(2) - جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث النقدي والبلاغي : 187 .

(3) - نهج البلاغة : 28 .

(4) - م . ن : 356 .

(5) - التصوير الفني في خطب نهج البلاغة : 141 .

(6) - ينظر : م ، ن : 141 .

(7) - نهج البلاغة : 315 .

أربع مرات وقد احدث هذا التردد نغما موسيقيا مشعرا بان الإنسان دائم الذكر لله مستلذ به .

ومنه أيضا ما ورد في رسالة له (عليه السلام) إلى معاوية ((وزعمت أنك

جئت نائرا بدم عثمان ولقد علمت حيث وقع دمر عثمان))⁽¹⁾ فالملاحظ على هذا الخطاب أن الإمام قد جاء بلفظة (عثمان) مرتين ولم يحذف اللفظة الثانية ويعوض عنها بضمير يعود عليها وذلك للاحتراس عن توجيه كلام الإمام (عليه السلام) إلى غير مقاصده من أعدائه فانه لما ذكر دم عثمان أولا حرص على ذكره ثانية ليحصر الحديث فيه وليسقط حجة عدوه ، وكأني به يشير إلى أن سبب الخروج على الخلافة لم يكن دم عثمان وإنما كان الخروج لسبب آخر .

فضلاً عما لهذا التكرار من تقوية جرس المعنى المكرر لنغمة الخطاب وسهولة وصول الفكرة، ومن تكرار الكلمة ما ورد في قوله (عليه السلام) في خطاب له عندما جاءه نعي مالك الاشر ((مالك وما مالك والله لو كان جبلاً لكان

فنداً))⁽²⁾ فإننا نلاحظ من خلال هذا الخطاب أن هناك وقعاً صوتياً وجرساً موسيقياً⁽³⁾ لتكرار لفظة (مالك) مرتين ، فضلاً عن النمط التركيبي المتمثل في أسلوب الاستفهام المجازي في (وما مالك) قد أسهم في بيان المعنى المعبر عنه وما حققه من أهمية في إظهار قيمة التعظيم لتلك الشخصية ، وما تكرر الإمام لهذا الاسم إلا للإشارة بذكره والتنويه به والتفخيم له في قلوب وأذهان المخاطبين⁽⁴⁾.

ولو عدنا إلى قراءة الخطاب مرة أخرى ، ولكن قراءة متمعنة لتبين لنا أن الإمام (عليه السلام) لم يقتصر على أسلوب الصوت والتركيب في توصيل المعنى ، وإنما استعان بأسلوب ثالث ألا وهو (التصوير) في قوله ((لو كان جبلاً لكان فنداً)) إذ عمد إلى تشبيه مالك بال جبل ولم يكتف بذلك ، وإنما عاد وشبهه بالجبل المنفرد لما امتاز به من شجاعة منفردة عاملاً على ((إحداث علاقة بين طرفين من خلال جعل احدهما يفترض حصول شيء لم يحدث واقعياً))⁽⁵⁾ ، فأسلوب التصوير في هذه

(1)- م ، ن : 469 .

(2)- نهج البلاغة : 69

(3)- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب : محمد يونس علي ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، ودار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 2004 م : 82 .

(4)- ينظر : العمدة : 72/2 .

(5)- الإسلام والأدب : محمود البستاني ، منشورات المكتبة الأدبية المختصة ، مطبعة ستارة ، قم المقدسة ، الطبعة الأولى ، 1422 هـ ، ق : 171 ، وينظر أدب الإمام الحسين : 235 .

العبارة قد زاد من قوة الجرس الموسيقي وشدة علق الخطاب في الأذهان . فاجتماع هذه الأساليب في عبارة واحدة ليس بغريب عن الإمام علي (عليه السلام) لأنه أمير الكلام العربي بلا منازع .

وقد يأتي التكرار في اسم الاستفهام من ذلك قوله (عليه السلام) : ((أين العمالقةُ وأبناء العمالقة ! أين الفراعنة وأبناء الفراعنة ، أين أصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبين وأطفأوا سنن المرسلين ، وأحيوا سنن الجبارين ! أين الذين ساروا بالجيش وهزموا الألفَ وعسكروا العساكر ، ومدنوا المدائن ؟))⁽¹⁾ ، فتكرار اسم الاستفهام (أين) قد حقق إيقاعاً موسيقياً لآءم معنى الوعيد والتهديد ذلك الغرض المقصود من خطابه ، ومنه أيضاً قوله (عليه السلام) : ((أين إخواني الذين ركبوا الطريق ، ومضوا على الحق ؟ أين عمار ؟ وأين ابن النيهان ؟ وأين ذو الشهادتين ؟ وأين نظراؤهم من أخوانهم الذين تعادوا على المنيّة))⁽²⁾ فقد كرر اسم الاستفهام مضيئاً على الخطاب نغماً حزيناً لآءم معنى التحسر والتوجع لفقدهم .

4- تكرار الجملة : يرد في خطاب نهج البلاغة نوعاً آخر من أنواع التكرار ألا وهو تكرار الجملة ، إذ إن تكرار جملة له اثرٌ عظيم في إحداث إيقاع صوتي يتوافق مع الغرض من الخطاب ، ومنه ما ورد في قوله (عليه السلام) في رسالته إلى معاوية : ((انه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوه عليه))⁽³⁾ إذ كرر جملة (بايعوا) مرتين ، ولا يخفى ما لهذا التكرار من التركيز على المعنى فضلاً عما حققه من إيقاع صوتي ساعد في رسم صورة البيعة وتوضيحها .

ومنه ما ورد في قوله (عليه السلام) في رسالة له إلى الحارث الهمداني : ((واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه ، ويكرهه لعامة المسلمين ، واحذر كل عمل يعمل به في السر ويسنحي منه في العلانية ، واحذر كل عمل إذا سئل صاحبه انكسره أو اعذر منه))⁽⁴⁾ ، إذ نجد في هذا الخطاب أن الإمام قد كرر جملة (واحذر كل عمل

(1)- نهج البلاغة : 331 .

(2)- نهج البلاغة : 332 .

(3)- نهج البلاغة : 463 .

(4)- م ، ن : 588 .

(ثلاث مرات ليناسب أسلوب التحذير وردع الإنسان عنها، فضلاً عما تحققه هذه الجمل من إيقاع يُقرعُ الأسماع من خلال تكرار الردع عن هذه الأعمال التي لا تليق بالإنسان .

نستنتج مما سبق أنَّ التكرارَ في خطاب نهج البلاغة قد شكّل وسيلةً صوتيةً مؤديةً وظيفتين مهمتين هما : الوظيفة الإفهامية وهي الوظيفة الأساسية التي ركّز الإمام عليها وبسط فكرته من خلالها ، ثم ما لبث إلى أن وشح خطابَه بفيض وفير من الإيقاع الصوتي ، وبذلك تتجسّد براعة الإمام علي (عليه السلام) ودقته في اختيار ألفاظه المنسجمة صوتياً مع مضمون الخطاب ، محققاً الانسجام النغمي في تقوية المعنى .

3- السجع :

يعد السجع وسيلةً صوتيةً تعمل على أبراز المعاني بصورة جمالية ، إذ يعرف بأنّه تماثل الفواصل في النثر على حرف واحد⁽¹⁾، فعن طريقه ((يتوخى المتكلّم أو الشاعر في أجزاء كلامه بعضها غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة في عدد معين بشرط أن يكون روي الأسجاع روي القوافي))⁽²⁾.
فيؤتى بالسجع في الكلام لـ ((اعتدال مقاطعه وجريه على أسلوب متفق ، لأنّ الاعتدال مقصّد من مقاصد العقلاء يميل إليه الطبع وتتشوّق إليه النفس))⁽³⁾ على وفق ذلك تكون الأسجاع في النثر بمنزلة القوافي للشعر ، وعليه يغدو السجع ((صورة نغمية يراد بها جعل الكلام بصيغة متوافقة))⁽⁴⁾ ، مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ من شروط ((حسن السجع اختلاف قرينته في المعنى))⁽⁵⁾.

لهذا ينتصب السجع إلى جانب الجناس والتكرار في خطاب نهج البلاغة ليكون نمطاً موسيقياً يسهم في إضفاء سمة الجمالية على الخطاب فضلاً عن الغاية الأساسية وهي توصيل المعنى إلى المخطّط مع التركيز عليه وترسيخه في ذهنه .

وسنحاول في بحثنا تسليط الضوء على أبرز أنواع السجع شيوعاً في خطاب نهج البلاغة وهي (السجع المطرّف والمتوازي والمُرصّع) .

(1)- ينظر : سر الفصاحة : 164 ، والطرّاز : 2 / 407 ، وعلم البديع : 167 ، ونصوص بلاغية من مباحث البيان والبديع : 194 .

(2)- تحرير التحرير 3000 .

(3)- الطراز : 408/2 .

(4)- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي : 232 .

(5)- نصوص بلاغية من مباحث البيان والبديع : 194 .

أ- السجع المطرف :

هو اختلافُ الفواصل وزناً واتفاقهما رويًا⁽¹⁾، وقد ورد هذا الضرب من السجع بكثرة في خطاب النهج ، إذ احتل المرتبة الأولى فيه ، لأنه يُضفي على الخطاب أثراً موسيقياً ترتاحُ النفوسُ عند سماع الفقر المتوافر عليها ، منه ما جاء في قوله (عليه السلام) في خطبة له في التنبيه على إحاطة الله تبارك وتعالى بالموجودات: ((يعلمُ عجيجَ الوحوش في الفلوات ، ومعاصي العباد في الخلوات ، واختلافَ النيران في البحارِ العاصرات ، وتلاطمِ الماء بالرياحِ العاصفات))⁽²⁾.

إذ إنَّ النصَّ المتقدم يكشفُ لنا توافراً بنى صوتيةً وُضعت في إيقاع منتظم لا ينفي الأثرَ المعنوي لها⁽³⁾، فضلاً عن البنى التركيبية المتشابهة التي تكشفُ عن العرض المتسلسل والمنتظم للأفكار ، مما يؤكدُنا أنَّ الإمامَ علياً (عليه السلام) على وعي تام بتوظيف هذا النوع في خدمة المعنى.

ومنه ما جاء في خطبة له يوصي فيها بالتقوى: ((أما بعد ، فإنِّي أوصيكم بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم وإليه يكونُ معادكم ، وبه نجاح طلبكم ، وإليه منتهى مرغبتكم ، ونحوه قصد سبلكم ، وإليه منامي مفزعكم ، فإن تقوى الله دواء داء قلوبكم وبص عمى أفدتكم وشفاء من ض أجسادكم وصلاح فساد صدوركم وطهور دنس أنفسكم وجلاء عشا أبصاركم وأمن فزع جاشكم ، وضياء سواد ظلمتكم .

فاجعلوا طاعة الله شعاراً دُونَ دثاركم ، ودخلاً دُونَ شعاركم ولطيفاً بين أضلاعكم ، وأميراً فوق أموركم . ومنهلاً لحين ورودكم وشفيعاً لدرك طلبكم ، وجنتاً ليوم فزعكم ومصايح لبطون قيومكم ، وسكناً لطول وحشتكم ، ونفساً لكرب مواطنكم))⁽⁴⁾ فالمتأمل لهذا النص يُدرك أثر تماثل الفواصل وتوحدٍها في نهاية الفقرات ، مع ملاحظة حسن الإنتفاء والتوزيع الذي جعل الفقرات متساوية تقريباً ، فضلاً عن انتظام البنى التركيبية الأسمية الموحدة .

(1)- ينظر : التلخيص في علوم البلاغة : 398 ، والطرارز : 2 / 407 ، وعلم البديع : 169 .

(2)- نهج البلاغة : 294 .

(3)- نصوص بلاغية من مباحث البيان والبديع : 169 .

(4)- نهج البلاغة : 393 - 394 .

ومنه أيضاً ما وردَ في دعائه: ((اللهم وهذا مقامُ مَنْ أفرَدَكَ بالوحيد الذي هو لك ، ولم يرَ مسنحاً لهذه المحامد والممحاء غيرك وبني فاقة إليك لا يجبر مسكنها الا فضلك ، ولا تبعت من خلها الا منك وجودك ، فهب لنا في هذا المقامِ رضاك ، واغتنا عن مدِّ الأيدي إلى سواك))⁽¹⁾ فالملحظ على فواصل هذا النص إنها تنتهي بحرف روي واحد مع اختلاف وزنها ، فضلاً عما يضيفه صوت الكاف من أثرٍ يتلاءم والمعنى المقصود من الخطاب ألا وهو التنزيه والتعظيم ، محققاً هذا النوع من السجع الانسجام الصوتي والمعنوي ، إذ إن التلاؤم الصوتي بين هذه الألفاظ قد ساءم في تحقيق التناغم.

ومنه ما جاء في قوله ((عليه السلام)) مخاطباً النبي: ((هيهات من وطئ دحضك زلق ، ومن ركب لججك غرق ومن ازور عن حبالك وفق))⁽²⁾ ومنه ايضاً قوله في خطابٍ الى اهل البصرة: ((كنز جند المرأة ، واتباع الهيمه ، مرغا فاجدتر ، وعتر فهيرتر ، اخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق ، ودينكم نفاق وماؤكم زعاق))⁽³⁾ فالمتمتاً ملْ لهذين النصين المتقَّمين يلاحظُ ويدركُ اثرَ الموسيقى واضحاً في إثراء المعنى ورفع قيمته لأنه لم يُفرضْ على النص وإنما المعنى هو الذي استدعاه وطلبه فضلاً عن حسن التوزيع الذي جعل قراءاً مُهمتساوية⁽⁴⁾.

ومنه أيضاً قوله (عليه السلام) في خطبة له يبينُ فيها صفةَ عبد من عباد الله: ((مصباحُ ظلمات ، كشافُ عشوات ، مفناحُ مبهمات ، دَفَاعُ مُعضلات ، دليلُ فُلوات ، يَقُولُ فِيهِمْ وَيَسْكُتُ فَيَسْلُمُ قَدْ اَخْلَصَ لَهُ فَاَسْخَلَصَهُ ، فهو من معادن دينه ، وأوتادِ أَرْضِهِ))⁽⁵⁾ فملاحظة هذا النص تكشفُ لنا عن ثَمَّ اثل الكلمات في الحرف الأخير ، فضلاً عما يضيفه صوت التاء من أثرٍ على المعنى .

(1)- م ، ن : 169 .

(2)- نهج البلاغة : 41 .

(3)- م ، ن : 41 .

(4)- ينظر : نصوص بلاغية من مباحث البيان والبدیع : 194 .

(5)- نهج البلاغة : 141 .

ب- السجع المتوازي :

وهو ((أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة أي الفقرة مع نظيرتها في الوزن والروي))⁽¹⁾ ، إذ يتضح لنا من خلال هذا التعريف أن هذا النوع من السجع ((يتطلب مهارة في الانتقاء وتفناً في التركيب))⁽²⁾ ، وهذا كله يرجع إلى صاحب الخطاب وهو الإمام علي (عليه السلام) الذي يقوم بالاختبار فضلاً عن المقدرة اللغوية التي يتمتع بها .

إذ في خطّ باب النهج نجد أن هذا الضرب من ضروب السجع قد وُظِفَ في خدمة المعنى فجاء بالمرتبة الثانية بعد السجع المطرف ومنه ما جاء في قوله (عليه السلام) في خطبة له يذكر فيها خلق الملائكة : ((ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم ، والمارقة من السماء العليا أعناقهم والخارجة من الأقطار أركانهم ، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم ، فأكست دونهم إيصارهم))⁽³⁾ فبمعانيه الخطّ اب المتقّم تظهر قيم تشكيل البنى الصوتية واللغوية فضلاً عن التوزيع المنتظم للسجعات .

ومنه أيضاً ما ورد في قوله (عليه السلام) في خطبة له : ((الحمد لله خالق

العباد ، وساطح المهاد ، ومسيل الوهاد ، ومخصب النجاد . ليس لأو
لينه ابتداء ولا لأزليه

(1)- علم البديع : 170 .

(2)- المناجيات وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين (عليه السلام) – دراسة أسلوبية : إدريس طارق حسن ، كلية التربية ، جامعة بابل ، 1427 هـ - 2006 م : 44 .

(3)- نهج البلاغة : 20 .

انقضاء . هو الأول لم يزل وبالباقى بلا أجل⁽¹⁾ فالملاحظ على هذا النص يجْدُ تشابه الكلمات (العباد، المهاد، الوهاد، الذجاد) في الوزن والروي وكذلك (اذ ياء، انقضاء) وكذلك (يزل، أجل) وفي هذا مما لا يخفى من اثر موسيقي متنوع يعمل على كسر الرتابة ويحفز ذهن المتلقي للانتقال في التوصل إلى المعاني فضلاً عن تنوع المقاطع الذي يعمل على ((توليد إيقاع متموج في النص))⁽²⁾ ومنه ما جاء أيضاً في قوله (عليه السلام) : ((أَلَا وَهِيَ الْمُنْصَدِيَّةُ الْعُنُونُ، وَالْجَامِحَةُ الْحُرُونُ، وَالْمَائِنَةُ الْخُورُونُ وَالْجَعُودُ الْكُنُودُ، وَالْعُنُودُ، الصُّدُودُ وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ))⁽³⁾، إذ ساءت كلُّ من البنى الصرقيّة والصوتيّة والمعنويّة في توليد إيقاع صوتي يعمل على تكثيف المعنى وترسيخه .

ومنهُ أيضاً ما ورد في قوله (عليه السلام) في خطابٍ له للدنيا: ((اليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك، قد انسللت من مخالبك، وافلتت من حبالك واجشبت الذهاب في مَدَاحِضِك))⁽⁴⁾ فقارئ هذا الخطاب يدليه على إيقاع صوتي متولد من توازن الفواصل في نهاية المقاطع (مَظْلَبِكِ، حَبَائِلِكِ، مَدَاحِضِكِ، إذ تترك هذه الكلمات أثراً لا يتحدّد في إثارة حاسة السمع وإنما في إثارة الجوانب الروحية الكامنة في ذات الإنسان))⁽⁵⁾ ومن ثم يبقى جرسها يرن في أذن السامع، فيجعل تأثيرها في النفس أعمق ومدة بقائها أطول .

(1)- م، ن : 289 – 290 .

(2)- جماليات اللفظة بين السياق ونظرية النظم : علي نجيب إبراهيم، دار كنعان، دمشق، الطبعة الثانية، 2004 م : 58 .

(3)- نهج البلاغة : 357 – 358 .

(4)- م، ن : 533 .

(5)- حرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي : 310 .

ج-السجع المُرصّع :

ونعني به أن يكون في الفقرة الأولى من الألفاظ ما يقابلها في الفقرة الثانية في الوزن والروي⁽¹⁾، وهذا الضرب من السجع يأتي بالمرتبة الثالثة في خطاب نهج البلاغة فهو أقل وروداً من سابقيه (المطرّف والمتوازي) .

وعلى الرغم من قلته إلا أنه قد حقق جماليةً صوتيةً من خلال الجمع بين الإيقاعين التركيبي والصوتي مما أضفى على الخطاب سمةً دلاليةً. منه ما جاء في قوله (عليه السلام) في دعائه: ((اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق ، والفاتح لما أغلق ، والمعلن الحق بالحق ، والدافع جيشات الأباطيل والدافع صولات الأضاليل . كما حمل فاضطلع ، قائماً بأمرك . مسنوفراً في مضاياك ، غير ناكل عن قدم ولا واه في عزم وإعيا لوحيك ، حافظاً لعهدك ماضياً على نفاذ امرك))⁽²⁾ فملاحظة للنص تكشف حقيقةً توظيف الإمام (عليه السلام) للسجع المُرصّع مما جعله – أي النص – يمتاز بسمية موسيقية ؛ إذ بني على تماثل الإيقاعين التركيبي والصوتي ، فالتركيبي اللغوية المتشابهة تعمل على توضيح المعاني وإبرازها متمثلاً ذلك خير تمثيل في :

شَوَائِف صَلَوَاتِكَ ↔ نَوَامِي بَرَكَاتِكَ

الثلغ جيشات الأباطيل ↔ التلمغ صولات الأضاليل

ونجد في هذا النص توظيف الإمام للسجع المتوازي في :

وحيك ↔ عهدك ↔ أمرك

إنَّ هذا التنوع في ضروب السجع في النص المتقّم أثمرَ ((وحدات موسيقية يستعذب المتلقي صداها))⁽³⁾ ، مما يدلُّ على أنَّ الإيقاع لم يكن شُغْلَ الإمام الأول في الخطاب ، وإنما كان الأساس في إضفاء الموسيقى عليه هو تكثيف المعنى وإبرازه .

ومنه ما وردَ في قوله (عليه السلام) : ((إن القرآن ظاهره أُنِيق ، وباطنه

عميق ، لا تُدْنِي عَجَائِبُهُ وَلَا تَنْقُضِي غُرَابَهُ))⁽⁴⁾ إذ وظّف الإمام علي (عليه السلام) هذا

(1)- ينظر : نصوص بلاغية من مباحث البيان والبديع : 194 .

(2)- نهج لبلاغة : 110 – 111 .

(3)- المناجيات وأدعية الإمام : 47 .

النوع من السجع في خدمة المعنى وتصويره من خلال الإيقاعين الصوتي والتركيبى :

ظاهره أنيق ↔ باطنه عميق ،

فضلا عن توظيف السجع المتوازي في النص المتقمّ:

عجائبه ↔ غرائبه

إذ ينطلق الإمام (عليه السلام) من قاعدة إيمانية لا تفارق تفكيره مشكلاً تكرر المعاني مركزها بوساطة التقابل الذي يهمن على الخطاب ، وظفه بين (ظاهره أنيق وباطنه عميق) ، ((فالانسجام بين موسيقى اللفظ ومعناه هو ما يؤرّ جماليتة التعبير من خلال ما يتركه الإيقاع من إحياء نفسي))⁽²⁾ ، إذ مما ينبغي الإشارة إليه أنّ السجع في هذه النصوص المتقنة قد ساند المعنى وآزره ((لما تتركه الذبذبات الصوتية من أثر في السمع))⁽³⁾

(1)- نهج البلاغة : 49 .

(2)- التطور الدلالي في النص القرآني دراسة بلاغية (أطروحة دكتوراه) : جنان منصور الجبوري ، كلية التربية، ابن رشد ، 1426 هـ - 2005 م : 98 .

(3)- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي ، مراجعة : نجوى عباس ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1423 هـ - 2003 م : 249 .

قرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد أننا اطلعنا على الرسالة الموسومة
بـ (الخطاب في نهج البلاغة (دراسة موضوعية فنية)) التي أعدتها الطالبة
(إيمان عبد الحسن علي) وناقشناها في محتوياتها وفي ماله علاقة بها
ونعتقد أنها جديرة بالقبول لنيل درجة ماجستير في اللغة العربية وآدابها /
أدب . بتقدير (جيد جداً)

الإمضاء

الاسم : أ . م . د . د . عبد الإله عبد الوهاب العرداوي
(عضواً)

التاريخ :

الإمضاء

الاسم : أ . م . د . د . عبد الله حبيب كاظم
(عضواً)

التاريخ :

الإمضاء

الاسم : أ . م . د . د . عباس محمد رضا
(رئيساً)

التاريخ :

الإمضاء

الاسم : أ . م . د . د . أمل عبد الجبار كريم الشرع
(عضواً ومشرفاً)

التاريخ :

صدق مجلس كلية التربية - جامعة بابل قرار لجنة المناقشة

الإمضاء

عميد كلية التربية

الاسم : أ . م . د . د . لؤي عبد الهادي السويدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((تِلْكَ الْأَرْضُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا
فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ))

صدق الله العلي العظيم
القصص / 83

الإهداء ..

إليك أيها المنتظر
((تيمناً في طلب واستجابة لميل))

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إقرار المشرف

أشهدُ أنَّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (الخطّاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية) التي قدمتها الطالبة (إيمان عبد الحسن علي) قد جرى بإشرافي في كلية التربية – جامعة بابل ، وهي جزء من متطلبات درجة ماجستير في آداب اللغة العربية .

الإمضاء :

أ.م.د. أمل عبد الجبّار كريم الشرع
المشرف

التاريخ : / / 2008م

بناءً على التوصيات المتوافرة ، أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

الإمضاء :

أ.م.د. حامد عبد المحسن كاظم
رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ : / / 2008م

روافد البحث

أولاً : المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

- ✓ أدب الحكمة في وادي الرافدين : صلاح سلمان الجبوري ، مراجعة : فاضل عبد الواحد علي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، 2000م .
- ✓ أدب الشريعة الإسلامية - دراسة جديدة في بلاغة نصوص القرآن الكريم ونصوص الأربعة عشر معصوما (عليهم السلام) : محمود البستاني ، مؤسسة السبطين العالمية ، مطبعة محمد ، الطبعة الأولى ، 1424هـ .
- ✓ الأدب تعبيره عن الوحدة والتنوع - بحوث تمهيدية : لجنة التأليف ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1987م .
- ✓ الأدب - تعريفه ، أنواعه ، مذهب : انطونيوس بطرس ، المؤسسة الحديثة ، طرابلس ، لبنان ، 2005م .
- ✓ الأدب وفنونه : محمد مندور ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة ، 1974م .
- ✓ أساس البلاغة : محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، دار الكتب المصرية ، 1953م .
- ✓ الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم من عصر علي بن أبي طالب إلى عصر ابن خلدون : كمال اليازجي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1986م .
- ✓ الأساليب الإنشائية في النحو العربي : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1399هـ - 1979م .
- ✓ أساليب البيان في القرآن : جعفر الحسيني ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، الطبعة الأولى ، 1413هـ .ق .
- ✓ أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : قيس إسماعيل الأوسي ، منشورات بيت الحكمة ، بغداد ، 1988م .
- ✓ الأسلوبية والأسلوب : عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، الطبعة الثالثة ، دت .
- ✓ أسد الغابة في معرفة الصحابة .
- ✓ أسرار البلاغة في علم البيان : عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) ، تحقيق : محمد رشيد رضا ، منشورات دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- ✓ أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم : شلتاغ عبود ، دار الرسول الأكرم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2003م .

- ✓ الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة : عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1426 هـ - 2006 م .
- ✓ الأسس الفنية للإبداع الأدبي : عبد العزيز شرف ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1413 هـ - 1993 م .
- ✓ الأسس المعنوية للأدب : عبد الفتاح ، دار المعرفة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1969 م .
- ✓ الإسلام والفن : محمود البستاني ، مجمع البحوث الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1413 هـ - 1992 م .
- ✓ الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية : أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ت .
- ✓ الأسلوب دراسة لغوية إحصائية : سعد مصلوح ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، د.ت .
- ✓ إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر : عبد الغني بارة ، مطابع الهيئة المصرية ، 2005 م .
- ✓ الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1415 هـ .
- ✓ الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس ، منشورات مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة محمد عبد الكريم حسان ، الطبعة الرابعة .
- ✓ أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم : محمد حسين الصغير ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1420 هـ - 1999 م .
- ✓ أطياف النص - دراسات في النقد الإسلامي المعاصر : محمد سالم سعد الله ، عالم الكتب الحديث ، اربد ، الطبعة الأولى ، 2007 م .
- ✓ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي ، مراجعة : نجوى عباس ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1423 هـ - 2003 م .
- ✓ الأعلام : خير الدين الزركلي (ت 1410 هـ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، 1980 م .
- ✓ أعلام نهج البلاغة : علي بن ناصر السرخسي ، تحقيق : عزيز الله العطاردي ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، الطبعة الأولى ، 1415 هـ .
- ✓ الإمام الحسين سمو المعنى في سمو الذات : عبد الله العلايلي ، مطبعة عيسى البابي ، مصر ، 1358 هـ - 1939 م .
- ✓ الإمام علي بن أبي طالب : جبران خليل جبران ، د.ط ، د.ت .
- ✓ الإمام علي بن أبي طالب إنسان المستقبل (القلب والسيوف) : زهير حسين غزاوي ، دار الهادي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1424 هـ - 2003 م .

- ✓ الإمام علي صوت العدالة الإنسانية : جورج جرداق ، تحقيق : حسن حميد السنيدي ، مطبعة ليلي ، الطبعة الأولى ، 1424 هـ .
- ✓ الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر : راجي أنور هيفا ، دار العلوم ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1426 هـ - 2005 م .
- ✓ الإمام علي في ملاحم نهج البلاغة : علي عزيز الإبراهيم ، الدار الإسلامية ، بيروت ، مكتبة السائح ، طرابلس ، الطبعة الأولى ، 1996 م .
- ✓ الإمام علي القرآن الناطق : نعمة هادي الساعدي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1426 هـ - 2006 م .
- ✓ الإمام علي ومدرسة القرآن : نعمة هادي الساعدي ، منشورات مؤسسة أم القرى ، الطبعة الثانية ، 1383 هـ - 2004 م .
- ✓ الانزياح في التراث النقدي والبلاغي : أحمد محمد وسب ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2002 م .
- ✓ الإيضاح :
- ✓ البحث الدلالي عند ابن سينا دراسة أسلوبية في ضوء اللسانيات :
- ✓ البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الفكر ، بيروت ، 2004 م .
- ✓ البرهان في وجوه البيان : أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب (ت 335 هـ) ، تحقيق : أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، منشورات جامعة بغداد ، الطبعة الأولى ، 1387 هـ - 1967 م .
- ✓ بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني : توفيق الفيل ، مكتبة الآداب ، القاهرة .
- ✓ بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم : علي أبو القاسم عون ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 2006 م .
- ✓ البلاغة العربية في ضوء الأسلوب ونظرية السياق : محمد بركات حمدي أبو علي ، دار وائل للنشر ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 2003 م .
- ✓ البلاغة الغنية : د. علي الجندي ، مطبعة نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة ، د.ت .
- ✓ البلاغة والأسلوبية : محمد عبد المطلب ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984 م .
- ✓ بنية العقل العربي - دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية : محمد عابد الجابري ، بيروت ، الطبعة السادسة ، 2000 م .
- ✓ بنية القصيدة في شعر عز الدين المناصرة : فيصل صالح القصيدي ، دار مجدلاوي ، عمان ، الأردن ، 2005 م .

- ✓ البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الخامسة ، 1985م .
- ✓ تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام : محمد حسن درويش ، مؤسسة نبع الفكر العربي للطباعة ، مصر ، 1391هـ - 1971م .
- ✓ تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي : د. شوقي ضيف ، مطبعة الرسالة ، مصر ، د.ت .
- ✓ تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : ابن أبي الأصبع المصري (ت 654هـ) ، تحقيق : حفني محمد شرف ، القاهرة ، 1383هـ .
- ✓ تذوق النص الأدبي - جماليات الأداء الفني : رجاء عيد ، دار قطري بن الفجاءة ، الدوحة ، قطر ، الطبعة الأولى ، 1414هـ - 1994م .
- ✓ تراثنا الأدبي - صور من روائعه وملاحمه : إبراهيم علي أبو الخشب ومحمد عبد المنعم خفاجي ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة .
- ✓ التصوير الجمالي في القرآن الكريم : عبد سعيد يونس ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1427هـ - 2006م .
- ✓ التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ، دار المعارف ، مصر .
- ✓ التعبير الوظيفي : مجد محمد ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 1989م .
- ✓ تقريب التهذيب : ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1415هـ .
- ✓ تكوين العقل العربي : محمد عابد الجابري ، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الثامنة ، 2002م .
- ✓ التلخيص في علوم البلاغة : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب (ت 739هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1932م .
- ✓ التوجيه الأدبي : طه حسين ، أحمد أمين ، عبد الوهاب عزام ، محمد عوض محمد ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1950م .
- ✓ التوحيد : محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي (ت 381هـ) تحقيق : هاشم الطهراني ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة ، الطبعة الثامنة ، 1423هـ .
- ✓ التوحيد : مرتضى مطهري ، ترجمة : إبراهيم الخزرجي ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1998م .
- ✓ التوحيد والشرك في القرآن الكريم : جعفر السبحاني ، دار الولاء ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1425هـ - 2004م .

- ✓ الثقافة الأدبية للطالب : د. علي جواد الطاهر ، دار الرائد العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1987م .
- ✓ الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم : حنا الفاخوري ، منشورات ذوي القربى ، مطبعة سليمان زادة ، الطبعة الثالثة ، 1427هـ .
- ✓ جدلية الخفاء والتجلي – دراسات بنيوية في الشعر : كمال أبو ديب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1979م .
- ✓ جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي : ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1980م .
- ✓ جماليات اللفظة بين السياق ونظرية النظم : علي نجيب إبراهيم ، دار كنعان ، دمشق ، الطبعة الثانية ، 2004م .
- ✓ جمالية الخبر والإنشاء – دراسة بلاغية جمالية نقدية : حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2005م .
- ✓ الجملة العربية – تأليفها وأقسامها : فاضل صالح السامرائي ، منشورات المجمع العلمي ، بغداد .
- ✓ الجملة العربية والمعنى : فاضل صالح السامرائي ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1421هـ - 2001م .
- ✓ جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب : أحمد الهاشمي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1427هـ - 2006م .
- ✓ حركة التاريخ عند الإمام علي (عليه السلام) : محمد مهدي شمس الدين ، المؤسسة الدولية ، بيروت ، 1997م .
- ✓ حفريات المعرفة : ميشيل فوكو ، ترجمة : سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1987م .
- ✓ الحكمة عند الإمام علي في نهجه : جوادي أملي ، دار الهادي ، بيروت ، 1992م .
- ✓ الحوارات الكاملة : أدو نيس ، دار الطليعة الجديد ، دمشق ، سوريا ، الطبعة الأولى ، 2005م .
- ✓ الحوار القصصي – تقنيات وعلاقات السردية : فاتح عبد السلام ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1996م .
- ✓ خصائص الأئمة : الشريف الرضي (ت 406هـ) ، تحقيق : محمد هادي الأميني ، منشورات مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد ، إيران ، 1406هـ .
- ✓ الخطابة العربية في عصرها الذهبي : إحسان النص ، دار المعارف ، القاهرة ، 1963م .
- ✓ الخطابة في صدر الإسلام : محمد طاهر درويش ، دار المعارف ، مصر ، 1967م .

- ✓ الخلاصة النحوية : تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1425 هـ - 2005 م .
- ✓ خوارق اللاشعور أو أسرار الشخصية الناجحة : علي الوردي ، منشورات مؤسسة الصادق ، مطبعة أسوة ، إيران ، الطبعة الأولى .
- ✓ الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريرية - قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر - مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية : د. عبد الله محمد الغدامي ، النادي الأدبي الثقافي ، المملكة العربية السعودية ، 1405 هـ - 1985 م .
- ✓ دراسات في نهج البلاغة : محمد مهدي شمس الدين ، المؤسسة الدولية ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، 1422 هـ - 2001 م .
- ✓ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : د. حسام سعيد النعيمي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، دار الطليعة ، بيروت ، 1980 م .
- ✓ الدراسة الأدبية - النظرية والتطبيق نصوص قرآنية : عبد السلام أحمد الراغب ، دار الرفاعي ، دار القلم العربي ، حلب ، سوريا ، الطبعة الأولى ، 1425 هـ - 2005 م .
- ✓ دفاع عن فن القول : عبد الكريم غلاب ، الدار العربية للكتاب ، مطابع دار القلم ، تونس ، 1984 م .
- ✓ دلائل الإعجاز في علم المعاني : عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) ، تحقيق : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، 1978 م .
- ✓ دلالة الألفاظ : إبراهيم أنيس ، مطبعة لجنة البيان العربي ، الطبعة الثانية ، 1963 م .
- ✓ دينامية النص - تنظيم وإنجاز : محمد مفتاح ، الدار البيضاء ، المغرب ، الطبعة الثالثة ، 2006 م .
- ✓ ديوان دريد ابن الصمة : جمع وتحقيق محمد خير البقاعي ، دار قتيبه دمشق سوريه ، 1981 م .
- ✓ الرسائل السياسية بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية - دراسة وتحليل : عبد الرضا الزبيدي ، مطبعة أمير ، الطبعة الأولى ، 1379 هـ - 2000 م .
- ✓ الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي : غانم جواد رضا ، منشورات جامعة بغداد ، العراق ، 1976 م .
- ✓ روائع البيان في خطاب الإمام - الجوانب البلاغية واللغوية في بيان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رمضان عبد الهادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1423 هـ - 2002 م .
- ✓ روح الإيمان في نفس الإنسان : محمد الأمين

- ✓ سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) ، تحقيق : عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، الأزهر ، 1389هـ - 1969م .
- ✓ شرح أشعار الهذليين : الحسن بن الحسين السكري ، برواية أبي الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي ، تحقيق : احمد عبد الستار فراج ، مكتبة دار العروبة ، د.ت .
- ✓ شرح نهج البلاغة : عباس علي الموسوي ، دار الرسول الأكرم ، دار المحجة البيضاء ، الطبعة الأولى ، 1998م .
- ✓ شرح نهج البلاغة : عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة المدائني الشهير بابن أبي الحديد المعتزلي (ت 656هـ) ، تقديم وتعليق : حسين الاعلمي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1425هـ - 2004م .
- ✓ الصاجي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : أحمد بن فارس ، تعليق : أحمد حسن بسج ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1997م .
- ✓ صوت الإمام علي (ع) في نهج البلاغة : حسن علي القبانجي النجفي ، مؤسسة إحياء التراث الشيعي ، مطبعة نقارش ، النجف الأشرف ، الطبعة الأولى .
- ✓ الصورة الأدبية في القرآن الكريم : صلاح الدين عبد التواب ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، دار نوبار ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1995م .
- ✓ الصورة الفنية في المثل القرآني : محمد حسين الصغير ، دار الهادي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1992م .
- ✓ الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق : حفني محمد شرف ، نهضة مصر للطبع ، الطبعة الأولى ، 1385هـ - 1965م .
- ✓ الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث : بشرى موسى صالح ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1994م .
- ✓ الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهاجاً وتطبيقاً : أحمد علي دهان ، الطبعة الثالثة ، دمشق ، 2000م .
- ✓ الطبقات الكبرى : ابن سعد (ت 230هـ) ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .
- ✓ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني (ت 749هـ) ، تحقيق : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1415هـ - 1995م .
- ✓ عبقرية الإمام علي : عباس محمود العقاد ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بغداد .

- ✓ العزلة والمجتمع : نيقولاى برديائف ، ترجمة : فؤاد كامل ، مراجعة : علي أدهم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، الطبعة الثانية ، 1986م .
- ✓ عصر القرآن : محمد مهدي البصير ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، 1410هـ - 1990م .
- ✓ العقد الفريد : أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ) ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، مطبعة الأستانة ، القاهرة ، 1359هـ - 1940م .
- ✓ علم الأصوات : كمال بشر ، دار غريب ، القاهرة ، 2000م .
- ✓ علم البديع : د. عبد العزيز عتيق ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، مصر ، 1424هـ - 2004م .
- ✓ علم اللغة : د. حاتم الضامن ، منشورات وزارة التعليم العالي ، جامعة بغداد ، مطبعة الموصل ، 1989م .
- ✓ علم اللغة التوحيدي بين النظرية والتطبيق : محمد علي الحسيني ، مؤسسة التوحيد ، إيران ، الطبعة الأولى ، 1417هـ - 1997م .
- ✓ علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1420هـ - 2000م .
- ✓ علوم نهج البلاغة : محسن باقر الموسوي ، دار العلوم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1423هـ - 2003م .
- ✓ علي نبراس ومتراس : سليمان كتاني ، مطبعة الأزهر ، بغداد ، الطبعة الثانية ، 1967م .
- ✓ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني (ت 456هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1353هـ - 1934م .
- ✓ عمدة صحاح الأخيار في مناقب إمام الأبرار : يحيى بن الحسن الحلبي المعروف بابن البطريق (ت 600هـ) ، تحقيق : مالك المحمودي وإبراهيم البهادري ، بإشراف جعفر السبحاني ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، الطبعة الأولى ، 1407هـ .
- ✓ غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي : صبحية عودة زعرب ، دار مجدلاوي ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 1426هـ - 2006م .
- ✓ الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري (ت 395هـ) ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة ، الطبعة الأولى ، 1412هـ .
- ✓ فقه اللغة وسر العربية : أبو منصور الثعالبي ، (ت 429هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2002م .

- ✓ فلسفات إسلامية : محمد جواد مغنية ، دار الهلال ، بيروت ، الطبعة السادسة ، 1993م .
- ✓ فلسفة الحياة بين النزعة المادية والمنظومة الوجودية : جعفر حسن ، دار الهادي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1427هـ - 2006م .
- ✓ فن الجناس - بلاغة ، أدب ، نقد : علي الجندي ، دار الفكر العربي ، مطبعة الاعتماد ، مصر ، د.ت .
- ✓ فن الخطابة والتبليغ الإسلامي : شمران العجلي ، مؤسسة البلاغ للطباعة ، سوريا ، الطبعة الأولى ، 1424هـ - 2004م .
- ✓ فن الخطابة وتطوره عند العرب : إيليا الحاوي ، دار الثقافة ، بيروت .
- ✓ الفن والأدب بحث جمالي في الأنواع والمدارس الأدبية والفنية : ميشال عاصي ، المكتب التجاري ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1970م .
- ✓ في البحث الصوتي عند العرب : خليل إبراهيم العطية ، منشورات دار الجاحظ ، بغداد ، العراق ، 1403هـ - 1983م .
- ✓ في رحاب نهج البلاغة : مرتضى مطهري ، الدار الإسلامية ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1424هـ - 2003م .
- ✓ في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد : محمد جواد مغنية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1978م .
- ✓ في قراءة النص : قاسم المومني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1999م .
- ✓ القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : محمود البستاني ، مجمع البحوث الإسلامي ، مشهد ، إيران ، الطبعة الأولى ، 1414هـ .
- ✓ قواعد النقد الأدبي : لاسل ابركرمي ، ترجمة : محمد عوض محمد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثالثة ، 1954م .
- ✓ الكتاب : سيبويه (ت 180) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، منشورات مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1408هـ - 1988م .
- ✓ كتاب الخطابة : أرسطو طاليس ، ترجمة وتحقيق : إبراهيم سلامة ، منشورات مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، الطبعة الثانية ، 1372هـ - 1953م .
- ✓ كتاب الصناعتين - الكتابة والشعر : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت 395هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1998م .
- ✓ الكتابة والتناسخ مفهوم المؤلف في الثقافة العربية : عبد الفتاح كليطو ، ترجمة : عبد السلام بنعبد العالي ، دار التنوير ، بيروت ، الدار البيضاء ، المغرب ، الطبعة الأولى ، 1985م .

- ✓ كشف اصطلاحات الفنون : محمد علي التهانوي (ت1158هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1998م .
- ✓ الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ) ، تصحيح : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2003م .
- ✓ لسان العرب : ابن منظور (ت 711 هـ) ، تحقيق : أمين محمود عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1999م .
- ✓ لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب : محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى ، 1991م .
- ✓ لغة الشعر بين جيلين : د. إبراهيم السامرائي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1980م .
- ✓ اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي – تلازم التراث والمعاصرة : د. محمد رضا مبارك ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، 1993م .
- ✓ مبادئ النقد الأدبي : إ. إ. ريتشاردز ، ترجمة وتقديم : مصطفى بدوي ، مراجعة : لويس عوض ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة .
- ✓ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير (ت 637 هـ) ، تحقيق : د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطبع ، الفجالة ، القاهرة .
- ✓ مجمع البحرين : فخر الدين الطريحي (ت 1085 هـ) ، تحقيق : أحمد الحسيني ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، الطبعة الثانية ، 1408هـ .
- ✓ مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر الرازي (ت 666 هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1981م .
- ✓ مختصر المعاني : سعد الدين التفتازاني (ت 792 هـ) ، منشورات دار الفكر ، قم ، إيران ، الطبعة الأولى ، 1411هـ.ق .
- ✓ مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع : فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، 1987م .
- ✓ المدخل إلى علم أصوات العربية : غانم قدوري حمد ، منشورات المجمع العلمي ، مطبعة المجمع العلمي ، 1423هـ - 2002م .
- ✓ مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص : زتسيسلاف واورزنباك ، ترجمة وتعليق : سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1424هـ - 2003م .
- ✓ المدخل إلى علوم نهج البلاغة : محسن باقر الموسوي ، دار العلوم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1423هـ - 2002م .

- ✓ مدخل إلى النقد الأدبي الحديث : شلتاغ عبود شراد ، دار مجدلاوي للنشر ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 1419 هـ - 1998 م .
- ✓ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : عبد الله الطيب المجنوب ، مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1374 هـ - 1955 م .
- ✓ المزهر في علوم اللغة وأنواعها : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) ، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر .
- ✓ مشاهير علماء الأمصار : أبو حاتم محمد بن حبان اليميني (ت 354 هـ) ، تحقيق : مرزوق علي إبراهيم ، دار الوفاء ، الطبعة الأولى ، 1411 هـ .
- ✓ المعجم الأدبي : جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1979 م .
- ✓ معجم البلدان : ياقوت الحموي (ت 626 هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1399 هـ - 1979 م .
- ✓ معجم علوم العربية : محمد التونجي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2003 م .
- ✓ معجم قبائل العرب : عمر كحالة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1388 هـ - 1968 م .
- ✓ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت 487 هـ) ، تحقيق : مصطفى السقا ، منشورات عالم الكتب بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1403 هـ .
- ✓ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : د. أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1403 هـ - 1983 م .
- ✓ المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني : إنعام فوال عكاوي ، مراجعة : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1417 هـ - 1996 م .
- ✓ معجم مقاييس اللغة : أبو الحسن أحمد بن فارس (ت 395 هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الدار الإسلامية ، 1990 م .
- ✓ المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، تركيا ، الطبعة الثانية ، 1989 م .
- ✓ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري (ت 761 هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1405 هـ .
- ✓ المفاهيم معالم - نحو تأويل واقعي : محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1999 م .

- ✓ المقاربة التداولية : فرانسواز أرمينكو ، ترجمة : سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي .
- ✓ مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب : محمد يونس علي ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 2004م .
- ✓ مقدمة في النقد الأدبي : علي جواد الطاهر ، منشورات المكتبة العالمية ، بغداد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1983م .
- ✓ مناقب آل أبي طالب : ابن شهر آشوب (ت 588هـ) ، تحقيق : لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، مطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، 1376هـ - 1956م .
- ✓ المنطق : محمد رضا المظفر ، مؤسسة إشارات ، دار العلم ، قم .
- ✓ منهاج البلغاء وسراج الأدباء : أبو الحسن حازم القرطاجني (ت 684هـ) ، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الكتب الشرقية .
- ✓ منهاج الحدائث لنهج البلاغة : عبد العزيز عبد الله الحبيب ، د.ط ، د.ت .
- ✓ منهج الإمام السجاد في التوحيد والسلوك والتربية : شلتاغ عبود ، دار الهادي ، بيروت ، الطبعة الأولى 1423هـ - 2002م .
- ✓ الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية : محمد العمري ، منشورات سال ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1991م .
- ✓ ميزان الاعتدال في نقد الرجال : محمد بن أحمد الذهبي (ت 748هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت .
- ✓ نحو الفعل : أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1394هـ - 1974م .
- ✓ نحو منهج جديد في البلاغة والنقد - دراسة وتطبيق : سناء حميد البياتي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، الطبعة الأولى ، 1998م .
- ✓ نزهة الألباء في طبقات الأدباء : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري (ت 577هـ) ، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن ، الطبعة الثالثة ، 1405هـ - 1985م .
- ✓ نصوص بلاغية من مباحث البيان والبديع : عبد الحكيم راضي ، مكتبة الآداب ، الطبعة الثانية ، 2005م .
- ✓ نظام الخطاب وإرادة المعرفة : مشيل فوكو ، ترجمة : أحمد السلطاني وعبد السلام بنعبد العالي .

- ✓ نظرية الأدب : رينيه ويليك ، وأوستن وارين ، ترجمة : محي الدين صبيح ، مراجعة : حسام الخطيب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان .
- ✓ النظرية اللغوية العربية الحديثة : جعفر دك الباب ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1996م .
- ✓ نفحات الولاية – شرح عصري جامع لنهج البلاغة : ناصر مكارم الشيرازي ، الطبعة الثانية ، 1426هـ .
- ✓ النقد الأدبي أصوله ومناهجه : سيد قطب ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ، 1954م .
- ✓ النقد الأدبي الحديث : محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر ، د.ت .
- ✓ النقد الجمالي وأثره في النقد العربي : روز غريب ، دار العلم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1952م .
- ✓ نقد النقد : تزفيتان تودورف ، ترجمة : سامي سويدان ، مراجعة : ليليان سويدان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الأعظمية ، بغداد ، الطبعة الثانية ، 1986م .
- ✓ النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (ت 606هـ) ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطفاحي ، مؤسسة إسماعيليان ، قم ، الطبعة الرابعة ، 1364ش .
- ✓ نهج البلاغة : صبحي الصالح ، منشورات أنوار الهدى ، قم ، إيران ، مطبعة رسول ، الطبعة الأولى ، 1426هـ .
- ✓ نهج البلاغة : محمد عبده ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1424هـ - 2003م .

ثانياً : الرسائل والأطاريح

- ✓ أدب الإمام الحسين (عليه السلام) : قضاياها الفنية والمعنوية (رسالة ماجستير) : موسى خابط عبود ، كلية التربية ، جامعة بابل ، 1439 هـ - 2008 م .
- ✓ أساليب الطلب في نهج البلاغة (رسالة ماجستير) : عدوية عبد الجبار كريم الشرع ، كلية التربية ، جامعة بابل ، 1421 هـ - 2000 م .
- ✓ تحولات بنى الخطاب القرآني في مشاهد القيامة والقص - دراسة أسلوبية (أطروحة دكتوراه) : بلقيس كولي محمد الخفاجي ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، 1426 هـ - 2005 م .
- ✓ الترغيب والترهيب في القرآن الكريم - دراسة بلاغية (رسالة ماجستير) : موسى سلوم الربيعي ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، 1998 م .
- ✓ التصوير الفني في خطب الإمام علي (ع) (رسالة ماجستير) : عباس علي حسن الفحام ، كلية القائد للتربية للبنات ، جامعة الكوفة ، 1420 هـ - 1999 م .
- ✓ التطور الدلالي في النص القرآني - دراسة بلاغية (أطروحة دكتوراه) : جنان منصور الجبوري ، كلية التربية ، ابن رشد ، 1426 هـ - 2005 م .
- ✓ جمالية الخطاب القرآني - دراسة في صورة الآخر (أطروحة دكتوراه) : حسين عبيد شراد الشمري ، كلية الآداب ، جامعة القادسية ، 1428 هـ - 2007 م .
- ✓ الجملة الخبرية في نهج البلاغة - دراسة نحوية (رسالة ماجستير) : علي عبد الفتاح محيي الشمري ، كلية التربية ، جامعة بابل ، 1421 هـ - 2001 م .
- ✓ الخطاب الإلهي (ص) في السورة المدنية - مضامينه وأساليبه البلاغية (رسالة ماجستير) : عمر خليل الهاشمي ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، 2005 م .
- ✓ الخطاب القرآني للأنبياء والرسل - دراسة فنية (أطروحة دكتوراه) : نبيلة عبد المحسن حسن ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، 1422 هـ - 2001 م .
- ✓ خطب نهج البلاغة - دراسة توصيلية (رسالة ماجستير) : فائق فاضل العبيدي ، كلية التربية ، جامعة بابل ، 1426 هـ - 2005 م .
- ✓ دعاء الإمام علي (عليه السلام) - دراسة نحوية أسلوبية : محمد إسماعيل عبد الله ، كلية التربية ، جامعة بابل ، 2005 م .
- ✓ دلالة الترغيب والترهيب اللغوية في القرآن الكريم (رسالة ماجستير) : أحمد كاظم عماش ، كلية التربية ، جامعة بابل ، 1428 هـ - 2007 م .
- ✓ الدلالة الصوتية في القرآن الكريم (رسالة ماجستير) : كريم مزعل اللامي ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، 1997 م .
- ✓ رسائل الإمام علي - دراسة بنيوية تكوينية (رسالة ماجستير) : عهود ثعبان يوسف الأسدي ، كلية التربية ، جامعة بابل ، 1439 هـ - 2008 م .
- ✓ رسائل الإمام علي (عليه السلام) - دراسة فنية (رسالة ماجستير) : كامل حسن البصير ، جامعة بغداد ، 1385 هـ - 1965 م .

- ✓ شعر السجون في الشعر العربي – دراسة موضوعية وفنية (أطروحة دكتوراه) : أمل عبد الجبار كريم الشرع ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، 1427هـ - 2006م .
- ✓ الصورة البيانية في شعر أبي بكر الصنوبري (رسالة ماجستير) : أمل عبد الجبار كريم الشرع ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، 1415هـ - 1994م .
- ✓ الصورة السمعية ودلالاتها البلاغية في القرآن الكريم (أطروحة دكتوراه) : عباس حميد السامرائي ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، 1422هـ - 2001م .
- ✓ المناجيات وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين (ع) – دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير) : إدريس طارق حسن ، كلية التربية ، جامعة بابل ، 1427هـ - 2006م .
- ✓ نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث (رسالة ماجستير) : سحر كاظم حمزة ، كلية التربية ، جامعة بابل ، 1424هـ - 2003م .

ثالثاً : الدوريات :

- ✓ الأسس الجمالية في خطبة الجهاد للإمام علي بن أبي طالب (ع) : د. فليح كريم خضير الركابي ، مجلة الطليعة الأدبية ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ع3 ، 1999م .
- ✓ أوجه البلاغة الثلاثة – مبدأ المطابقة في الفكر البلاغي والنقدي عند العرب : ناصر حلاوي ، مجلة أقلام ، ع11 و ع12 ، س27 ، 1992م .
- ✓ الخطاب الثقافي بين المثالية والواقعية : مصطفى السادة ، منشورات المستقبل ، مجلة النبأ ، ع51 ، س6 ، 1421هـ - 2000م .
- ✓ الخطاب العلماني العربي المعاصر – تأريخه وبنيته الموضوعية : عبد الأمير زاهد ، مجلة المنهاج ، ع27 ، س7 ، 2002م .
- ✓ رومانسية الأسلوب – دراسة نصية أسلوبية لآثار قصصية ومسرحية : هند حسين طه ، مجلة آداب المستنصرية ، الجامعة المستنصرية ، ع18 و ع19 ، 1411هـ - 1990م .
- ✓ شعرية النثر في صدر الإسلام – خطبة الإمام علي (عليه السلام) مثالا : د. عباس محمد رضا حسن ، مجلة اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب ، جامعة القادسية ، ع2 ، 2002م .
- ✓ الصورة الفنية في كلام الإمام علي (ع) نهج البلاغة نموذجاً : خالد محيي الدين البرادعي ، مجلة المنهاج ، إيران ، ع5 ، س2 ، 1417هـ - 1997م .
- ✓ فروق دلالية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : هادي عبد علي هويدي ، مؤسسة النبراس النجف الأشرف ، مجلة المبين ، ع2 ، 2005م .
- ✓ الكلمات القصار : عبد الكريم الاشر ، مجلة المعرفة ، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، ع510 ، س45 ، 1427هـ - 2006م .
- ✓ مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه : د. كريم حسين ناصح ، مجلة المورد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، المجلد الثلاثون ، ع3 ، 1423هـ - 2002م .

الفصل الثاني : الصورة حدها وعناصرها ووسائلها :

أولاً : حد الصورة وعناصرها :

إنَّ الوظيفةَ التعبيريةَ عن الأفكار في الأدب لا تنتهي عند توظيف المستوى اللغوي ، بل يضافُ إلى ذلك عناصر أخرى ويكملُ بها الأداء الفني التي يشعُّها تعانقُ اللفظ مع المعنى ، ومن هذه العناصر الصورة⁽¹⁾.

تنبؤاً الصورةُ قيمةً عليا على مستوى النص الأدبي ، إذ تناولها القدماء من خلال حديثهم عن الشعر معبرين عن معناه وما للصورة من أثرٍ في تركيبه إذ هو ((جنس من التصوير))⁽²⁾ ، ويعدّ الجاحظُ هو أول من استخدم مصطلح الصورة في مجال الأدب⁽³⁾.

وتُعد الصورة في اصطلاح المحدثين ((مجموعة العلاقات اللغوية والبيانية والإيحائية القائمة بين اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون وعلى هذا فالصورة أداةٌ فنيةٌ لاستيعاب أبعاد الشكل والمضمون بمالها من مميزات وما بينها من وشائج تجعل الفصلَ بينهما مستحيلاً))⁽⁴⁾ ، إذ تساعدُ الصورةُ على ((رسم ملامح النص لتجعله أكثر بهاءً وصفاءً في ذهنية المتلقي))⁽⁵⁾.

وقد وظف القرآن الكريم أسلوب التصوير لما له من أثرٍ بالغ في النفوس إذ هو ((الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يُعبّرُ بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحس والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني ، والطبيعة البشرية ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمُها فيمنحُها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد وإذا النموذج الإنساني شاخص حي))⁽⁶⁾ وذلك ((لخلق أقوى تأثير ممكن))⁽⁷⁾ ، فهي عبارة عن خلقٍ جديد من خلال استغلال كلِّ الطاقات اللغوية وإعادة تشكيلها⁽⁸⁾.

(1)- ينظر : النقد الأدبي أصوله ومناهجه : سيد قطب ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ، 1954م : 32 .

(2)- الحيوان : 3 / 132 .

(3)- ينظر : الصورة الفنية في المثل القرآني ، دار الهادي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1992م : 21 .

(4)- م . ن . 36 .

(5)- جمالية الخطاب القرآني دراسة في صورة الآخر (أطروحة دكتوراه) : حسين عبيد شراد الشمري : 182 ، كلية الآداب ، جامعة القادسية ، 1428 هـ - 2007 م .

(6)- التصوير الفني في القرآن : سيد قطب : 34 .

(7)- نقد النقد : تزفيتان تودوروف ، ترجمة : سامي سويدان ، مراجعة : ليليان سويدان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الأعظمية ، بغداد ، الطبعة الثانية ، 1986 : 32 .

(8)- ينظر : التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام) (رسالة ماجستير) : عباس علي حسن الفحام ، كلية القائد للتربية للبنات ، جامعة الكوفة ، 1420 هـ - 1999 م : 164 .

وفي خطاب نهج البلاغة وظفت الصورة من الإمام علي (عليه السلام) إذ استطاع أن يخلق صوراً فنية متميزة ومعبرة عن رؤيته المتفردة من خلال كسر التوقع وتحقيق الإثارة مضافاً ((معنى على الأشياء لا تمتلكه في ذاتها))⁽¹⁾.

إما بالنسبة لعناصر الصورة فهي تتمثل في الخيال والعاطفة والإيحاء فالخيال عنصر مهم من عناصر بلاء الصورة إذ هو ((ملكة من ملكات العقل بها تُمدّل أشياء غائبة كأنها ماثلة حقاً لشعورنا))⁽²⁾ ، فعن طريقه - أي الخيال - يتمكن الأدباء من تأليف صورهم⁽³⁾ ، فهو يساعده على التشكيل الجديد للواقع الخارجي في النص الأدبي⁽⁴⁾ ، محققاً الترابط والاتساق بين الأشياء المتنافرة التي لا رابط بينها في الواقع.

فوظيفة الخيال تكمن في إعادة ((خلق الأشياء المتعارف عليها خلقاً جديداً ويبنى عالماً متميزاً في جدته وتركيبه يجمع بين الأشياء المتنافرة في علاقات فريدة تذيب التنافر والتباعد وتخلق الانسجام والوحدة))⁽⁵⁾ ، فالصورة لا تقوم إلا على الخيال الذي هو منبعها إذ من دونه تفقد الصورة فنيهاً لأنه ((لغة العاطفة ووسيلة تصويرها من ناحية الأديب))⁽⁶⁾.

وفي خطاب نهج البلاغة نلمح في صورته خيالاً خلافاً يلتقط العلاقات بين الأشياء ويصورها تصويراً دقيقاً يضفي عليه سمة الإحساس بالجمال وإدراكه ، إذ يرسم الإمام علي (عليه السلام) صوراً سامية نتيجة لسمو خياله⁽⁷⁾. نحو قوله (عليه السلام) ((ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال ، وضحكت عنه أصداف البحار من فلز اللجين ، والعقيان ، ونثاره الدر وحصيد المرجان ، ما أثر ذلك في جوده ، ولا أفد سعة ما عنده ، ولكان عنده في ذخائر الأنعام ما لا تنفذه مطالب الأنام))⁽⁸⁾.

(1)- الصورة الشعرية في النقد الأدبي الحديث : 126 .

(2)- المعجم الأدبي : جبور عبد النور : 106 .

(3)- ينظر: الصورة البلاغية عند عبد القاهر منهجاً وتطبيقاً : احمد علي دهمان ، الطبعة الثانية ، دمشق ، 2000 م : 145 .

(4)- ينظر : الصورة البيانية في شعر أبي بكر الصنوبري (رسالة ماجستير) : أمل عبد الجبار الشرع كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، 1415 - 1994 م : 39 .

(5)- نحو منهج جديد في البلاغة والنقد : 263 .

(6)- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية : احمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة : 45 .

(7)- ينظر : تراثنا الأدبي صور من روائعه وملامحه : 98 .

(8)- نهج البلاغة : 149 - 150 .

إما العاطفة فإنها العنصر الثاني من عناصر بناء الصورة إذ هي ((عنصرٌ أسلوبِي يُحَسِّدُون أَنْ يَشْرَحَ أَوْ يَعْضِضَ عَرْضاً مُبَاشِراً صَرِيحاً))⁽¹⁾ ، فوظيفة العاطفة تكمن في أنها تمنح الخيال النشاط والحيوية وتجعله قادراً على ((استجلاء روح الأشياء وحقائقها والنفوذ في أعماقها))⁽²⁾ ، فإذا كان الخيال العنصر الأساس في بناء الصورة فإن العاطفة هي العنصر الذي يزيد من فاعليتها وحيويتها واستمرارها .

ويمكن اعتماد مقاييس يستعان بها في نقد العاطفة الأدبية منها :

1- صدق العاطفة وصحتها .

2- ثبات العاطفة واستمرارها .

3- قوة العاطفة وروعيتها .

فالعاطفة المؤثرة في النفوس لا بد أن تكون صادقة نابعة من أعماق الذات ، وأما العواطف الزائفة فإنها سرعان ما تزول ، إذ إن العاطفة المؤثرة يستمر نفوذها ويتجدد باستمرار لصدقها وإيمان صاحبها بها⁽³⁾ .

إن المتأمل للصورة في خطاب نهج البلاغة يحس بالعاطفة وصدقها وقوتها تنبع من بين كلماته وتتجلى لنا في أبهى صورها منبثقة من أعماق ذات الإمام علي (عليه السلام) مفعمة بالإحساس فلا تك أدخلو خطبة أو رسالة أو وصية أو حكمة منها ، إذ أنها توحى لنا بمشاعر فياضة تعبر عن موقف الإمام (عليه السلام) ، إذ تبعث لنا عالماً من الأفكار ، وفي هذا - من دون أدنى شك - دلالة على مدى صدق التجربة الشعورية التي عاشها الإمام علي (عليه السلام) ، كما في قوله: ((لا

تكونن عليهم سباً ضارياً تعشر أكلهم ، فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين ، أو نظير لك في الخلق))⁽⁴⁾ .

وإما الإيحاء فأنه ((شعورٌ يبعثه الأثر الفني فيمن يطلّع عليه))⁽⁵⁾ ، فيتفاعل مع عنصري الخيال والعاطفة في الموضوع المُعبر عنه لتشكيل صورة موحية إذ يرتبط بالحالة النفسية للمتلقى عند قراءته للأثر الأدبي ومدى ما توحى به الصورة من دلالات لم تقف عند المعنى الظاهري للفظ وإنما تتعداه إلى معنى آخر نستشفه من سياق الخطاب الذي ترد فيه .

(1) - الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية : 45 .

(2) - نحو منهج جديد في البلاغة والنقد : 269 .

(3) - ينظر : أصول النقد الأدبي ، ونحو منهج جديد في البلاغة والنقد : 271 .

(4) - نهج البلاغة : 545 .

(5) - المعجم الأدبي : 43 .

فالصورة الموحية ((تحفز ذهن المتلقي وإحساساته وتجعلها في حركة ونشاط دائبين ، وبذلك تحقق له متعة نفسية ومتعة ذهنية وتحمله إلى أجواء خيالية تبعده عن واقعه وتنتقل به إلى عالم أقرب ما يكون إلى الأحكام وكلما تأمل المتلقي ذو الحس المرفه الصورة وجد فيها ظلالاً جديدة))⁽¹⁾.

فالإيحاء يشحن الصور بدلالات متنوعة مفعمة بالتأثيرات ، لأنها لا تعطي المعاني الظاهرة وإنما تغوص إلى الأعماق وتتغلغل فيها لتعطي شتى التداعيات التي تُخلق في سماء الخيال لتبعث صوراً متحركة تشع بالعطاء والحياة⁽²⁾.

ونلاحظ في خطاب الإمام علي (عليه السلام) إحياء مكثفاً توحى به صورته مما يحقق لها الاستمرار ، إذ إن طبيعة الإمام علي (عليه السلام) ((الشعرية كثيراً ما تُخلق به في جو الخيال والشعر ، وتسبغ على نصائحه ومواعظه وآرائه في الدين والسياسة والاجتماع ألواناً مختلفة من الجمال تخلق منها صوراً بيانية رائعة))⁽³⁾.

فنلمس في خطاب نهج البلاغة صوراً قد رسمت بريشة الإمام علي (عليه السلام) بشكل إبداعي خلاق ، فغدت صورة معبرة عن أغراضه خير تعبير ومؤدية المعنى المطلوب على وفق رؤية الإمام علي (عليه السلام) المتفردة عبر وسائل التشبيه والاستعارة والكناية .

ثانياً : وسائل التصوير في خطاب نهج البلاغة :

1- التشبيه : يُعد التشبيه لوناً من ألوان التعبير الأدبي ، فهو بداية الألوان البلاغية ذات الصبغة الفنية⁽⁴⁾ ، فهو من ((أشرف كلام العرب ، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم))⁽⁵⁾ ، إذ يعرف بأنه ((صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته))⁽⁶⁾ ، وذلك يبنى على المغايرة .

(1)- نحو منهج جديد في البلاغة والنقد : 278 .

(2)- ينظر : م ، ن ، 275 .

(3)- عصر القرآن : محمد مهدي البصير ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط4 ، 1990م : 34 .

(4)- ينظر : البلاغة العربية في ضوء الأسلوب ونظرية السياق : محمد بركات حمدي أبو علي ، دار وائل للنشر ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 2003 م : 95 .

(5)- البرهان في وجوه البيان : إسحاق بن وهب الكاتب ، تحقيق : د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي ، منشورات جامعة بغداد ، الطبعة الأولى ، 1387 هـ - 1967 م : 130 .

(6)- العمدة : ابن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي ، الطبعة الأولى ، 1353 هـ - 1934 م : 241/1 ، وينظر : التلخيص في علوم البلاغة : جلال

وسر جمال الصورة التشبيهية يكمن في نقل ((المعنى الذهني إلى هيئة أو حركة تجسمها الحالة النفسانية الشعورية في لوحة أو مشهد))⁽¹⁾ ، لذا نجد في خطاب نهج البلاغة إن للتشبيه مكانة مهمة لما له من أثر في تصوير المعنى فهو شكل يعبر عن الخلق الفني المنبثق من رؤية المبدع وإحساسه بوجود تماثل بين الأشياء معبراً من خلاله عن موقفه⁽²⁾، من ذلك ما ورد في قوله (عليه السلام) : ((ألا إن مثل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم كمثل نجوم السماء . إذا خوى نجمٌ طلع نجم))⁽³⁾.

ففي هذا الخطاب الخبري المؤكد قد صور لنا الإمام (عليه السلام) من خلال وسيلة التشبيه بان آل محمد كالنجوم لما بينهما من وجه الشبه الذي هو الاهتداء والخلود ، فكلما مات إمام أقام الله إماماً بعده ؛ لأنهم هداية لأهل الأرض إلى الحق والصواب .

ومنه أيضاً ما ورد في قوله (عليه السلام) ((محلي منها محل القطب من الرحا))⁽⁴⁾ ، إذ شبه مكانه من الخلافة بمكان القطب وهو المركز من الرحا فهو يجمع الأحوال المتفرقة ، مراعيّاً نظام أمور الناس كقطب الرحا وهو يراعي نظام الدوران ، راسماً الإمام لنا من خلال التشبيه الصورة المحورية أو المركزية الموازنة بين الأطراف⁽⁵⁾.

ومنه ما ورد في قوله (عليه السلام) في حكمته : ((الحلم غطاء ساتر ،

والعقل حسام قاطع ، فاسن خلل خلقتك بحلمك ، وقا تل هو اك بع))⁽⁶⁾ ، إذ شبه الإمام الحلم بالغطاء ، والعقل بالحسام من باب تشبيه العقلي بالحسي ، فدور هذه الصورة هو ((تمثيل المعاني المعقولة محسوسة ، حيث تؤدي وظيفتها في تحريك النفس وتوضيح المعنى بعد نقله إلى العيان حياً))⁽⁷⁾ فالإمام علي (عليه السلام) حاول تقريب هذه المعاني إلى النفوس وسرعة إدراكها لأن الإنسان يتمثل الحسيات ، بأقوى مما يتمثل العقليات لتقدمها في مدركاته ، وشدة ألف النفس لها⁽⁸⁾ ، ومنه أيضاً

الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب ، تحقيق : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1932 : 238 .

(1) - أدب الإمام الحسين : 236 .

(2) - ينظر : نحو منهج جديد في البلاغة والنقد : 282 .

(3) - نهج البلاغة : 182 .

(4) - نهج البلاغة : 28 .

(5) - ينظر : أساليب البيان في القرآن : جعفر الحسيني ، وزارة الثقافة والإرشاد الاسلامي ، الطبعة الأولى ، 1413 هـ ، ق : 263 .

(6) - نهج البلاغة : 687 .

(7) - أساليب البيان في القرآن : 280 .

(8) - ينظر : أسرار البلاغة : 281 .

ما ورد في خطبته يصف ما يؤول إليه حال الناس: ((فنن كقطع الليل المظلم))⁽¹⁾، إذ شبهه الفتن بقطع الليل من حيث الظلمة والكثرة ، لان ((صاحب الفتنة كمن دخل في خضم الظلام المدهم))⁽²⁾ مجسداً فيه مظاهر القدرة الإلهية التي تتحكم في مجريات الوجود . وقوله (عليه السلام) في حكمته: ((كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ لَا ظَهَرَ فِيْكَ بَوْلٌ وَلَا ضَرَعٌ فِيْكَ حَلْبٌ))⁽³⁾.

فقد شبه الإمام الإنسان بابل اللبون في حال الفتنة ، لأن ((الفتن إذ تلبس الإنسان بها ووقع في غمرتها كأن أدعى للهلاك وأقرب إلى تورط النفوس وإما إذا قطع أو أصره معها فذلك ادعى للسلامة وأقرب إلى الخلاص منها))⁽⁴⁾.

ففي هذه النصوص المتقدمة قد قرب الإمام المعنى من خلال تشبيهه المعنوي بالحسي فازداد وضوحاً ورسوخاً .

وقوله (عليه السلام): ((مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها ، قاتل سُمها))⁽⁵⁾. فقد شبه الإمام (عليه السلام) الدنيا بالحية لأن مظهرها يعجب لكنها تغدر بالإنسان ((ليحذر الإنسان من الاندفاع من أجلها وليحذر المهالك))⁽⁶⁾.

وفي قوله (عليه السلام) في خطبة له يحث أصحابه على الجهاد في سبيل الله: ((الرائح إلى الله كالظمان يرد الماء))⁽⁷⁾ فقد شبه المجاهد في سبيل الله بالظمان ، لأن لكل منهما غاية يسعى للوصول إليها إذ إن الرائح إلى الله يجد الثواب أمامه جزاءً له ، وكذلك الظمان حال وردوه الماء فإنه يجد ما يفتش عنه وهو الماء فإذا عثر عليه ، ارتوى وزال عطشه⁽⁸⁾. فقد رسم الإمام لنا المعنى في صورة واضحة ترتاح النفس إليها مُتَوْقِئاً ومُرْغِباً في الجهاد .

ومنه أيضاً قوله (عليه السلام) في خطبته في ذم أهل العراق يوبخهم فيها ((يا أهل العراق فإنما أنتم كالمرأة الحامل حملت فلما أتمت أملت ، ومات قيمها وطال

(1)- نهج البلاغة : 185 .

(2)- أساليب البيان في القرآن : 317 .

(3)- نهج البلاغة : 599 .

(4)- أساليب البيان في القرآن : 356 .

(5)- نهج البلاغة : 587 .

(6)- الإمام علي القرآن الناطق : 305 / 2 .

(7)- نهج البلاغة : 228 .

(8)- الإمام علي القرآن الناطق : 309 / 2 .

تَأْيِ لَمَّا وَصَرَّتْهَا أَبْعَدُهَا⁽¹⁾ نلاحظ من هذا الخطاب أَنَّ الإمام علياً (عليه السلام)

قد صَوَّرَ ببراعة فنية ما آل إليه أمر هذه الجماعة المخاطبة بسبب مخالفة رأي إمامهم ، إذ شَبَّهَهُمُ بالمرأة الحامل في شهرها الأخير وهي منتظرة أن تلدَ بعدما عاَتْهُ من مشقةٍ وألمٍ ولكنها بدل من أن تضعَ طفلها في موعده الطبيعي قد وضعتَه قبل موعده وبذلك خسرتَه وذهبتْ أتعاب حملها ، ولم يقف بها الحال عند هذا الحد وإنما ماتَ زوجها وكأَنَّ الإمامَ يوصي من خلال هذه الصورة أنهم بعصيانهم قد سقطوا في التيه والضياع ولم يستطيعوا تكوين قيادةٍ بديلةٍ قادرة على إدارة الأمور ، ومن ثم تمكن البعيد منها من الاستيلاء على الحكم⁽²⁾.

ومن ذلك أيضاً ما وردَ في خطبته في وصف الملائكة ﴿ مِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ

أَقْدَامُهُمْ قُحُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى فِي كَرَايَاتٍ بَيْضَ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ ﴾⁽³⁾ فعندما أرادَ الإمام أن يَصوِّرَ عظمة الملائكة شَبَّهَهَا بأعلام بيض قد نفذت في الهواء في حدوده اللامتناهية ، راسماً لوحدة تقريبية يمكن أن يدركها العقل البشري وتتمكن في ذهن المخاطب⁽⁴⁾.

فهذا إن دَلَّ على شيء فإنما يدلُّ على سعة خيال الإمام وأثره في رسم هذه الصور المفعملة بالحياة والحركة .

ومن ذلك أيضاً ما ورد في قوله (عليه السلام) : ((فصاحبها كراكب الصعبة

إن اشتق لها خمرَمان أسلس لها قحماً⁽⁵⁾ فقد شبه الإمام صاحب الخلافة براكب الناقة الصعبة والظهر الذي لا ينفاد لصاحبه ؛ لأنَّ في ذلك خطورةً وأتعاباً لما في الخلافة من مسؤولية كبرى ، وإنما جاءَ هذا التشبيه بالناقة التي لا تنقاد بسهولة لأنَّ ((الإنسان البدوي العربي لا يعرف إلا الناقة واسطة له ، وهو بين القدرة وعدمها ، إما أن يركبها أو يشدد فكيف إذا كان الراكب جديداً ولم يتدرب من قبل))⁽⁶⁾.

(1)- نهج البلاغة : 109 .

(2)- ينظر : شرح نهج البلاغة : 6 / 261 ، ودراسات في نهج البلاغة : 66 - 67 .

(3)- نهج البلاغة : 157 .

(4)- ينظر : أساليب البيان في القرآن : 353 .

(5)- نهج البلاغة : 29 .

(6)- الإمام علي القرآن الناطق : 305/2 .

وقوله (عليه السلام) : ((والله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي أمه))⁽¹⁾ إذ قدّم لنا صورةً توضحُ حالَ أنسه بالموت بحال الطفل عندما يكون مستأنساً بثدي أمه .

ومنه أيضاً قوله ((كأنني بك ياكوفة تمّين مدّ الأديم العكاظي))⁽²⁾ إذ شبه مدينة الكوفة من حيث الاتساع بالجلد العكاظي ، ومنه أيضاً ما ورد في قوله (عليه السلام) : ((إنما قلبُ الحدث كالأرض الخالية ما أُلتي فيها من شيءٍ قبله))⁽³⁾ فقد شبه قلب الحدث بالأرض لقبول كلّ منهما ما يلقي فيه . ومن ذلك أيضاً قوله (عليه السلام) ((فتداكوا علي تداك الإبل الهيم يومَ وُرّ بها))⁽⁴⁾ فقّم لنا صورةً تقريبيةً لتزاحم الناس على مبايعته (عليه السلام) بحال تزاحم الإبل عند ورودها الماء ، فالمشبه غير المشبه به . عظمة المشبه وضالة المشبه به مهما بلغت جهات الاشتراك بينهما .

نستنتج مما سبق أنّ الإمام (عليه السلام) قد وظف الصورة التشبيهية في خدمة المعنى لتمكنه من التأثير في نفس المتلقي . إذ رسم صوراً صادقة كانت في أغلبها صوراً مادية حسية انتقيت من البيئة ومرتكزاتها الأساسية .

(1)- نهج البلاغة : 36 .

(2)- نهج البلاغة : 88 .

(3)- نهج البلاغة : 499 .

(3) م ، ن : 94 .

(4)- م ، ن : 94 .

الاستعارة :

تعرف الاستعارة بأدّها ((نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض))⁽¹⁾ فهي وسيلة من وسائل تشكيل الصورة التي لها أثرها في التعبير عن المعاني مانحةً لِّلها بعداً تصويريّاً ينبني على التأويل واللامباشرة .

إذ تعمل على ((إحداث علاقة بين طرفين من خلال إكساب أحدهما صفة الآخر ، أي لُحْصَ صفة مختصة بشيء على شيء آخر))⁽²⁾ فهي تتمتع بخصائص فنية لأنها ((تعطيكَ الكثير من المعاني باليسير من اللفظ { ... } فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جلية { ... } إن شئت أرثك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون وإن شئت أطقت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها الظنون))⁽³⁾.

فالصورة الاستعارية تبعاً لذلك تنقلنا من ((الجمود اللفظي المحدد له إلى السيرورة في التعبير والمرونة في الاستعمال))⁽⁴⁾ ، فضلاً عن كونها تبتث الحياة في الجمادات وتبعث الحركة فيها؛ لهذا تُعدُّ من أدق الوسائل البيانية تعبيراً وأجملها تصويراً⁽⁵⁾.

وفي خطاب نهج البلاغة نجد أنَّ الاستعارة من أهم وسائل تشكيل الصورة وذلك لتفوقها في القدرة على الإيحاء والتخييل فهي أعمق من التشبيه تصويراً وأكثر تعبيراً ، إذ تحمل المخاطب على تخيل صور موحية يتخطى فيها العلاقات المألوفة بين الأشياء لتخلق صوراً تُثير الانتباه وتعمل على تحفيز الذهن⁽⁶⁾.

(1)- كتاب الصناعتين : 268 .

(2)- القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : محمود البستاني ، مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد ، إيران ، ط 1 ، 1414 هـ : 191 .

(3)- أسرار البلاغة : 33 .

(4)- أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم : محمد حسين الصغير ، دار المؤرخ العربي ، بيروت الطبعة الأولى 1420 هـ - 1999 م : 117 .

(5)- ينظر : أساليب البيان في القرآن : 306 .

(6)- ينظر : نحو منهج جديد في البلاغة والنقد : 290 .

فالملاحظ ان الإمام علياً (عليه السلام) قد وظّف الصورة الاستعارية بإيحاءاتها ودلالاتها المتعددة في خدمة المعنى لما لذلك من اثر وأهمية في إثارة التأمل و ((إطلاق ملكات التخيل))⁽¹⁾ ، ومن ذلك ما ورد في قوله (عليه السلام) : ((لا بقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته))⁽²⁾ إذ رسم الإمام لنا صورة قد جُسم فيها الحق والباطل ، إذ جعل الباطل في صورة حيوان قد ابتلع جوهرة ثمينة ألا وهي (الحق) فحذف الحيوان وأشار إليه بشيء من لوازمه وهو الخاصرة⁽³⁾.

ومنه أيضا ما ورد في قوله (عليه السلام) : ((واعلموا أن ملاحظ المنيّة نحوكم دانيّة، وكأنكم بمخالها قد نشبت فيكم))⁽⁴⁾ فقد استعار الإمام (عليه السلام) للمشبه ملاحظ ومخالب وهي إنّما تكون للحيوان المفترس لما بينهما من وحدة الهدف ألا وهي الترقّب والترصد ، فلم يذكر الحيوان وإنما ذكر لازمة من لوازمه (المخالب) فالاستعارة مكنية .

وقوله (عليه السلام) : ((فقات عین الفتنة . ولم يكن ليجنري عليها احدٌ غيري - بعد أن ما ج غيها))⁽⁵⁾، فلو وقفنا عند هذا الخطاب وتأملناه لوجدنا اشتماله على استعارتين متداخلتين تتمثلان في إعاره الفتنة وهي شيء معنوي صفة مادية وهي (العين) ، فالعين مختصة بالكائنات الحية . ثم استعار سمة (التموج) للظلام لأن الفتنة تنطوي على تعقيم وتخبط في الأمور ، والمناسب لذلك أن تُرسم له صورة تحمل سمة التخبط وعدم معرفة الأمور وتشابكها من خلال عنصرَي الإيحاء والتخييل⁽⁶⁾.

وقوله (عليه السلام) في خطبة له يحث الناس على طاعة الله ، ونهي النفس عن الهوى : ((امرؤ ألجم نفسه بلبجامها ، وزمها بزمامها ، فامسكها بلبجامها عن معاصي الله ، وقادها بزمامها إلى طاعة الله))⁽⁷⁾ فقد استعار الإمام (اللجام) و (الزمام) من الدابة وأضافهما إلى النفس الإنسانية بجامع أنّ كلا منهما هو الأمر والنهي ؛ لان الإنسان يأمر نفسه بطاعة الله وينهاها عن المعاصي .

(1)- أسرار التشابه الأسلوبى : 246 .

(2)- نهج البلاغة : 189 .

(3)- ينظر : الدراسة الأدبية النظرية والتطبيق : 78 .

(4)- نهج البلاغة : 405 .

(5)- م ، ن : 170 .

(6)- ينظر : القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : 196 .

(7)- نهج البلاغة : 452 - 453 .

وفي ذلك أيضاً ما ورد في قوله (عليه السلام): ((فجر يبايع العيون من عرائن أنوفها))⁽¹⁾ فقد استعار الأنوف والعرائين للجبال وما برز منها ، لما بينهما من صفة مشتركة ألا وهي البروز والصلابة والثبات .

ومن ذلك قوله (عليه السلام): ((اسشعروا خشيةً ، وتجليوا السكينة))⁽²⁾ فقد استعار الإمام الشعار للخشية ، أي أن يجعلوا الخشية ملازمة لهم . واستعار الجلباب للسكينة أي اجعلوا السكينة جلباباً لكم⁽³⁾.

وقوله (عليه السلام) في خطبة له: ((ولو وهب ما تنفستُ عنه معادنُ الجبال وضحكتُ عنه أصدافُ البحار من فلز اللجين والعتيان ونشارة الدرّ وحصيد المرجان ما

أثّر ذلك في جوده ولا أفد سعة ما عنده))⁽⁴⁾ فالملاحظ في هذا النص يرى استعارات عدة مقفلة في صور جميلة ، إذ استعار التنفس من الكائن الحي وأضافه إلى الجبال وهي شيء جامد فجعلها تتنفس فتخرج المعادن منها ، ثم استعار الضحك وأضافها إلى الأصداف فجعلها كالإنسان حين يضحك . وهذا كله تم من خلال التشخيص الذي هو ((إسباغ الحياة الإنسانية على ما لاحية له كالأشياء الجامدة والكائنات المادية غير الحية))⁽⁵⁾ ، إذ استطاع الإمام أن يرسم صورة حية منبثقة تشع بالدلالات المتنوعة ، وذلك مما ((يُثير في النفس معاني الفن والجمال ، لأن النفس تأنس بألفها ومثيلها ، فهذه المشاهد تغدو شخصاً متحركة لها انفعالاتها وأصواتها))⁽⁶⁾ ، فالمعنى مهما كان جافاً لا يدعه الإمام يمر هكذا مالم ((تثبت له أجنة تقضي فيه على صفة الجمود))⁽⁷⁾.

وقوله (عليه السلام): ((ولقد ضربتُ أذن هذا الأمر وعينه . وقابلتُ ظهره وبطنه))⁽⁸⁾ ، إذ استعار الإمام علي (عليه السلام) الأنف والعين من الكائن الحي وأضافها إلى الأمر وهو شيء معنوي مشخصاً له من خلال إسباغ الحياة عليه ، ومن

(1)- م ، ن : 162 .

(2)- م ، ن : 104 .

(3)- ينظر : في ظلال نهج البلاغة : 1 / 335 .

(4)- نهج البلاغة : 149 - 150 .

(5)- المعجم الأدبي : 67 .

(6)- الدراسة الأدبية النظرية والتطبيق : 78 .

(7)- الإمام علي (عليه السلام) صوت العدالة الإنسانية : 285 .

(8)- نهج البلاغة : 85 .

ذلك قوله (عليه السلام) في دعائه يتوجه به إلى الله ((أَلَمْ يَزَلْ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ
اعْبَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَائِيسُ السَّيْنِ وَاخْلَفَتْ شَامَخَايِلُ الْجُودِ ؛ ذَكَرْتُ النَّجَاءَ لِلْمَبْسُوسِ ، وَابْلَاغَ
لِلْمَلْسُوسِ))⁽¹⁾، فقد استعار الإمام لفظة (الحدايير) وهي جمع حبار وهي الناقة
المتعبة التي انضأها السير⁽²⁾، إذ هي لازمة من لوازم (الناقة) وذلك لتقريب المعنى
وهو انتشار القحط .

وفي ذلك قوله (عليه السلام) (نحن الشعار والأصحاب ، والخزنة والأبواب ،
ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها ، فمن أتاها من غير أبوابها سُمي سارقاً))⁽³⁾.

واستعار الإمام ((الشعار ليدل على الاختصاص بالرسول والملاصقة له في
حسبه ، واستعار الخنة ليدل به على أنهم الحافظون لعلوم الشريعة والمهيمنون عليها
واستعار الأبواب ليدل به على أنه لا توجد الفضائل في العلوم إلا من جهتهم وإنهم
بمنزلة الأبواب لها ، واستعار قوله لا تؤتى البيوت إلا من أبوابها دالاً به على أن
أخذها من جهة غيرهم خلاف العادة المألوفة وعكس للأمور وإبطال لحقيقته ،
واستعار قوله فمن أتاها من غير بابها كان سارقاً ليدل به على أن كل من أخذها من
غيرهم فقد ظلم وتعدى وأساء كالسارق ، لأنه أخذ ما لا يملكه))⁽⁴⁾.
إذن نستنتج مما سبق أن الصورة الاستعارية في خطاب الإمام علي (عليه
السلام) قد جسدت لنا المعاني على أروع ما تكون ، فامتزج فيها الخيال بالواقع ،
فغدت صورته معبرة عن الحقيقة مما تجعل الخطاب أكثر وضوحاً وأعمق أثراً في
نفس السامع لكي ينطلق عنان خياله للغوص في أسرار معانيه وتأويلها .

- الكناية :

(1)- م ، ن : 215 .
(2)- لسان العرب : مادة (حدير) .
(3)- نهج البلاغة : 270 .
(4)- الطراز ، 105/1 .

يبدو من خطاب الإمام علي (عليه السلام) أنَّه لم يقف عند حدود التشبيه والاستعارة لأداء صورته ، بل استعارة بوسيلة أخرى تشاركهما في الأهمية ألا وهي (الكناية) .

إذن تُعد الكناية وسيلة من وسائل التصوير إذ هي إرادة المتكلم إثبات معنى من المعاني لا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه و ردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه ((⁽¹⁾) ، إذ تُسهم في رسم الصورة و تعمل على ((تغليف المعنى بستر جميل و غلاف لطيف ، فإذا برز بعد ذلك برز عزيزاً مقبولاً يروق السمع ويونس الوجدان))(⁽²⁾) ؛ لهذا تُعد دأباً من التصريح لأن بعض الألفاظ تكون مبتذلة لا يجوز التصريح بها ، فتأتي الكناية لتعمل على تغطية المعنى المبتذل والمكشوف وتجعله يميل إلى الغموض وهذا مما يحقق نوعاً من التفرد والتميز للمعنى الذي يُعبّر عنه الأديب(⁽³⁾) .

إذن تقوم الصورة الكنائية أساساً على العلاقة التفاعلية بين اللفظ والمعنى بحيث يتولد منها معنى جديداً(⁽⁴⁾) ، فمزية الصورة الكنائية تتجلى لنا في ((التركيب الجديد الذي تتحول فيه المعاني أو الأوصاف إلى عالم من الصور المجسمة المحسوسة ، يكون للخيال دوراً فاعلاً في رسمها))(⁽⁵⁾) .

وفي خطاب نهج البلاغة نلمس صوراً كنائية قائمة على تغليف المعنى المقصود وإخفاءه ((بستر شفاف ليكشف عنه الذهن الواعي بفضل التأمل لسر من الأسرار النفسية))(⁽⁶⁾) ، من ذلك ما ورد في قوله (عليه السلام) : ((اللهم وقد بسطت

لي فيما لا أمدح به غيرك ، ولا أثني به على أحد سواك))(⁽⁷⁾) إذ كنى الإمام بقوله ((بسطت لي)) عن ((بلاغة الكلام وفصاحة البيان و عذوبة اللسان))(⁽⁸⁾) ، راسماً لنا صورة كنائية تمتاز بالدقة مما تجعل الخطاب لطيفاً لا سيما أنه موجه إلى الله تبارك وتعالى . فضلاً عن أنها نعمه من نعم الله عليه ، فلم يأت الإمام بالمعنى الصريح وإنما غلفه بغلاف شفاف ، يجعل قارئ أو سامع هذا الخطاب يشارك في أعمال ذهنه ليتوصل إلى معنى القدرة .

(1) - دلائل الإعجاز : 52 .

(2) - الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق : 424 .

(3) - ينظر : الصورة البيانية في شعر أبي بكر الصنوبري : 101 .

(4) - ينظر : الدراسة الأدبية النظرية والتطبيق : 72 .

(5) - نحو منهج جديد في البلاغة والنقد : 299 .

(6) - الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق : 447 .

(7) - نهج البلاغة : 168 .

(8) - أساليب البيان في القرآن : 755 - 756 .

ومنه ما ورد في قوله (عليه السلام): ((فقتلوا طائفة منهم غدراً وطائفة
عضوا على أسياهم))⁽¹⁾، إذ رسم الإمام صورةً توضح لنا صبر القوم في ساحة
الحرب وعدم استسلامهم من خلال ((قبضتهم على السيوف))⁽²⁾.

ومنه أيضاً قوله في دعاء له: ((اللهم إليك أفضت القلوب ومدت الأعناق))⁽³⁾
إذ رسمت صورة الإنسان المتطلع إلى الله لا لغيره من خلال الكناية ، فقد كنى عن
الميل إليه بمد الأعناق وتطويلها⁽⁴⁾، وعنه ما ورد في كلام له إلى البرج بن مسهر
الطائي: ((فوالله لقد ظهر الحق فكنت فيه ضيلاً شخصك خفياً صوتك))⁽⁵⁾، إذ كنى
الإمام بـ (ضؤولة شخصك) عن الضعف والجبن، إذ لم يرد عليه بكلام صريح
وقوله (عليه السلام): ((إليك عني يا دنيا فحبك على غاربك قد انسلت من مخالبي))⁽⁶⁾
فقله (حبك على غاربك) تعد ((كناية بيئية محلية عن كنايات الطلاق
والتححرر وذلك لأن الناقة إذا ألقى حبلها على غاربها فقد فسح لها ترعى حيث أرادت
وتذهب أتى شأئ لآته إنما يردّها زمامها ويقبّئها حبلها))⁽⁷⁾.

وعليه فإن ((النصوص التي لا تكشف عن نفسها وعن المقصود منها بسهولة
ويسر تكون أكثر فاعليّة وتأثير في المتلقي من النصوص الواضحة فالتأمل والتفكير
يتمتع المتلقي شريطة ألا ينغلق المعنى ، وتلك سمات الدلالة التصويرية الناجح))⁽⁸⁾
إذن نستنتج مما سبق أن الإمام (عليه السلام) قد لجأ إلى استخدام الصورة
الكنائية في خطابه للتعبير عن المعاني وتحقيق أغراضها، محاولاً إخفاء المعنى
المباشر والصريح والعدول عنه إلى المعنى المخفي ، وهذا مما يستثير المخاطب

(1)- نهج البلاغة : 423 .

(2)- علوم نهج البلاغة : 415 .

(3)- نهج البلاغة : 473 .

(4)- ينظر : علوم نهج البلاغة : 415 .

(5)- نهج البلاغة : 337 .

(6)- م ، ن : 533 .

(7)- رسائل الإمام علي دراسة فنية : 444 .

(8)- نحو منهج جديد في البلاغة والنقد : 303 .

ويبعثُ الشوق في نفسه بعد إعمال البحث والتأمل ثم إدراك المعنى المراد ، فيظل أثره باقياً في المخاطب باعثاً المتعة الفنية من ورائه .

الخاتمة

- الحمد لله منتهى كل فضيلة وبعد
- فقد كُذِّبَ في الصفحات السابقة نرفل بعقب خميلة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) محاولين في ذلك تفحص خطاباتهِ لنقف على ابرز ميزاتهِ، ومن تفحصنا خرجنا بثمرات طيّاتٍ، توزعت على مباحث هذه الدراسة ، ولكننا هنا بحاجة إلى إجمال ما تمّ تفصيلاً من أجل رسم صورة متكاملة لموضوع الدراسة .
- يتركز الخطاب في الثقافة العربية أساساً على وجوب حضور كل من المخاطب والمخاطب والخطاب ، وان أي قصور في معرفة هذه العناصر يؤدي إلى قصور في فهم الخطاب .
 - يوجه الإمام علي (عليه السلام) خطابَه إلى الكيان الإنساني بشكل عام ، لأنه يُخاطبُ العقلَ والعاطفةَ وعندما يتجه هذا الاتجاه فلا بُدَّ له من ترك الأثر في الذات الإنسانية وتحقيقه لأهدافه ، إذ كان لغايتي الجمال المتمثلتين في المنفعة واللذة حضورهما البنّ في خطابات الإمام علي (عليه السلام) من دون تفریط بأيٍّ منهما .
 - كانت خطابات الإمام علي (عليه السلام) انعكاساً للواقع الإنساني في تلك الحقبة من تاريخ الإنسانية ولما كان المجتمع يعيش حالة من الصراع بين القوى : قوى الخير والشر ، والحق والباطل ، والعدل والجور كثر تناول الإمام لهذه القوى في صورة ثنائيات متضادة وأخرى متناغمة .
 - تعددت الأصوات الناطقة في خطابات الإمام (عليه السلام) بوحى من المقامات المتعددة للإمام من حيث كونه خليفة وإماماً وحكيماً وقائداً وأباً ، وغير ذلك مما أضفى صفة الشمول على خطابه .
 - تعد اللغة وعاء للفكر ، والفكر يمثل حركة ذهن الإنسان نحو المبادئ فيكون الخطاب تبعاً لذلك نسقاً فكرياً جمالياً حقق الغايتين الإفهامية والإمتاعية .
 - وظّف الإمام علي (عليه السلام) اللغة توظيفاً رائعاً ودقيقاً فكانت أداة طيّعة تستجيب له أدنى ثلّة سواء على مستوى التركيب أم الصورة أم الصوت من أجل خلق الحالة المثلى من التأثير في المخاطب بكل أشكاله وانتماءاته .
 - ومن ذلك أيضاً ما ظهر للدراسة من ارتباط الصوت بالمعنى ارتباطاً وثيقاً إذ لا ينفصل عنه ؛ لأنه لم يكن مقصوداً لذاته بل كان وسيلة لإبراز المعاني والأغراض بما يسهم في إيقاع الأثر المناسب في النفس الإنسانية ، مما يُشعر بأن النص هو الذي اقتضى الصوت والإيقاع واستدعاها ولم يكونا دخيلين عليه .
- وآخر دعوائٍ أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين .